

الانسانية والتقدم

تأليف

جرجس بك انطون

حقوق الطبع محفوظة

سنة ١٩١٢

مطبعة المعارف بشارع النجاة بمصر

A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. U. B. LIBRARY

1870
1871
1872
1873
1874
1875
1876
1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900

أبراهيم

الانسانية والتقدم

170

A635iA

C.1

تأليف

جرجس بك انطون

حقوق الطبع محفوظة

سنة ١٩١٢

مطبعة المعارف بشابغ البغداد بمصر

100 200

اهداء الكتاب

جرت عادة الكتاب والمؤلفين ان يهدوا كتبهم ومؤلفاتهم الى
بعض من الكبراء ، ولكنتي رأيت ان أخالف هذه العادة عملاً بأمر
« الانسانية » . فأنا أقدم هذا الكتاب الى كل من يخدم « الانسانية »
ويجود بعشرين قرشاً او أكثر لاحدى الجمعيات الخيرية التي تساعد
الفقراء والبائيسين

النطق الكريم

لما علم الجناب العالي مولانا « العباس » حفظه الله اتي مشتغل
بتأليف هذا الكتاب ، تفضل وتنازل أعزّه الله وشجع عبده الخاضع
بهذه الآيات السامية

« بسرني كبراً انه اراك تستغل بتأليف الكتب الاربعة . وفر استوجب
عملك هذا رضاي وممنونيني ، فاستمر في طربفك هذا حتى تكون على
الدوام مسمولاً برعابتي وعنايتي »

وقد أحدث هذا « النطق الكريم » في فؤادي فرحاً وسروراً لم
أشعر بهما طول ايام حياتي الا في هذه اللحظة السعيدة التي كنت فيها
مظلاً برعاية ملكي المعظم ومرموقاً برعايته وعنايته . أدام الله سموه نصيراً
للانسانية وحليفاً للعلم والأدب . امين

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي أوجد الانسان ، وفضله على سائر أنواع الحيوان . وفرض عليه المحبة والاحسان ، لأخيه الانسان . وجعل مكارم الأخلاق ورقة العواطف . عنوان الكمال ، والوسيلة الى التبسط في اسباب المدنية وال عمران . وبعد فليس يخاف على كل ذي شعور حي ووجدان سليم ، ان خدمة « الانسانية » من الفروض المتعين اداؤها على جميع الذين تشرفوا بكرم صورتها ، وتحلوا بجميل شارتها . فقد قيل « خير الناس من نفع الناس » . على انه ليس من يضطلع بها ويقتدر عليها الا من جعلها قبلة عزائم ، ومعتقد اوطاره . فوقف عليها ايامه ، وقصر عليها اهتمامه

ولا حاجة بنا الى وصف مكان الانسان من الجامعة الانسانية ، وما يتوقف عليه من صلاح شؤونها في الحالتين الأدبية والمادية ولا سيما في هذا « القطر » الذي كثيراً ما يحتاج فيه الانسان الى أخيه الانسان . فخدمة الانسانية واسطة فلاح الأمم وسلم ارتقائها بل هي قوام حياتها ، وسبب رفاهيتها وسعادتها . وقد أصبحت الآن صلة القلوب ورباط الاخاء ، ومقياس تباين الأمم في الرفعة والاتضاع ، وتفاوت الشعوب في السطوة

والامتناع . وعلى الجملة فهي العامل الذي بطلت في جنبه العوامل ، والمحرك
الذي يقلب احوال الارض كما يقلب الدرهم بين الأنامل . واني نظراً الى
أهمية أمرها وحاجة أفرادنا الى ادراك حقيقة سرّها ، قد وضعت هذه
الخواطر فيما يلي من الفصول على أمل ان تلقى بعض القبول او تنفع في
تنبيه الاذهان بعض النفع والله خير مستول

الانسانية والمحبة

شقيقتا التمدن والارتقاء

أصغ أيتها المصري الكريم الى رنين صوت الكون العالي الذي يدوي في أعماق العالم العقلي ، يستفزُّ سكون الارواح الفكرية ، الى التطاير بأجنحة التخيلات الخفية ، على صرح الوجود العام ، حيثما يمكنها اختطاف تصورات تدعو « القوة الحاكمة » الى الحكم بأن الناموس الذي جعلته حكمة الغاية ضابطاً لمجموع نظام الخليقة ، هو المحبة نفسها التي يختلف اسمها باختلاف موقعها . فها هي هذه المحبة قد ارتقت منبر ذلك النظام العظيم وشرعت تنادي بصوت الغوامض هكذا : اسمعي أيتها السماء ، وأنصتي ايتها الأرض . أنا التي جمعت شمل الذرات الأولية ، فكانت اجراماً تلمع في قبة السماء . أنا التي ربطت هذه الأجرام برباط الانضمام ، فكانت أفلاكاً تدور بعضها حول بعض . أنا التي ألقت بين العناصر المختلفة ، فكانت ممالك تزهر بمجد الارتباط والاتحاد . أنا التي حينما نزلت عمرت ، وحينما رحلت حلّ محلي الدمار . أنا التي اتخذني كل من الانسانية والتمدن دعامة قوية وبدوني لا يثبت لهما بناء ، ولا يقدر على هدمي الأكل متوحش غريب عن الانسانية والمدنية

بجاوبها صدى صوتها الرنان العذب : لقد تعاظمت دعوى المحبة الى حدٍ غير مقبول ، لأنها أدعت لنفسها قوة ربط العالم بأسره . وجعلت جميع الأسماء المستعملة في التعبير عن القوة المؤلفة ، مرادفة لاسمها ومعناها ،

وهي تحاول ان تشرح بذاتها معنى تلك المحبة الجوهرية التي أنشأها
الباري سبحانه وتعالى بذاته منذ الأزل لتدير الأكوان التي بها كانت
وبغيرها لم يكن شيء ، مما كان

فدافع الضمير الحي عن المحبة وقال : ان ما تدعيه المحبة ليس المقصود
منه انها هي نفس الذات الإلهية منبثة في جزئيات الخليقة ، بل انها القوة
التي أوجدها الله لتحريك الخلائق وتدير الكائنات تحت أشكال مختلفة
تدعى الناموس العام . فالمراد اذاً هو الاشارة الى ان الانسان اذا كان
يحب نفسه فهو ملزم تبعاً لهذه المحبة ان يحب شبيهه في الانسانية ، وذلك
اقتداءً بخالقه عز وجل الذي رأى ذاته صفوة الكمال فأحب ذاته ،
وبمحبه هذه خلق العالم على شكل يحبه . فينتج من ذلك ان المحبة كانت
قوام العالم جميعه ، وبالمحبة تتحرك جميع الاشياء ، وبالمحبة يثبت كل نوع
من أنواع المخلوقات في ذاته ، وبدون المحبة بين البشر الذين خلقوا على
فطرة الله ، لا يمكن قيام نظامهم الاجتماعي على الوجه المطلوب ، اذ ان
المحبة هي القوة الوحيدة التي يمكن بها التأليف بين أفرادهم المتفرقة على
وجه الأرض والضابط الأول لنظام رقيهم وتمدينهم

أما البغض فانه ينزل منزلة القوة الدافعة بين الأجسام فيبعد بعضها
عن بعض ، ويشتت شمل البشر ويفكك عرى جامعتهم ويسلبهم راحة
الحياة التي يميلون اليها بالفطرة الأصلية . وعلى ذلك فليس يبالغ من يسمي
المحبة إله الهيئة الاجتماعية ، بسبب ما يصدر منها وعنهما من التأثيرات
الغريبة والنتائج العجيبة بين طوائف الناس

فاذا كان للمحبة ثمار طيبة كهذه الثمرات فكيف لا تحسب اذن

دعامة الانسانية والتمدن للذين لا يستغنيان عنها ولا يمكن ثباتهما بدونها كما انه لا يمكن ثباتها بدونهما . وبالجملة فانها جميعها اخوات وشقيقات يقولون ان الهيئة الاجتماعية في مصر فاسدة وريثة . نعم ان هذا صحيح . ولكن الذنب في ذلك علينا لأننا تعودنا مقاومة الشر بالشر فزيد الفساد بفعالنا فساداً . فاذا لم نعود أنفسنا لمقاولة الشر بالخير ، أي بالحلم والاحسان والمجاهلة والمحبة فاننا لا تقوى على استئصال جرثومة الشر المقيم بيننا ونسيء الى أنفسنا أكثر مما نسيء الى الانسانية . واذا كنا نطلب اصلاح الهيئة الاجتماعية فلنعمل اولاً على اصلاح أنفسنا بغرس المحبة فيها وتحليلتها بمكارم الأخلاق وبذلك يتسنى لنا ما نرجوه من اصلاح تلك الهيئة

قال أحد الفلاسفة ان « الانسان » الذي يسمى في اصلاح الهيئة الاجتماعية وخدمة الانسانية لا بد ان يكون متصفاً بالصفات الآتية وهي : البساطة . وطهارة القلب . وعدم الاعتماد على الغير . ورقة الشعور والاحساس . ومحبة الناس . والتواضع وانكار الذات . ورقة الجانب . والبشاشة . والرحمة . ولست مبالغاً اذا قلت ان أكثر هذه الصفات شائع عند المصريين ومتأصل فيهم . ولكنه لسوء الحظ يتقص من بينها صفتان رئيسيتان لا يعرفهما المصري ، وان عرفهما فانهما لا تتفقان مع أمياله وأخلاقه ونظام حياته . وهاتان الصفتان هما « الاعتماد على النفس » و « محبة الناس » . أما الأولى منهما فسيأتي الكلام عليها بعد . وأما الثانية فان قصها رأس شرور هذا « القطر » الملقب بالسعيد على غير حقيقة . لأننا أينما توجهنا وفي أي بلد من البلاد الأوروبية كنا نجد

المحبة منتشرة بين أهله وسكانه ونرى الجميع يداً واحدة في خدمة هئيتهم الاجتماعية ليس بينهم تناهد او اختلاف الا في المسائل السياسية . أما نحن فلا أثر للمحبة بيننا . اذا اتفقنا على أمر عشية يوم فلا يأتي الضحى حتى نكون قد نكصنا على أعقابنا . لانعرف قيمة ومزايا الارتباط ولا فائدة محبة الانسان لأخيه الانسان ولا ماهي الهيئة الاجتماعية ولا الواجب نحوها ولا أهمية خدمة الانسانية وتأتجها الحسنة لأنفسنا وللآخرين وبالجملة فاننا تعساء ، تعساء جداً . لماذا لا نكون « أناساً » بالمعنى الصحيح متحلين بالصفات الكاملة التي سردها « الفيلسوف » والتي يمكننا بواسطتها خدمة الهيئة الاجتماعية أي اخواننا في الانسانية ؛ اننا بفضل الله أذكي عقلاً ، وأرقى فهماً ، وأرق شعوراً واحساساً من كثير من الشعوب . ولا يليق بنا ونحن اولاد الانسانية وبلادنا بلاد الانسانية ان نستمر على الخضوع لعوامل نفوسنا مثل الحقد والأنفة لماذا لا تقاوم هذه العادات الرديئة التي تؤثر على ارتباطنا وتؤخر تقدمنا ونجاحنا . ولم لا تقف وقفة رجل واحد في وسط هذا السيل الجارف لوحدتنا ، الهادم لسعادتنا ، حتى نتمتع بالحياة اللذيذة . حياة الاتحاد والمحبة والسلام . حياة السعادة والهناء والصفاء ؛

الانسان

كل الاشياء التي ازدان بها الانسان ، حتى الخارجية منها تعرب عن امتيازه على بقية الخلائق الحية من حيث هو انسان ، فانه يقف مستقيماً رافعاً رأسه وفي هيئته علامة السيادة والامر ، ورأسه ينظر الى السماء وفيه يرى وجهه الجميل نقشت عليه علامة عظمته وفضله ، وعلى سيمائه صورة النفس ، وفيما بين أعضائه المادية سمو طبيعته ، ويضع ناراً مستعرة في تقاطيع وجهه ، ينظر الى ما حوله متعظماً ويخطر في الارض معجباً فيظهر شرفه ومقامه ، وهو لا يبطأ الأرض الا باطرافه الدنيئة ، ولا ينظر اليها الا بعين الاحتقار والازدراء ، وان ذراعيه لم يوجدوا ليكونا عضدين لجسمه الثقيل ، ويديه لم تخلقا لتامسا الأرض وتفقدتا بتواتر الحركة رقة للمس الكائن فيهما اكثر من سائر اعضاء الجسم ، وعليه فان الذراعين واليدين مختص بها عمل الاعمال الشريفة ، وانفاذ اوامر الارادة والقبض على الاشياء البعيدة ، ورفع العوائق ، ومقاومة الصدمات واللطمات المضرة ومعاينة ما يبهج ، ومناولته لباقي الحواس

لهذا ترى انه اذا كانت النفس مطمئنة كانت كل اجزاء الوجه في راحة وهدوء فان تناسبها (اي اقسام الوجه) واتحادها وتقاربها كل هذا يدل على ائتلاف الافكار ، ويعرب عن راحة الباطن ، واما اذا كانت النفس مضطربة فان الوجه يصبح صورة حقيقية تنقش فيها جميع الآلام الداخلية ، فكل حركة من حركاتها ، تظهر على أحد أجزاء الوجه ، وكل

عمل يعرف بعلامة ترسم عليه . وترسم هذه العلامات اكثر ما يكون في العين اذ انها تخص النفس اكثر من أي عضو آخر وتدل على آلامها واضطراباتها كما تظهر فرحها وسرورها بضبط واتقان ، وتنقل حاسياتها بسرعة كما هي حتى ان نفساً اخرى اذ ترى الأولى تحصل على صورتها الباطنة بالتمام ، فالعين اذن تأخذ نور الفكر وحرارة الحاسيات وتنقلها الى غيرها فهي حاسة العقل ولسان الفهم

الانسان ايضاً

اطلعت على وصفين قاسيين . . . للانسان ، أوردتها هنا حتى يعرف الانسان . كيف يصف الانسان ، أخاه الانسان

الوصف الاول

« فقال وهو يتبسم ، انظر ، فرفعت رأسي ، اذا مقمعة من حديد مكسوة حريراً أبيض ، فقلت ما هذه ، فقال هذه آدابكم ، واخلاقكم ، وحسن معاشرتكم ، أنكم ظالمون ، لكنكم تدهنون ، اذ يضرب بعضكم بعضاً بمقامع من حديد بمكر وخداع ، وكذب وزور ، فتناولونهم المرّ مغلفاً بالخلاوة ، ويشربون العلقم في صورة العسل ، وتسطوا الامة القوية على الضعيفة فتظامها ، وتسومها سوء العذاب ، وهي تتظاهر لها بالحبّة والاخلاص ، ففعلها مثال المقمعة وقولها مثال الحرير الكاسي لها ، باطنكم الظلم وظاهركم العدل

« فما أسوأ أخلاقكم ، الا ان الاساد لأشرف منكم ، فان ظاهرها باطنها ، وباطنها ظاهرها ، دأبها الصدق ، ودأبكم النفاق ، فاخلاقكم فاسدة دينثة ثعلبية ، فليتك لم تكونوا ، وما أقيح سياستكم ، وأشنع ظلمكم . ان الانسان لظلوم كفار »
« ابن الانسان »

الوصف الثاني

« تقول جريدة السودان (توجد في شرق السودان أفعى سامة تتفل سمها من فيها فيصل الى مسافة بعيدة عنها واذا أصابت نقطة صغيرة منه عين انسان التهبت أو فقدت بصرها . واذا أصابته في جرح ظهرت عليه أعراض التسمم وربما مات متأثراً منها وتعرف هذه الأفعى عند الوطنيين بالأفعى البصاقة)

« أقول : ربما وقع هذا الخبر عند المطلعين عليه موقع الدهشة والاستغراب وأخذتهم الشفقة والرأفة بسكان تلك الجهات الذين لا يأمنون أخطار هذه الأفعى . ولكن لو فكروا قليلاً لما أخذتهم الدهشة من تلك الأفعى ولعلموا ان من أفاعي بني الانسان من هو أشد خطراً من تلك »
« عندنا ايها القارىء كثير من الأفاعي السامة . عندنا أفراد من النوع الأنساني يعتدون على بعضهم بعضاً ليتفانوا ويتقارضوا . عندنا من يسطوي في جنح الظلام ليسلب مال الآمن ويختطف روحه التي بين جنبيه . عندنا من يتربص للوصاية على الأيتام حتى اذا ملك لا يعفو واذا نهب لا يبي . عندنا من يمتلك فرصة ضعف المرأة وجهلها فيغير على عفافها وشرفها وينكس رؤوس ذويها حياءً وخجلاً . عندنا من يتساع عفاف

العذراء برذال ماله ثم يترك في صدرها همماً يضطرم وفي أحشائها جنيناً
يضطرب فتظل حيرى الى ان تدفن الجناية في جنابة هي اكبر منها .
عندنا غير ذلك أفاعي هي أفعال بسمومها من تلك التي تسكن شرقي
السودان ألا وهم اولئك المسلولون والمجذومون والمصابون بالادواء المعدية
فانهم يبصقون من غير رحمة بين الاصحاء فلا يلبث الداء ان ينتقل الى
الصدور وينقل الجميع الى القبور . وغير ما تقدم عندنا نوع خبيث فتاك
أضر على الانسانية من جميع الأنواع الاخرى ألا وهو النوع الذي ينهش
الاعراض ويرسل أفراده الستهم مقاريص تنتقض من أقدار الفاضلين
وتحجب عن العيون شمس النابغين

« فلا تدهش ايها القارىء . واعلم اننا بحمد الله الذي لا يحمد على
الخير والشر سواه . أغنياء بافاعينا التي هي أشد خطراً من تلك الأفعى .
اذ فرق بين أفعى تفعل الشر عفواً واعتباطاً او دفاعاً عن النفس . وأفعى
تتدبر ذلك الشر وترتبه ليكون أنكى وأثر في الذي سيقع عليه »
أما في قلوب الناس للناس رحمة وترضعهم أم ويجمعهم أب
(كاتب)

وكنت أود ان لا اكتب حرفاً من هذين الوصفين القاسيين
الشديدين اللذين يمثلان بالانسان شر تمثيل ويصورانه كأنه قطعة من
الوحشية البحتة ، ولكن واجباتي وأنا أمثل الحقائق على مرشح الفضيلة ،
اضطرتني الى ذكرهما ، ويمكنني ان أقول بصراحة أني لا اعرف احداً بهذه
الصفات والحمد لله ، وآسف كل الأسف ان يكون بين الناس من
يوصف بهذه الأوصاف

حياة الانسان والانسانية

ما أغرب الحياة الانسانية ، الأيام تمرّ والأعوام تكررّ والانسان يتنقل من دور الى دور ، فبعد ان يولد طفلاً ضعيفاً صغيراً ينمو ويبدأ رويداً ، الى ان يغدو شاباً قديراً ، ثم رجلاً كاملاً ، ثم شيخاً هرمماً كبيراً ، ثم اخيراً بعد الحياة التي مهما طالت ، فهي قصيرة موقته بالنسبة الى كرور الأيام ، ومرور الأعوام ، يهبط الى حفرة القبر الباردة غنياً كان او فقيراً ، ملكاً او صعلوكاً ، جاهلاً او عاقلاً ، مؤمناً او كافراً . على ان الأمر الأغرب من هذا ما يظهره الانسان في كل مدة حياته هذه الموقته من المجاهدات الطبيعية والمصارعات الأدبية والاضطرابات الروحية والنفسية لأجل الحصول على السعادة والرفاهية ، فمن الناس قومٌ ظنوا السعادة في كنز الدينار فهبوا يجاهدون الليل والنهار لحشد الأموال غير مبالين بدموع اليتامى ولا بتنهد الأرامل ولا بويل الفقراء والمحتاجين . ومنهم آخرون ظنوا السعادة في حب الذات واللذات فأخذوا يجدّون ويكدحون ويتفانون لأجل اقتناء حلل باهرة وتناول أطعمة فاخرة واتمام شهواتهم البشرية والبهيمية وأمياهم الطبيعية ، غير مكترثين بناموس الانسانية ، ولا بالواجبات الوطنية والأدبية . وآخرون ظنوا التمدن قائماً بالاحاد والكفر ، فانصبوا على الاستهزاء بالأديان ، والاحتقار بكل ما هو عدل وحق وواجب ، معتبرين الرذائل فضائل ، والفضائل اوهاماً خيالية وتصورات وهمية كاذبة ، باذلين حياتهم والحالة هذه بعيشة خالية من كل

عمل صالح ، وفعل حميد . ولكن يا الله من الخواطر المريعة والذكري
الفظيعة التي تدخل قلوب هؤلاء الناس (اعداء الانسانية) في كل عام
جديد ، يرون الأيام تمر والأعوام تكرر ، وما بعد هذا المرور والكرور الا
التدهور اخيراً في هاوية الموت الهائلة . آه .

هنا عند التفكير بالموت ترتعد فرائصهم ، نعم يكتب الانسان المحب
للمال عند ذكر الموت ، لأنه يرى ان الموت لا يدع له وقتاً طويلاً حتى
يتلذذ بالأموال التي جمعها بما لا يوصف من الأتعاب والمصائب والاهوال
يرجف المحب للذات واللذات عند منظر الموت ، لأنه يرى ان
الموت حالاً يدركه وهو بعد في ريعان شبابه وزهرة صباه . ويهلع قلب
الكافر عند اقتراب الموت لأنه يرى ان الموت يطرحه في قمام القبر ،
عادم الأمل مقطوع الرجاء فاقداً كل تعزية

ولكن ما اشد ارتعاد الانسان (عدو الانسانية) حينما يرى الموت
واقفاً فوق رأسه ، جلاّد شديد مستلاً سيفه الحاد ليقطع به نسمة
حياته التي لم يعمل في خلالها عملاً نافعاً للانسانية وبنها . عبثاً يحاول
حينئذ أن يزيل من افكاره صورة الموت المريعة ويعرض بوجهه لثلا
ينظر في ساعته الاخيرة تنهد الانسانية وتصاعد زفراتها وأنينها ، مما
قاسته وتحملت منه ، باطلاً يسترحم او يستشفع او يطلب تعزية لنفسه
الجزينة ، وتقوية لجسده المضطرب بمراى الموت . الموت الموت ، لامناص
منه ولا مهرب ، هكذا الانسان « عدو الانسانية » بعد أن يعيش عيشة
تعسة لا فائدة منها للهيئة الاجتماعية يذهب اخيراً من هذا العالم حزينا
كثيباً بدون امل ولا رجاء ويطوى ذكره تحت التراب

بيد انه على قدر ما في ذكر الموت من اسباب الروع وفي منظره من الفظاعة « لعدو الانسانية » من الناس فانه لذيذ ومرآه معزّ للانسان « صديق الانسانية » ، نعم يفرح ابن الانسانية وصديقها بذكر الموت لأنه يعتقد ان هذه الحياة الوقتية انما هي ميدان جهاد روحي للفوز بحياة اخرى ابدية ، يتعزى ابن الانسانية باقتراب الموت لأنه يؤمن بأن الموت انما هو نهاية تعاسة هذه الحياة الأرضية ، وبداية سعادة حقيقية سماوية . وبناء على هذا الاعتقاد الوطيد والايمان الثابت ترى الانسان (صديق الانسانية) بكل سرور يضحي مصالحه الذاتية في سبيل المصالح العمومية ، جاعلاً ذاته في كل وقت نافعاً لقريبه سواء بالأقوال ام بالأفعال ، محسناً الى الفقير والبائس مفتقداً للأرامل والأيتام ، مضحياً كل ماله حتى نفسه ايضاً في وقت الحاجة حباً بشرف وطنه ومجد أمته ، وهو يصعد بالعقل والحكمة الى الأعالي السماوية حيث يشاهد نور الكمالات الإلهية ، فيستنير وينير بها ابناء نوره الغارقين في ظلمة الضلال والجهل فالانسان « صديق الانسانية » ، عندما يأفل نجم حياته الموقته يقبل قبلة الموت مسروراً عالماً انه قد أتم واجباته الانسانية واطاع الله في كل ما فعل ، فهو حينما يقف في ذلك اليوم الرهيب العصيب أمام الديان العظيم يمكنه بكل راحة ان يقول « قد جاهدت الجهاد الحسن ، وأتممت السعي وحفظت الايمان ، فمنذ الآن اعدّ لي اكليل العدل »

هذه هي حياة الانسان « عدو الانسانية » وآخرته ، وهذه هي حياة الانسان « صديق الانسانية » وآخرته . أما الأول فحياته شقاءً دنيوي ، وآخرته عذاب أبدي ، وأما الثاني فحياته سعادة ارضية وآخرته نعمة سماوية

فيجب على كل انسان ان ينتبه لذاته من غرور هذا العالم وان يفعل الخير والاحسان بقدر استطاعته ، متبعاً صوت ضميره الحي الرائي وشعوره الطيب ، وليذكر دائماً انه انسان فيشفق على أخيه الانسان ويحبه ، حتى يخلد له في بطون التاريخ ذكراً حميداً بمحبته الفعلية للانسانية وبني الانسانية

حرية الانسان ولذة الحياة

اذا تبعنا الانسان منذ ولادته الى نهاية أمره رأينا ان حياته تجري خاضعة لما لا ينتهي من القيود وأشكال العبودية ، وهكذا نرى في جميع المخلوقات ، فالطفل المولود عند ما يسقط الى الأرض يصرخ وينتحب علامة شعوره بوقوعه تحت سلطان المحيطات به ، ولا يزال عبداً طبيعياً لأنه ما دام يتغذى من لبنها ، الى ان تضع له المر والصبر على الشدى اشارة الى ابعاده عن حلاوة الحياة القاصرة ، والدخول في مرارة الحياة المستقلة ، وحينئذ يميل بوجهه الى مواجهة عالم الغلبات ، فتدفعه شرائع الاستقلال الحيوي في عبودية الموجودات ، وتعصف به زوابع الأقدار في مفازة الطبيعة، فيعود مدافعاً ومجازباً جميع الكائنات ، أملاً في الخلاص من فعلها وتأثيرها عليه ، يخضع للحرارة ليستعين بها على الفرار من سلطة البرد ، ويميل الى هذا الأخير ليدفع عنه غلبة تلك الأولى ، ويتتى من الجوامد بيوتاً لتحميه من حوادث الجو وهجير الشمس ، ويستنجد المعادن لوقاية أبنيته من غوائل السقوط ، ويستخدم اجنحة البخار ليطير بها الى

أطراف الارض ، وهكذا لا تبرح طيور افكاره تحوم على دوحة الطبيعة ،
واقدام آماله تعدو في ميادين العالم حتى تنتصر اخيراً على جميع قواته كل
تلك الاكوان وترجه في اودية العدم ، حينما تحيط به ظلمات الفناء ،
وتكتنفه غمرات السكوت بعد حياة قد تقضت بالتعبد لكافة الحادثات ،
وجرت تحت رق المصائب والاعاب والامراض ، خاضعة لقوي مقتدر ،
او ضعيف مستتر ، حسبما تقتضي العناية او الضرورة

فلا حرية اذن للانسان ؟ وهكذا تجري على هذا المجرى سائر
الموجودات ، أما ترى الحيوان القوي كيف يستعبد الضعيف ، أما ترى
ان كل الحيوانات تسترق لخدمتها جماهير الوجود النباتي ، أما ترى كيف
تجمع القوات الجاذبة ما بين المتفرقات العنصرية وتخضعها لسلطان الاجتماع
والتراكم تحت عبودية الفواعل الكيماوية وأسر قوات التماسك ، فلو امكن
للعناصر الهيولية ان تأخذ حرية الانفراد لما امكن قيام النظام الطبيعي
أصلاً ، أما ترى كيف تدخل السيارة في سلطنة الثوابت . ثم بنا لنطير
بأجنحة التصورات ونرتفع بخار الافكار الى سماء الحقيقة ، وهناك اريك
كيف ان هذه الكرة الارضية تظهر لنا عن بعد سابحة في أعماق الفضاء
وهي تدور منحنية على نفسها كشيخ أحنث ظهره أثقال السنين ، وكيف
ان هذا الجرم العظيم مقود بسلاسل سرية الى الخضوع لنظام الفلك
الشمسي ، لا يمكن له الخروج من حدود دائرته المضبوطة بأقطار من
جاذبية ذلك المركز الثابت ، وكيف ان جميع الاجسام المنتشرة على سطحه
خاضعة لحكم تقلب الفصول والاقوات حسبما يقتضي حلوله في احدى
جهات تلك الدائرة المنطقية . وكذلك ترى مملكة الحياه النباتية مشغلة

بدفع غارات البرد والحرّ بوسائط وطرق لا ينبغي غموضها ولا يحصى عددها ، وهي تضيح وتثن ليلاً ونهاراً مما تفعله بها لطات الرياح الهابجة التي تخطف ورقها وتنثر ثمرها

فكيف يمكن والحالة هذه ان يقال انه يوجد حرية للانسان ، نعم انه يمكن للانسان ان يحصل على شبه الحرية ويتمتع بلذة الحياة على نوع ما ، ولكنه يجب ان يعتقد ان هذه الحياة ليست الا كبرق خلب لمع في ليل دامس ، وان جميع مصائب الدنيا واكدارها تحيط بهذه الفترة الحقيرة منها ، فاذا عرف هذا يعود محرراً من سلطات الدهر ، ومن عبودية الزمان ، فلا يلبث معرضاً للاكدار والاحزان لعدم ميله اليها ، ولا يهيم بالمسرات والملاذات لكونه لا يعتبرها فهو يرى الجميع بخاراً يتصاعد قليلاً ثم يضمحل ، ومن لا يبالي بالألم لا يشعر بمضضه ، ومن لا يعبا باللذة لا يدرك بهجتها

اما حصول الانسان على لذة الحياة الحقيقية فلا يقوم الا اذا هو طرح ثقل العالم عن ظهره ، وارتضى بما قسم له من الله لقيام وجوده ، خالماً كل امارة تجعله عبداً وأسيراً لمن يتعالى عليه وذلك كالحسد والطمع والكبرياء والحقد وهلمّ جراً ، موجهاً أقدامه على هذه الارض حسبما يهديه الصواب والاختبار ، منعزلاً عن الناس ما امكن ، واضعاً لأفكاره ناموساً يحفظها في قيود الاستقامة والرشد ، لاجماً لسانه عن كثرة الكلام لئلا يحسب تكلمه هذياناً ، راكضاً وراء الحكمة والعلم والكمالات ، معرضاً عما يؤول الى خراب نفسه وبصيرته ، كالتهافت على اللذات الجسدية ، والتمرغ في احوال الفساد ، ناظراً في كل لحظة الى الموت الذي

يتهدده على ممر اللحظات ، عالمًا ان كل نفخة من نفسه مأخوذة من روحه ، فبهذا جميعه قد يحصل الانسان على لذة قصوى في سير حياته ، اذ يشاهد ذاته محلولاً من جميع قيود الاكدار والآلام الاديية والطبيعية ، ومنقطعاً عن كل عالم العبوديات المتعدية عليه ، واذا تحركت به الاميال الى مخالطة أشباهه في الجنسية ، فعليه باختيار من حسن خلقه وكملة تربيته واجتناب من فسدت أطواره وقبحت آدابه وصفاته ، واذا اتفق وجوده في مركز بعيد عن دائرة المخالطة الحسنه ، فعليه بالانفراد بذاته ومخالطة العوالم المحيطة بحواسه ، حيثما ينال لذات لا مزيد عليها ويفتني بها عما سواها ، فان الانسان المثقف لا يدرك لذة أعظم اعتباراً من تلك اللذات التي يدركها عند ما ينشر شرع التعقل لسفينه افكاره ، ويطلقها في بحور هذه الموجودات لدى مهب رياح الحوادث ، هناك يرى غزالة العالم تبرز من كناس المشارق الذهبية ناشرة أنوار بهجتها على وجه السماء ، حيثما تعود كافة الخليفة مستبشرة بلقائها وخطراتها ، فالجبال تنطق بمناطق لجينية وترفع قممها الغاطسة في غمرات الظلام ، فأنحة اذرعها لاعتناق صفحات الضوء ، والمياه تموج بلعمان الاشعة المنبعثة من لدن أبي الأنوار كأنها متسرولة بدروع نارية ، والاشجار ترنح رؤوسها لدى بشائر النسيم كذي طرب متوجة بأكاليلها العسجدية البديعة ، والأزهار تبسم ازاء وجه الطبيعة ناخفة باطيابها التي تذهب مبشرة سائر الخلائق بثوران حركة الحياة . هناك يشاهد هذه الغزالة ماثلة الى خط الزوال بوجه يقدر شرراً ، حتى اذا ما أوشكت على الفراق ، صبغت بدموعها الدموية وجنات المغرب ، وغارت في كهف الأفق ، سادلة على المسكونة

أستار الظلام . وبعد فراغه من هذه التأملات يسبح الخالق عز وجل مدبر تلك الكائنات الذي منه الحياة كانت وكلُّ به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، وهو خالق المخلوقات ومحرك الحركات وأصل الكائنات واليه مصير الأشياء جميعها لا اله الا هو ولا معبود سواه . فتهدا أفكاره (الإنسان) وترنح عواطفه ويسكن ضميره ويتمتع بلذة الحياة وحرية الوجود

الاحسان

لي « كلمتان » في « الاحسان » أقيمت الأولى منهما في حفلة المستشفى الخيري يوم افتتاحه ، والثانية في الأوبرا الخديوية في العام الماضي ، فاستأذن القراء في افتتاح هذا الباب ، باب الاحسان ، بهما لما فيهما من الفائدة في هذا الموضوع

الكلمة الاولى

أيها السادة — اذا جرى ذكر الاعمال على الافواه لم نجد أطف من ذكر الاحسان وقعا في النفوس ، فانه أشجى ما تهتز له اعطاف الانسانية طرباً . وليس بين الحفلات ما يفوق في رواه وبهائه حفلة ترمي الى الاحتفاء بفعل الخير وآثاره ، والتحدث بنيات المحسنين وأعمالهم جرت عادة الناس ان يحتفلوا بكل عمل تقومهم اليه الفكرة اعلاناً له ، فاذا فكر التاجر الكبير في توسيع نطاق تجارته باقامة بناء فسيح الاركان ، احتفل بافتتاحه فيقيم الزينات ، ويرفع الرايات ، فيقبل اليه القوم

يتمعون النظر ببدائع الاشكال ، حتى اذا جاء زمن الانصراف ، تفرقوا بين مادح ومعجب . وهانحن أيها الكرام نحتفل بمحل تجاري يختلف عن أمثاله اختلافاً كبيراً ، فان أنواع البضائع التي ستعرض فيه على الجمهور لا تروق للانظار ، وقد لا يعجب العين ان ترى مريضاً يتقلب على فراش اوجاعه ، ولا يلذ الاذن ان تسمع أنين المتألم وهو يخرج أنفاساً حارة يلتمس إسعافاً ، ولا يطيق ذو الاحساس اللطيف ان يشاهد جريحاً يصعد زفرات تفتت الاكباد . ولكننا مع ذلك نرفع صوتاً ويا جذالو بلغ أعماق القلوب ، قائلين نعمت التجارة ، ولو قبحت أنواع البضاعة ، هي التجارة الراجعة في الدارين ، تزيل العامل فيها راحة في الضمير لا تعادلها راحة ، وتكسبه أجراً لا يساويه اجر

ليس أقرب الى قلب الرحيم - أيها السادة - من أن يقف بجانب فراش العليل يؤاسيه ، وهو يجد في صنعه لذة لا توازيها لذة في كسب القناطير المقنطرة من المال

أيها السادة - جبل المرء على الميل الى الكسب فهو يخاطر بماله في مشروع ينتظر منه الارباح الطائلة ، تراه يسرع الى ابتياع ما استطاع من الأسهم في الشركات الراجعة ، ويمتنع جهده عن كل عمل لا يرى من ورائه نجاحاً ، وهانحن نعرض امامكم متجراً هو أربح المتاجر لو تعلمون ، فاقبلوا على مشترى أسهمه ونعم ما تصنعون . ولا يغرب عن افهامكم - أيها السادة - ان كل تجارة عرضة للخسارة مهما بلغ شأو القائمين بها من حسن ادارة ودقة نظر وخبرة ، فكم من شركات أفلست ، وأخرى أشرفت على الافلاس وضاع على مساهميتها حقوقهم مع حرص المديرين

ومهارتهم في ادارة الأشغال . أما أسهم الاعمال الخيرية فأمونة بضمانة رب العالمين وكل سهم تشتركون فيه لعمل الخير تتضاعف أرباحه ولا خوف عليه من الضياع . فدونكم ايها الافاضل اسهم هذا المتجر الخيري تسابقوا لابتياعها فان عيون المرضى والمساكين الذين سيأوبهم هذا المستشفى ، تشخص اليكم ملتمة منكم احساناً ، وان البائسين الكثيرين الذين تفتك بهم الأمراض الفتالة ، وهم عاجزون لضيق ذات يدهم عن مقاومتها ، يتمنون وصول أنات قلوبهم الى أعماق قلوبكم عليها تلقى رافة وحناناً ، فان أنتم مددتم اليهم يد الاسعاف وعطفتم عليهم بعاطفة الاشفاق وأخذتكم النخوة في تقديم ما يخفف عنهم ويلات المرض فقد وفيت المروءة قسطها الأوفر وخدمتم الانسانية خدمة تذكر فتشكر

أيها السادة - اختلف نظر اهل النقد في قياس درجة رقي الأمم وتقدمها في سلم العمران ، فمن قائل ان الجرائد هي دليل المدنية ، فالأمة التي كثر عندها عدد الجرائد اليومية والمجلات العلمية والادبية هي الراقية في مضمار المدنية لما في الصحف من وسائل تربية الافراد على المبادئ الصحيحة ، ومن قائل انها الحكومة المنتظمة العادلة ، فالأمة التي تنظم حكومتها ويعمل حكامها على اجراء العدل بين الافراد هي الأمة الناجحة . ومن قائل ان المدارس هي دليل المدنية فالبلاد التي تكثر في ربوعها ديار العلم وكل وسائل التهذيب الأخرى هي التي تنال حظها من العمران ، ومن قائل ان امتداد حركة التجارة والصناعة والزراعة في الأمة دليل مدنيته فالبلد الذي راجت تجارته وتقدمت صناعته ونجحت زراعته هو البلد الراقى . أما نحن - أيها السادة - فنقول ولا نخشى غلواً ان في

مقدمة دلائل الارتقاء والمدنية الصحيحة مثل هذه المشروعات الخيرية (خدمة الانسانية) . فالأمة التي تهتم بأعمال البر والاحسان ، ويكثر بين أفرادها اهل الشعور الحلي ، والعواطف الكريمة نحو اخوانهم من بني الانسان هي الأمة الراقية الحية بأعضائها العاملين على تخفيف ويلات المصابين والمجدين في نشر سبل الراحة للبوّساء والمساكين بواسطة أمثال هذه الملاجيء والمستشفيات الخيرية . والا فإني فضل لهاتيك المدارس والحكومات المنتظمة واتساع نطاق التجارة والزراعة والصناعة وكثرة الجرائد مع بقاء القلوب على غلاظتها واستمرار العواطف على قسوتها . وای مزية لهذه الوسائل ان وقف تأثيرها عند حد الرقي السطحي دون ان يتجاوزها الى الضمائر فيحركها الى فعل الخير ويصل القلوب فيبعث فيها الشعور الصحيح . وای فضل لجماعة المتهذبن تحكمهم الحكومات المنتظمة بعمرانهم الشاهق وتجارهم الناجحة ، ان هم وقفوا عند نقطة التهذيب العقلي فلم يمدوا يداً لمنكوب يؤاسونه ، ولم يحركوا ساكناً لمشروع خيري يعضدونه . وای فضل للجرائد والمجلات ان هي اکتفت بتثقيف العقول وتربية الافهام دون ان تربي في الجمهور عاطفة الحنو والاحسان . وأي رقي ينتظر من أمة كثر فيها عدد المتعلمين ، وهم اصغار الى اليسار في خانة المشروعات الخيرية ، ولا مكان لهم في عالم المساعي المشكورة . أليست المدنية عبارة عن تقويم الاخلاق على المبادئ الادبية الصادرة عن المؤثرات الدينية . فان كان هذا هو الحق الذي لا ريب فيه فلا بدع ان قلنا ان الامة الراقية في المدنية الصحيحة هي النامية والمتقدمة في الاعمال الخيرية (تبيينه) على ذكر المستشفى الخيري — أقول ان أبوابه مفتوحة لجميع

المرضى الفقراء على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم - وهذا مما يستوجب الشكر
والثناء على حضرات رئيس واعضاء الجمعية الخيرية القبطية

الكلمة الثانية

أيها السادة والسيدات - اننا بلسان جمهور البؤساء ، نرفع اليكم
آيات الشكر ، ونُسديكم وافر الثناء ، على ما تفضلتم به من اظهار عواطف
البرِّ نحو المعوزين ، فانَّ القلوب الكسيرة التي جبرتموها باحسانكم تفيض
امتناناً ، والنفوس الحزينة التي طيتم خواطرها برفدكم تصوغ من درر
الثناء عليكم عقوداً وتيجاناً

اننا أيها السادة والسيدات ، لا نراكم في حاجة الى مزيدٍ حثٍّ على
صنع الخير ، فان هذه العواطف الكريمة التي أظهرتموها بتعاضد هذه
الحفلة الخيرية والاحساسات الرقيقة التي أبديتها باقبالكم على هذه الليلة
لمن أقوى الأدلة المحسوسة على عرفانكم قدر الأعمال الخيرية ، ولكن
هي كلمة عن الاحسان نسوقها اليكم ، ونحن واثقون انها ستجد من
نفوسكم ارتياحاً وستصادف من صدوركم انشراحاً

الاحسان كلمة يُلذُّ لسمع الكريم ذكرها ، ويطيب لقلب الجواد
نشرها ، كما أنها مرة المذاق للبخیل ، وأثقل من الصخر على قلب الشحيح
بسمها فتشنج لها اعصابه ، لأن ما جُبُّ عليه من الشح ينفره من
الاحسان وذكره

أجل ، فالاحسان خلةٌ بشرية ، والحدُّ الفاصل بين الوحشية
والانسانية ، منشؤه لطف الشعور ، ورقة العواطف

ولقد علمنا كتابنا المقدس أن « الديانة المقبولة عند الله هي التي
تحت على افتقاد الأرامل واليتامى » ، وقال السيد المسيح له المجد « من له
ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل كذلك » وقال أيضاً
« طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون » . وقد ندب له القرآن الشريف وسوى
بينه وبين التقوى بقوله « وتعاونوا على البر والتقوى » لأن في التقوى
رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله ورضا
الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته

« قيل لبعض الحكماء ، أي شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الله .
فقال ، الاحسان الى الناس . وليس في مخلوقات الله أفضل من الانسان ،
وليس في أعمال الانسان أفضل من الاحسان ، به يسمو على غيره من
الحيوان ، وبمقداره تقاس درجة رفعة في مراتب الانسانية ، فليس
المرء انساناً باعتدال قوامه ، وحسن هندامه ، وضخامة جسمه ، ورشاقة
حركاته ، ولطف اشاراته ، بل هو انسان بعاطفة الاحسان »

وليس طويل العمر من عاش كثيراً ، وعمر طويلاً ، بل هو الحميد
الخالص ، الحسن الفعال ، ذلك الذي يعيش خيراً نبي جنسه ، ويبذل
النفس والنفيس في ايتاء المعروف ، واغاثة الملهوف ، فهو خالد الأثر ، ولو
لم يعمّر طويلاً بين البشر ، فكم من الناس من قضى السنين الطوال ،
وبلغ من العمر عتياً دون ان يبيض صحيفته وجوده بفعل الخير ، هؤلاء
عاشوا خاملين ، وماتوا غير مذكورين ، يصدق فيهم قول القائل
وكل من لا خير منه يرتجى ان عاش او مات على حد سوى
وليس الكريم من يجود بماله على مأدبة يقيمها ، وحفلات أنس

يوصلها ويديمها ، بينما اخوانه المساكين ، يتقلبون على حمر الفاقة ، وجيرانه
المعوزون يتضورون جوعاً ، وهو يفضُّ عنهم بصره ولا تسمح نفسه
ان يوجه اليهم نظره . بل الكريم الجواد هو ذلك السمع المفضل الذي
يسارع الى فعل الخير ويسابق غيره في اعمال البر

وليس يخفى على علمكم ايها السادة والسيدات ، ما يعقب فعل الخير
من اللذة والارتياح في نفس فاعله ، والمرء لا يتحرك لعمل الاطمعاً باللذة
التي يجنيها منه سواء كان خيراً او شراً ، فما أشهى تلك اللذة التي يجدها من
يمدُّ يده لاسعاف المعوزين بترياق الاحسان ، فيجبر قلوبهم الكسيرة ،
ويبدد احزانهم الكثيرة - واي لذة تعادل لذة من يصادف جائعاً فيطعمه ،
وعرياناً فيكسوه ، وجاهلاً فيعلمه

هذا غير ما لفضيلة الاحسان من حسن الرابطة ، فهي وسيلة من
أقوى الوسائل لجمع القلوب المتفرقة . ويجوز لنا القول بانها أضمن رابطة
لضم أهل الغيرة الصادقة ، الذين يعملون لتخفيف الويلات عن بني
الانسان . لقد ذهب الباحثون مذاهب شتى في اي الروابط أقوى لجمع
العناصر المختلفة ، فمن قائل انها الرابطة الدينية ، ومن قائل بل هي الرابطة
الجنسية وقال بعضهم انها الرابطة العلمية ، ولكن الحق الذي لامرأ فيه
هو ان جامعة الاجسان أوثق رابطة للبشر ، لانها تشمل جميع المحسنين من
مشارك الارض الى مغاربها بلا تفريق ولا تمييز

ولو تأملنا قليلاً في الفائدة التي نجنيها من احياء هذه الليلة لأفئتناها
أدبية أكثر منها مادية لأنها اجتمع فيها اهل النبل والفضل . فكم يسرُّ
النفس ان ترى هذا المنظر الوطني ، وكم يثلج الصدر هذا الاتحاد الوثيق

العُرى، بل كم يرتاح الفؤاد الى هذا الشعور العام بواجب المساعدة للفقراء والأيتام . نعم — أيها السادة والسيدات — إن هذا المنظر يفرح القلوب وينعش الأرواح ، ومما يزيد بهجةً ورواءً وجمالاً وكمالاً تفضل سمو ملكنا المعظم وخديوننا الانغم الذي تكرم وأمر حفظه الله باحياء هذه « الليلة » تحت رعايته السامية ، وقد ندب سعادة التشريفاتي الأول لحضورها بالنيابة عن ذاته الكريمة . فنحن جميعاً نقدر هذه العواطف السامية والاحساسات الشريفة حق قدرها ونسأل الله ان يحفظ لنا ذاته العلية وأنجاله الكرام

وعلى ذكر الاحسان أقول ، اني بحثت في اوروبا اثناء العام الماضي عن سبب اقبال القوم على الاعمال الخيرية في تلك البلاد اقبالاً يقرب من حد العبادة فوجدت ان البعض يرغب فيه ابتغاء مرضاة الله والبعض الآخر وهو السواد الاعظم يعشقه ويتفانى في عمله محبةً في « الانسانية » . واعتقاد الفريق الأول معلوم ومعروف وهو حق وصواب . أما اعتقاد الفريق الثاني فانه وان كان مرتبطاً ارتباطاً تاماً بالدين ، لأن محبة « الانسانية » من محبة الله ، ولكن القوم يعتقدون اعتقاداً صحيحاً ان تعليم الفقير ومداواته ومواساته في شدته واطعامه وكسائه وترقيته في شؤونه من اكبر الخدم للانسانية وبني الانسان ، لأن الفقير انسان ، لا يختلف عن الغني او المتوسط الحال الأ بسوء حظه وشقائه ، ولانه اذا ترك ساءت حاله وهبط حضيض الذل والهوان واذا أخذ بيده انتعش وحسنت حاله واستقام أمره ودخل في الهيئة الاجتماعية عاملاً مفيداً

نافماً . ووجدتُ أيضاً ان الذي يحضّ القوم على فعل الخير والبرّ ليس
الجمعيّات الخيرية بل الافراد ، الكبير يحث الصغير « والمشارك » في
فعل الخير يُكره « غير المشارك فيه » على فعله حتى انه مع الزمن يصير
الثاني أميل اليه من الأول

ومن غرائب فعل الخير عند القوم ، ان احدى الجمعيّات الخيرية
النافعة في فرنسا ، طبعت تقريرها السنوي وأرسلت الى كل عضو من
أعضائها نسختين منه ، وبعثت في كل تقرير مذكرة رجته فيها ان يقدم
« النسخة الثانية » هدية الى صاحب او صديق له (غير مشترك في
الجمعية المذكورة) وان يأخذ على عهده الزامه بالاشتراك — هل تعرفون
حضراتكم ماذا كانت النتيجة ؟؟ — ان عربة من عربات مصلحة البريد
وصلت ملآنة بالمكاتب من باريس وبقية الجهات بطلب العشرات والمئات
من نسخ هذا التقرير . فاين نحن من هؤلاء القوم ؟؟

ولا بد لي في هذا الباب من ذكر ما فينا من النقائص والعيوب
من جهة الاحسان ، من قبيل التذكير ، لعل في ذكرها ما ينبهنا الى
الاقلاع عنها والابتعاد عن كل ما يشين الانسانية ويشوه محاسنها
أعرف ما هي هذه العيوب ، ايها المصري الكريم ؟

هي اننا لا نعمل الاحسان لمجرد الاحسان ، واننا نريد ان نخدم
الانسانية ونبذل المال بسخاء للمشروعات الخيرية النافعة ، ولكن من
طريق الشهرة والافتخار ، من طريق حب الظهور والتباهي والتعالي
والتعاضم ، من طريق فرحنا برؤية اسمائنا مكتوبة في الجرائد ، وتشاغلنا
في وسط الاجتماعات امام هذا الكبير وهذا العظيم ، اما الاحسان لمجرد

الاحسان فانك لا تسمع به في هذه الديار

ويظهر ان الفخر وحب الظهور من الصفات الطبيعية في جميع الموجودات ، فالصالح يقول أنا ، والشيطان يقول أنا ، وكل يفخر بما هو فيه . فان كان العالم يفخر بكونه أعلم الناس ، فالشرير يفخر بقوته وشناعة انتقامه ، والسكران أيضاً يفخر بأنه أعرق في السكر وأعرف بأنواع الخمر من الغير

فاذا صححت هذه النظرية وتبين ان الفخر صفة لازمة لكل حي ، ولا يمكن ان يقف هذا التيار عند حد مهما ندد واعترض المعارضون . واذا ثبت ايضاً ان الاحسان لا يأتي الا من طريق الفخر ، فاني أمثل وامشي مع التيار والله الأمر ، وها أنا احبذ الفخر وأؤمن به ، على شرط بذل المال عن طيب خاطر لكل مشروع خيري والبر بالبؤساء والمعوزين بقدر الامكان حتى لا يشعروا بمرارة الفقر لأنهم بشر مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا في هذا الوجود ، وان لا نجعل امتيازنا عليهم علة شقاءهم وتنغيص حياتهم ، لان الله سبحانه وتعالى خلقنا كلنا سواء ولم يميز بين انسان وانسان . فلنكن كرماء في معاملة اخواننا ورفاقنا في هذا الوجود ولنعلم حق العلم ان الانسان المعروف بالكرم والسخاء ، لا تنطبق عليه صفة الكرم الحقيقي الا اذا ابتداء كرمه وسخاءه اولاً بنفع « الانسانية » وانتهى بعد ذلك بمن يحب ومن يشاء . ولنعلم ايضاً ان الانسان المعروف بالنشاط والهمة والجد لا تنطبق عليه صفات الشهامة الحقيقية والمقدرة الفعلية الا اذا بذلها اولاً في خدمة « الانسانية » وبمدها فيما يريد ولمن يريد . ان الانسان الشفوق المحب المخلص يجب عليه ان يجعل « الانسانية »

في مقدمة من يشفق عليه ويحبه ويخلص له
ان الانسان الفخور المتباهي يجب عليه ان يفخر ويتباهى باعماله
النافعة للانسانية ولبنى الانسانية . اما الانسان الذي يقدر ان يفيد
« الانسانية » بماله وقلمه ونفوذه ومقدرته ويتأخر عن هذه الخدمة فهو
ليس بانسان

واني اتهم هذه الفرصة لتوجيه نظر أهل البر والاحسان الذين
يميلون الى وقف شيء من ريع أملاكهم على الفقراء والمعوزين ان
يتدبروا اولاً في الطريقة التي يتوصل بها الفقراء لاستلام حصتهم .
لانا نعلم ان بعض نظار الاوقاف الأهلية التي بها حصص للفقراء لا يعرفون
ما هي الامانة والذمة والشرف . واذا كان البعض منهم يعرفها فبالاسم فقط ،
وتجد هذا البعض يكرر ويفخر بان رأس ماله الشرف والذمة والامانة ،
فاذا طلبت منه حصص الفقراء انتقل الى عالم آخر من عوالم التخلص وهرب
من دفع هذه الحصص واذا سألته عن السبب ، قال صرفته على
« الواردين والمترددین » . آه ما أسعد حظ هذه الفئة ففة « الواردين
والمترددین » ، لان كل الاموال الموقوفة تدخل جيوبهم . وما أوسع هذه
الجيوب التي يدخل فيها المال الوفير ، انها أوسع الجيوب في هذا العالم
الكبير واني اصرح بملء فيه انه حرام وألف حرام عمل مثل هذه
الوقفيات التي يعتقد واقفوها انهم عملوا عملاً صالحاً يتقربون به من الخالق
الديان ، وينامون مستريحين النفس ناعمي البال ، ولكنهم لو علموا رحمهم
الله انهم اساءوا الى « الانسانية » وعذبوها ، بتسليمهم الاوقاف لنظار
هم أقرب الى الوحوش من بني الانسان ، لكانوا أراحوا انفسهم وغيرهم

وخصصوا جزءاً من العين ينتقل الى الفقراء من بعدهم
ولما كان لكل طائفة جمعية خيرية تنظر في شؤون الفقراء من
ابنائها فالوقف يكون لها وعليها مباشرة ، واذا تلاشت الجمعية فلمعهد
خيرى آخر

الجمعيات

الجمعيات - وما أدراك يا صاح ما الجمعيات . هي أساس التمدن
والنجاح ، ومعراج التقدم والفلاح ، كأنها بلسان الوطن رسول صادق ،
ولسان صدق ناطق بمظمة البلاد التي تحتلها وتنشر فيها لوائها . بها يرتقي
الانسان الى درجة من الكمال الانساني ، ويرتفع الى منازل ومراتب
من التمدن الأدبي ، فعليها يتوقف تقدم البلاد ، وبها مصدر النجاح
والعمران ، وهي أساس المعارف والعلوم ، وركن عظيم لرفع شأن الوطن ،
والأخذ بناصر الانسانية . والجمعيات على أنواع كثيرة . منها العامية ،
والادبية ، والخيرية وغيرها . وكلها نافعة للنوع الانساني ، خصوصاً اذا
كانت تؤدي عملها وتقوم بخدمتها حق قيام
فالعلمية هي التي تسعى وتجدد بتثقيف العقول ونشر العلوم والفنون
والمعارف بين الناس

والأدبية هي التي ترقى الآداب وتبث الفضيلة والكمال بين البشر
والخيرية وهي أهم الجمعيات وأنفعها للنوع الانساني ، هي التي تساعد
البائس والمسكين وتخفف عنه ويلات الفقر ومرارة الحياة ، وهي التي
تطيب الفقير وتداويه اذا كان مريضاً ، وتسعفها اذا كان جريحاً او مصاباً ،

وتنقله الى بلده اذا كان معسراً ، وتدفن موتاه وتعلم اولاده وبناته بقدر ما
تساعدها الاحوال وتسمح ماليتها . وهي بالاجمال تقوم بأكبر الخدم
للانسانية وبني الانسان

وأى خدمة أعظم من ترقية شؤون طائفة عضها الفقر وجار عليها
الشقاء والدهر ، اذا تركت ساءت حالها ، ووصلت الى حضيض الذل
والهوان ، واذا أخذ بيدها ، انتعشت وحسنت حالها واستقام أمرها ،
ودخلت ثانية في الهيئة الاجتماعية عاملة نافعة مفيدة

فاذا كنا نقدر الوطنية حق قدرها ، يجب ان نساعد بمالنا وفكرنا
وقدرتنا أمثال هذه الجمعيات النافعة عموماً والخيرية منها خصوصاً حتى نسير
خطوات واسعة نحو الرقي والتقدم ، ونكون قد خدمنا الهيئة الاجتماعية
أعظم خدمة ، نشعر معها بأننا أديننا واجباً من أهم الواجبات علينا

ولأجل حفظ كيان الجمعيات وتأدية وظيفتها بانتظام ، يجب ان
لا يدخل فيها داء حب الرئاسة ، وان يتكاتف أعضاؤها على تقديمها
ونجاحها بهمة عظيمة وغيره قلبية حقيقية ، وان يكون رائدهم نكران
الذات وحب الشورى ، وعدم الانفراد بالرأي او الاستبداد بالفكر ،
واعتبار ما قيل بلا نظر الى من قال ، وترك النيمة ، والابتعاد عن النفاق ،
وحفظ اسرارها الداخلية ان كان لها أسرار

وعلى ذكر الجمعيات ، أرى ان بعضها لم ينشأ الا طمعاً بحب الرئاسة
والذات ، وعوضاً عن ان يندمج هذا الانسان الكبير او العظيم في احدى
الجمعيات العديدة التي توافق مشربه ومبدأه وذوقه ويسمى في ترقيتها
واصلاحها ، تراه يشرع في تأسيس جمعية جديدة ، حتى يفوز برئاستها ،

ويجلس على كرسي عرشها ، ويلبس تاجها ، ويمسك صولجانها ، ويقول
أنا الرئيس

نعم انه كلما كثر عدد الجمعيات ترفت الأمة وتقدمت نحو التمدن
الحقيقي ، ولكن مثل هذه الجمعيات التي انشئت لغرض الرئاسة وحب
الذات ، والتي لا يمكن ان تؤدي عملها بسبب دخول روح الغرض فيها ،
لا تفيد الأمة كلية ، ولا ابالغ اذا قلت انها تضرها فعلاً وتفسد عليها
خطة رقيها ونجاحها

عظماؤ الانسانية

عظماؤ الانسانية ، اورجال الانسانية ، او خدمة الانسانية ، في
كل أمة هم عنوان عظمتها وتمدن ورقيها ، ومصدر جاهها وعزها
ومجدها ، ونبراس نخرها وزينتها ، ولا ابالغ اذا قلت انهم كالشمس
الساطعة في ارجاء بلادهم يضي نورها ويمتد شعاعها مسافات بعيدة ،
فحيثما يوجد هذا الشعاع ينتشر العلم ويمع التهذيب وتختفي الغباوة ويتلاشى
الجهل وتتجلى السعادة ويرفرف الهناء ويذهب الشقاء ويتعد الفقر ،
وتظهر الفضيلة برقتها ولطفها ويزول التوحش من تلك البلاد

واي عمل أعظم وأفضل وأسمى وأشرف من خدمة الانسانية . ان
الكاتب القدير الذي يسيل قلمه بلاغة ورقة ليعجز عن ان يني هذه
الخدمة حقها من الوصف او ان يقدرها حق قدرها مهما أجاد الوصف
وأحسن التعبير لانه اذا سرح ببصيرته في عالم الحقيقة وتأمل بنظره في

سماء الصدق ، وجد ان مزايا خدمة الانسانية تفوق مزايا الخدمات
الاخري جميعها . كيف لا وأقل ما فيها انها تخفف ويلاات الفقر وتشفي
غليل البؤساء والمعوزين وتداوي أسقامهم وتعلم اولادهم
فقل لي بربك اي فائدة أعظم من هذه الخدم وأية المزايا تمتاز عنها
وتفوقها وتعلو عليها

واني اذا ذكرت اسماء « عظماء الانسانية » في وطننا العزيز وزينت
بها كتابي هذا اكون قد خدمت الانسانية ونفعت التاريخ ، لان في
ذكر أسمائهم وأعمالهم تخليداً لذكورهم واعترافاً منا بفضلهم ، وقدوة لغيرهم ،
ولكني أعتذر لكل الذين عملوا عملاً انسانياً ولسؤ حظي لم أوفق الى
معرفة أسمائهم ، ويشترك معي في الاعتذار (طبعاً) أصدقائي في العاصمة
وبقية الجهات الذين كلفتهم موافاتي بأسماء هؤلاء « العظماء » ولم يذكرها
في القوائم التي وصلتني منهم

ولي النعم والاحسان مولانا «العباس»

خديوي مصر

فاول من أشرف بذكره في مقدمة البارين بالانسانية المحسنين اليها « اسم » تخشع لذكره القلوب اعتباراً واحتراماً ، وتختني أمامه الرؤوس اجلالاً واكباراً ، هو مولانا « العباس » ملك البلاد وخديويها وحامي حماها وحافظ كيانها ، أدام الله ملكه ، آمين

ولو اردت ان اذكر اعمال سموه الخيرية بالتفصيل الكافي والبيان الشافي لاحتجت الى مجلد كبير ، لانه حفظه الله من عهد توليه الأريكة الخديوية وهو مستمر على مساعدة الفقراء والبائيسين من كل ملة وطائفة بدون التفات الى اجناسهم او دينهم ، وانه حفظه الله يساعدهم بماله الخاص رأساً او بواسطة الجمعيات الخيرية العديدة او عن يد ديوان الاوقاف الخصوصية ، هذا فضلاً عن المدارس العديدة التي أنشأها سموه في مزارعه الواسعة لتربية عقول اولاد الفقراء . وانه لا يسعني امام هذه المبرات الوفيرة والاحسانات المتواليه والهبات التي لا تحصى الا ان اتوب عن الانسانية وبنيتها واقف امام عرش سموه العظيم وأرفع يدي الى السماء سائلاً صاحب السلطان الاكبر خالق الكون الأعظم ان يحفظ لنا حياة سموه ويمتعه بالصحة والعافية ، وان يديم لنا هذا الملجأ الرحب الواسع ليأوى اليه كل معسر ويشرب من منهل العذب كل بائس ويقصده كل محتاج وفقير ، فهو على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

ويلى سمو ملكنا المعظم فى الاعمال الخيرية اميرتان من اكبر اميرات الشرق وثلاثة امراء من خيرة ما انجبت ارض مصر ، فالاميرتان احدهما صاحبة المبرات والاحسانات حليفة الانسانية وصديقة البؤساء دولتو عصمتو أمينة هانم افندي والدة سمو خديونا الانغم ، والثانية عصمتو دولتو اقبال هانم افندي حرم الجناب العالى . واما الامراء الكرام المشار اليهم فهم دولة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالى ، ودولة الامير حسين باشا كامل عمه ، ودولة الامير يوسف باشا كمال ابن عمه ، حفظهم الله وأدام عزهم اجمعين

صاحبة الكمال « امر المحسنين »

دولتو أمينة هانم افندي

والدة الجناب العالى الخديوي

تجسم البر بالانسانية ورقة العواطف والشعور فى قلب هذه الاميرة الجليلة حتى بلغ أقصى مراميه ، لانه لا تقوم فرصة لفعل الخير الا وتتهزها حفظها الله كأنها فرض او واجب مقدس عليها ، وقد بلغ ما تصرفه دولتها فى سبيل البر والاحسان اضعاف ما تصرفه فى شؤونها الخاصة ، فلا يمضي يوم الا وترى لها تبرعات واحسانات فضلاً عن مساعدة كل مشروع خيري يظهر فى البلاد ، حتى أصبح حصر هذه المبرات محالاً بسبب كثرتها وتواليها ، وقد وصفها حضرة العالم الشاعر احمد افندي محرم « بأمر المحسنين » ، والمعروف عن الشعراء المبالغة فى الاوصاف

والنعوت ، ولكن شاعرنا هذا خالفهم ووصف الاميرة وصفاً حقيقياً هو فيها وملازم لها ، ويجب علينا ان نضيف هذا اللقب المحبوب الى ألقابها السامية عند ذكر اسمها الكريم في الكتب والمجلات والجرائد ، لانه ليس من يستحقه أكثر منها ، أدامها الله زهرة مشمرة في جبين الدهر نفتخر بها ونرفع رؤوسنا عند ذكر اسمها وأعمالها

وهذا ما قاله شاعرنا المحترم عن جنابها الرفيع :

كونوا « كأم المحسنين » سماحة فلهذا هي قدوة للمقتدي
رفعت منار الجود فيكم عالياً تعشوا الكرام الى سناه قتهدي
تلك المرؤة خالداً ماثورها والصنع محقر اذا لم يخلد

ومن مآثرها الفراء ، المدرسة الالهامية التجهيزية الكبرى التي تصرف عليها ما يزيد عن ستة آلاف جنيه سنوياً ومدرسة للبنات وأخرى ليلية لتعليم فن الحساب التجاري وكلها لتعليم الفقراء مجاناً لوجه الله الكريم ، هذا فضلاً عن المدارس الصغيرة العديدة التي أسستها في مراكز أطيانها الواسعة لتعليم اولاد الفلاحين ، فبلسان الانسانية نشكر دولتها ، ونسأل الله ان يطيل لنا في عمرها لتكون ذخيرة المصريين وزينة الشرق والشرقيين أجمعين

صاحبة السمو « صديقتنا الانسانية »

دولتنا اقبال هانم افندى

حرم الجناب العالى الخديوي

لو ان صاحبات العصمة من اميرتنا الكريمت يظهرن بين الملاء
وتظهر اعمالهن الطيبة كما تظهر اعمال الاوروبيات لعرف اهل هذا
القطر من حسنات صاحبة العفاف والصون اميرة مصر الكريمة ومن
آيات احسانها المتوالي ما تتعطر بذكره الارحاء ويتناقل الابناء بشائر
أمره عن الآباء . ولكن دولة الاميرة الكريمة لزمّت عادة الشرق فلم
تأذن بنشر فضائلها ومبراتها ومع هذا فان الذي عرفه القوم من تلك
المبرات شيء كثير فلقد سمعنا مراراً ان دولتها كانت تلقي على الانجال
الكرام دروس الفضيلة والاشفاق وكلما سمعت بنكبة رقت لها وتوجع
قلبها الكريم وأمرت بتوزيع اعانات تخفف الويل على المصابين . فعلت
ذلك مراراً ولكن فعلها المحمود لم يشتهر نظراً الى التزامها فضيلة التواري
الشرقية ، فما عرف الجمهور بهذه المكارم الا حين اضطرت النار في احياء
الاستانة في خلال السنة الماضية وفتحت بعض الصحف المحلية باب
الاكتتاب لاعانة المصابين فكانت دولة اميرتنا الكريمة اكبر المتبرعين هنا
في هذا العمل الخيري لأنها جادت بخمسة جنيه وكان كرمها الحاتمي من
اسباب تكاثر التبرعات والهبات بين المصريين حتى بلغت اعانة مصر
للاستانة في تلك الحادثة جملة مال . هذا مثال من مئات على منواله رويناه
هنا لأنه ذاع في حينه واشتهر ، فهينئاً لبلاد تروى عن امرأها واميراتها
هذه النوادر الحسان والله يكثر من امثال اميرتنا البارة الفاضلة في كل زمان

صاحب الدولة والفخامة

الامير محمد علي باشا

شقيق الجناب العالي الخديوي

ومن امراء البيت المالك الممتازين بسمو آدابهم وتواضعهم ودعوتهم
وسخائهم وكرمهم ومبراتهم صاحب الدولة الانغم الامير الجليل « محمد علي
باشا » شقيق الجناب العالي ، فانه حفظه الله فضلاً عن دماثة أخلاقه
وحسن شمائله ورقة جانبه ، يميل بطبعه الى خدمة « الانسانية » ويعطف
بقلبه على البائس والمسكين ، وقد رأيت بعيني وسمعت بأذني مثلاً من
أفعال سموه الغراء ، وهو انه كان مسافراً ذات يوم الى الفيوم فجاء كبير من
موظفي دائرته وعرض على مسامعه الكريمة فحوى عريضة قدمها أحد
العلماء عن مشروع خيرى أدبي يلتمس فيها من سمو الامير ان يتنازل
ويقبل المشروع تحت رعايته ، وقبل ان يتم الوسيط شرح العريضة ، قاطعه
الامير وقال لا بأس ، ثم قال حفظه الله باسماء مسروراً ان الرعاية لا تكفي
فنحن نساعد به مبلغ من المال ، وعند ما نطق بهذه الكلمات اللذيذة على
السمع ، اللطيفة على القلب ، كانت علامات البشر والارتياح ظاهرة على
صفحات وجهه الصبوح ، وكان نقاء قلبه الطاهر يتلأأ بين نظراته
الحادة ، ويدل جلياً انه حفظه الله أمر بالعطية عن خاطر طيب ونفس
راضية فلم يكن مثل بعض الذين يندفعون الى العطاء بحكم مراكرهم في
الهيئة الاجتماعية او طمعاً في الشهرة والفخر

فانعم به من أمير يشرف قدر الامراء بكاملاته وحسن آدابه وكرم

أخلاقه ، وانعم به من « انسان » يخدم « الانسانية » بشفقته ورقته
وحنوه وماله

حدثني صديق لي يعرف كثيراً من احواله ، قال انه حفظه الله
لا يحتاط ولا يبحث عند اعطاء الحسنات والهبات ، ولا يرد من يقصده
خائباً متى كان الأمر في يده ، وقلبه شفق للغاية يتأثر بسرعة ويردد
كثيراً من كلمات العطف والحنان عندما يسمع بحصول كارثة لأحد
الناس ، وبالاجال فانه « رجل الانسانية » وعميدها الاكبر يوجد عليها
بكل كرم وسخاء ، وقد شاءت ارادته اطل الله في عمره أن لا يحرم
الفقراء والمساكين من رعايته وعنايته الى ما شاء الله نخصص لهم حصة
من ريع اطيانه الواسعة التي وقفها على عائلته الكريمة ، اكثر الله من
امثاله ليكونوا درة في جبين « الانسانية » تعز بهم وتفرح باعمالهم

« ابو الفلاح » الامير الجليل

صبي باشا كامل

عم الجناح العالي الخديوي

اذا ذكر اسم صاحب السمو والنبيل والفضل الامير الجليل « حسين
باشا كامل » في مجتمع او ناد او مجلس ، تنبهت في الحال اذهان الحاضرين
على اختلاف مبادئهم ومشاربهم وأجناسهم وأديانهم الى أعماله المجيدة
ومساعيه الكثيرة لخير البؤساء والمعوزين ، واذا ذكر اسمه الكريم بين
رجال الجد والاقدام والعمل ، كان حفظه الله في مقدمتهم رافعاً علم الشهامة

بيده اليمنى وراية الشجاعة الادبية والمقدرة بيده اليسرى ، واذا ذكرت أسماء عظماء « الانسانية » ورجالها العاملين على رفعتها واعلاء شأنها كان في الصف الاول بينهم ، وعلى صدره الرحب كنيته المشهورة اي « أبو الفلاح » وهي (اي الكنية) وان كانت بسيطة في شكلها ولكنها في الحقيقة كبيرة وعظيمة جداً ، تعدّ في نظر أهل الانسانية أعظم لقب وأفضل وسام لا يناله إلا كل انسان ممتاز بأعماله الجليلة وخدماته الطيبة النافعة للانسانية وبنيتها

واذا ذكرت اسماء الفضلاء الكرماء الحكماء ، كان حفظه الله في طليعتهم يسامر هذا بلطفه ورقته ، ويمارح ذلك بطلاوة كلامه وحلاوة لسانه ، ويساعد ذوي الحاجات بسخائه وكرمه ، وينصح التعابي بخبرته وحكمته ، واي برهان على محبته للفقراء أعظم من نواتره الخيرية المشهورة ، أقول نواتره الخيرية لأن الذي يقف في وسط خدمته ورجاله من من الفلاحين ويوزع عليهم بنفسه الماء كولات الفاخرة ويسقيهم بيده الكريمة الشراب الشهي اللذيذ وهو امير ابن امير يعد فعله ولا شك من « النوادر » ولا ابالغ اذا قلت انه من خوارق الامور

قرأت هذه « النوادر » في الجرائد فقلت ان الأمر مبالغ فيه وظننت ان غاية ما هنالك ان الامير حفظه الله أمر لرجاله ببعض الشيء من الاطعمة الفاخرة والشراب الطيب تشجيعاً لهم ورافة بهم ، ولكنني عندما علمت ممن شاهد بعينه ان سموه وقف بشخصه الكريم ولاحظ بنفسه صنع الشراب في الاواني الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين ثم مرّ بين صفوفهم وهم جالسون يأكلون ويتلذذون ، قلت هكذا يكون الامراء

والا فلا ، ان الامير امير بفعاله وليس باللقب الذي ورثه عن آبائه واجداده
ومن مآثره حفظه الله انشاؤه مدرسة ابتدائية للذكور بجهة
جبارس (بحيرة) حيث أطيانه الواسعة وقد وقف عليها اربعون فدائنا من
أجود أطيانه

ومنها انه أسس مدرسة دمنهور الصناعية وتبرع لها بألف وخمسمائة
جنيه مصري ووقف عليها ٧٥ فدائنا من أحسن أطيانه ، هذا فضلاً عن
تبرعاته العديدة للمشروعات الخيرية واحساناته المتواليه للفقراء بواسطة
الجمعيات الخيرية وبدون واسطتها كما هو مشهور ومعلوم . والحق اننا اذا
كنا سعداء بامراءنا كان الامير « حسين » في مقدمة من نساعد بهم
ونعتز بوجاهتهم وشهامتهم ووطنيتهم

« صديق العلم » الامير الجليل

يوسف باشا كمال

ابن عم الجناب العالي الخديوي

كانت محبة العلم والانسانية كامنة في صدر هذا الأمير الجليل وهو
لم يزل في سن الصغر حتى انه حفظه الله حالما وضع يده على ثروة المرحوم
والده أخرج هذا النور من صدره واضاء به قسامين كبيرين احدهما في
صعيد مصر والثاني في العاصمة

جرت العادة ان اغلب اغنيائنا الوارثين حديثاً يهتمون قبل كل شيء
بشؤون انفسهم ، اي انهم يقتنون العربات الفاخرة والجياد المطهمة

ويننون القصور ويشيدون الصروح ويسرفون وينفقون شيئاً كثيراً في
الملاهي والملاذات ، فانانا هذا الامير الجليل بدرس عظيم حكيم يجب على
الوارثين والوارثات أن يحفظوه ويتبعوه

لم تمض ايام قلائل على استلام ارثه حتى اصدر أمره الكريم بانشاء
مدرستين كبيرتين احدهما ابتدائية علمية والثانية صناعية بجهة نجع
حمادي صرف عليهما ما يزيد عن عشرة آلاف من الجنيهات ، ووقف
عليهما ١٥٠ فداناً من اجود اطيانه يقدر ريعها بالف وخمسمائة وخمسين
جنيهاً مصرياً ، وكان يوم افتتاحهما يوماً مشهوداً بالجهة المذكورة .
واعقب هذه المأثرة الجليلة بمثلها او بأهم منها وهي انشاء مدرسة الفنون
الجميلة بمصر وقد صرف عليها ما يزيد عن ستة آلاف جنيه مصري
واوقف عليها اعياناً تنتج ريعاً سنوياً لا يقل عن الفي جنيه . فلتطرب
الانسانية وتفرح بيا كورة اعمال هذا الامير الشاب ولتثق أن سيعقبها
كثير من امثالها لأن العواطف الرقيقة والاحساسات الحية كالحلقات
متصل بعضها ببعض فتى ابتدأت الحلقة الاولى منها جرّت الثانية ، فالثانية
تجر الثالثة وهكذا الى النهاية . اكثر الله من امثاله العاملين خيرا
الامة والوطن

« صديق الفقراء » المرحوم « بطرس باشا غالي »

قلت في باب « الاحساس » صحيفة نمرة ٣٢ :

« ان الانسان الذي يقدر أن يفيد الانسانية بماله وقلمه ونفوذه ومقدرته ويتأخر عن هذه الخدمة فهو ليس بانسان » والآن اقول ان الذي يخدم الانسانية بالمال والقلم والنفوذ والمقدرة معاً ، فهو ليس « انساناً » فقط ولكنه ملك كريم ، لأن الذي يبذل ماله عن طيب نفس وخاطر في سبيل الاحسان والبر بالانسانية ، ويستعمل نفوذه ومقدرته في اعلاء شأن البائس والمسكين ، ويشغل قلمه في حضن الغير على فعل الخير والعطف على المعوز والفقير ، فهو بالحقيقة اكثر من « انسان » يحق له أن يوصف بالملك الكريم في صورة انسان

ومن هؤلاء الذين خدموا الانسانية بمالهم ونفوذهم ومقدرتهم وقلمهم المرحوم « بطرس باشا غالي » فقد كان رحمه الله على جانب عظيم من رقة الاحساس والشفقة القلبية على البؤساء والمساكين ، وكان يميل بكليته الى تحسين حالتهم وترقية شؤونهم لم يحجم مرة عن مساعدة مشروع خيري يعود بالفائدة عليهم ، حتى ان احد اصدقائه وصفه وصفاً ينطبق تمام الانطباق على صفاته ، اذ قال « انه مقتصد في شؤونه وسخي كريم في احساناته ومبراته »

كانت باكورة اعماله الخيرية في ايام صباه ، تأسيس الجمعية الخيرية القبطية وهذا ما ذكرت الجمعية المذكورة عنه في تقريرها عن عامي

« لما رأى رحمه الله ان حال الفقراء قد ساءت . وحبس المحسنون عنهم ما
كاتبوا يجودون عليهم به شرع في تأسيس جمعية المساعي الخيرية (الجمعية الخيرية)
وكان الاحتفال بافتتاحها في منزل المرحوم يوسف افندي مفتاح بالغاً حد المهابة
والجلال ، خطب فيه « فقيدنا العظيم » وكل من حضرات العلامة الاستاذ
المرحوم الشيخ محمد عبده والاستاذ الشيخ محمد النجار وعبد الله افندي نديم واديب
افندي اسحاق وكثيرون غيرهم من اصدقائه ، واول مجلس شكل بالانتخاب كان
في ٨ يناير سنة ١٨٨١ واول من تولى رئاستها كان مؤسسها المرحوم « بطرس باشا
غالي » وقد أقرت نظارة الداخلية هذه الجمعية بخطاب ورد منها في اول يونيه
سنة ١٨٨١ »

وهذا ما قلتُ عنه بلسان الجمعية الخيرية التي نعت غيرها في تأييده
ورثائه يوم الافتتاح بمضى عام على وفاته رحمه الله
اورد هنا فقط الجزء الخاص باعماله الخيرية

« هذا فضلاً عما كان للفقيد من الميل الفطري الى الاعمال الخيرية ، فهذه
الجمعية الخيرية من غرس يديه الكريمتين ، أنشأها من ثلاثين سنة او تزيد وهو
يومئذ في ريعان الشباب ، مما يدل صريحاً على انه رحمه الله كان ميالاً بفطرته الى
الاعمال الصالحة منذ صباه ، فسعى سعياً المتواصل بعد تأسيسها في احياء معالمها
واعلاء شأنها ، وكان احسن الله اليه يدها بماله ويعضدها بثاقب آرائه ، فكم من
أرامل أعانهم ويتامى وأيامى أعانهم وعائلات سدد حاجتها ولبي نداءها حين زالت
نعمتها وساء حلها

« فيا أيها الراحل الكريم اننا وقفنا اليوم على قبرك و بلسان البؤساء الذين
فرجت كربهم وصددت عنهم عوادي الأيام نبكيك وندب سوء حظهم فيك
فعيونهم لم تلس ولن تنسى حنو نظراتك وقلوبهم لا تنسى تذكر شعورك وعميم

مبراتك ، كنت لهم أباً رحيماً وصديقاً حميماً ، وأي دليل تتخذه على ميله للمبرات ورغبته في الأعمال الخيرية أصدق من هذا البناء الشاهق والمعهد الديني الثمين ، الذي أنشئ تنفيذاً لما كان ينويه رحمه الله لأنه كان يريد انشاء كنيسة فخمة وملجأ واسعاً للعجزة في هذا « الدير » فاشترى هذه البقعة وأنشأ مدافن جديدة لأصحابها بدل تلك التي كانت فيها ، ولكن وأسفاه أدركته المنية قبل ان يتم عمله المحمود

« ولما كانت النية الصالحة لا تعدم من يأخذ بنصرتها ويقوم لنجدتها لم يعدم هذا الأثر الخيري من يغار عليه ، فقد دفعت النخوة عائلته الكريمة للقيام بهذا العمل الجليل تخليداً لذكر فقيدهم وفقيدنا وفقيد الأمة ، وهذا عمل وان يكن كبيراً في ذاته فإنه يصغر بجانب ما أثر هذا الراحل الكريم »

ولي كلام آخر اوردته الوده - ولو انه خارج عن موضوع الكتاب فان ذكرى هذا « الفقيد العظيم » هيجت اشجاني وحركت قلبي ودفعتني الى ارسال هذه التحية اليه من نفس متألمة وفؤاد حزين - سلام عليك يا روح « بطرس » الشريفة حيثما انت الآن مقيمة سواء كنت في أرقى فراديس الجنان ، تنظمين للملائكة تساييح الرحمن ، أو كنت سابحة في عالم الفضاء ، تضيئين بين هذه الدراري الزهراء ، حيث تلتقي الارواح خالدة بعد الانتقال من عالم الفناء

سلام عليك يا « بطرس » من صديق وفي ودع سرور الدنيا يوم ودعك ، وشيع الانس والصفاء يوم شيعك ، وكاد يقضى عليه اسي يوم قضيت ، وتمضي روحه على اترك يوم مضيت ، ويا ليت لم يكن بيني وبينك ذلك الولا ، ولم اكن اليوم كما اراني سائل الدمع دامي الاحشاء ،

ويا ليت عيني لم تكتحل بمراك ، فلم ترمد يوم نواك ، ويا ليت اذني لم تستودع تلك الدرر في حياتك ، فلم يردّها الدمع لآلي من عيني يوم مماتك ، وليت نفسي لم تسرّ بمحبتك ، فقد احزنتها اضعاف ذلك السرور في غيبتك — لا بل هنيئاً لي بما كان ينننا من المحبة والولاء والصفاء ، فقد عرفت بذلك عظمة صنع الخالق ، بما أراني من المعجزات في افراد الخلائق ، ورأيت كيف يكون الانسان في عقله كبيراً يرسل من سماء ذكائه ناراً ونوراً — نعم عرفت الاخلاص والوفاء ببعثان من تقاطيع وجهه شعاعاً وضوءاً ، عرفت الحلم والدعة يتلألآن على صفحات جبينه حنواً وبشاشة ، عرفت الشهامة والاقدام يزنان صدره عفة وامانة ، عرفت الكمال والادب يتمشيان مع جلاله ووقاره

نعم عرفته وعرفت فيه صفات تكملت بالفضائل وأخلاقاً تحلت بالمكارم ، فرحمة الله عليك يا « بطرس » وتحية وسلام مني اليك ، وبقدر ما أحسنت الينا في حياتك ، يحسن الله اليك

وهذا ما كتبه رحمه الله بقلمه الطيب منه ٢٦ سنة لما كان رئيساً لمجلس الجمعية الخيرية العام ، ومنه يعرف مقدار ما كان يكنه فؤاده الطاهر وقلبه النقي نحو البؤساء والمعوزين :

عنوا فقر فقه نيا مجلس جمعية اسمى اجيزه لعل

فقد حصل عندى غايه البرور عند ما طلبت على والى المجلس العلم لثقتى
 تحت راية فقه نيا في ٢٩ فبراير ١٨٨٦ وزيته في فلاح بشارت
 انقضى اجيزه بعد الاستكانه والتمرد وجمع لعل الى الظر بجمع
 استنفه والجهه ارفوه الى قوتنا الذيه في عوز وهما به طلبه الى
 همامنا بشؤونهم وبطريقه الرضا الى تحفيضه مقالع لعلهم ور
 رارة لفقرو العوز غرض ما استظنا قياما برامبه ما وكنا لعل
 عليه من حيزه وانعامه نقاط نقضى فقله وكلايه
 نيلهم باينا الاسانيه الاقل فقهه الله اقالنا وزبه نيا في النجا
 بهماننا وان في غايه المنونه من فطانه عفا مجلس عومنا وفتح فقه
 عومنا بهالكم لنا والى فقهنا كما حلك ايه نجا على
 انجابه فطانه عفا مجلس الاداره وتبنيه اطلبه الحكه تنفع في بط
 وتخييل البيان من هل استفا وكشفه ارفوه فقياما برامبه
 ارفوه وتبنيه لطلبه ففتح بقله اشاع صدر اري اولوانه به
 انه يكون مجلس الاداره مولفاه فطانه ارفوه الا في بيانهم

ولسهولة قراءة الحمد المقصودة من هذا «الخطاب» اوردها هنا بنصرها

« عزتوا أفندم حضرة نائب مجلس جمعية المساعي الخيرية العام
» قد حصل عندي غاية السرور عندما اطلمت على قرار المجلس العام المنعقد
تحت رئاسة حضرتكم بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٨٨٦ ، ورأيت في خلاله بشائر
انتهاض العزائم الخيرية بعد الاستكانة والخمول واجتماع الكلمة الى النظر بعين
الشفقة والمحبة الاخوية الى اخوتنا الذين في عوز وحاجة كلية الى اهتمامنا بشؤونهم
وبسط يد الاخاء الى تخفيف أتعابهم العالمية ورد مرارة الفقر والعوز عنهم بما استطعنا
قياماً بواجب ما وكلنا الله عليه من خيراته وانعاماته تعالى ، لتعضي فيها وكالة شريفة
حسنة تليق ببناء الانسانية الافضل ، حقق الله آمالنا وزين بتاج النجاح أعمالنا
الخ الخ ... »

بطرس غالى

رئيس عام جمعية المساعي الخيرية

كان رحمه الله ينفق في كل عام ما يزيد عن ثمان مئة جنيهه
مصري في شؤون البر والاحسان ، وهذا ظاهر في سجلات دائرته ،
منها النصف من ريع أطيان الطيب الذكر المرحوم والده « غالى بك
نيروز » أوقفها على عائلته وخصص منها جزءاً كبيراً للأعمال الخيرية ،
والنصف الآخر من ماله الخاص ، وكان أحسن الله اليه يجود بالاحسان
حباً بالاحسان ، ولا يميز بين دين ودين ، أي انه لم يحرم الطوائف الاخرى
الوطنية والاجنبية من مبراته واحساناته ، بل كانت يجود على فقرائها
ويساعد جمعياتها الخيرية من وقت الى آخر ، حتى ان عائلته الكريمة
حفظت له ذكر هذه الاميال الشريفة ، ونسجت على منواله ، فتصدقت
على روحه الطاهرة في يوم « الاربعين » بألف ومئتي جنيهه مصري

خصت منها الطوائف الأخرى بأكثر من النصف ، والباقي وزعته على فقراء الاقباط وجمعياتهم ، وتصدقت ايضاً بثمائة جنيه مصري عن نفسه الزكية يوم الاحتفال باقامة « جناز السنة » ، فكان نصيب الطوائف الأخرى منها ما يقرب من النصف ايضاً

ومن مزاياه الحسان في الاحسان ان عطاياه واحساناته في الخفاء كانت أكثر منها في الجهر والعلن ، وكان رحمه الله يكره اذاعة الاخبار عن اعماله الخيرية ويجهد بكتمانها على قدر طاقته ، وقد لامني مرة لأنه وجد خبر احسانه على فقراء الجمعية الخيرية مدوناً بالجرائد ولما افهمته ان الغرض من ذكر الخبر هو حضّ الغير على الاحسان والاقتداء به ، قال :

« عبثاً نحاول ان نغير طباع الناس ، فالذي يبذل الى الامساك لا ينأمر عن عمد ولا يحتاج لحض او ترغيب »

وقد ظهر لي ولعائلته الكريمة بعد وفاته رحمه الله ما كان يجريه في الخفاء من الاعمال الخيرية ، اذ كان يمد كثيراً من العائلات الفقيرة بمرتبات شهرية وينها كثير من العائلات الاسلامية التي كان له معرفة بعائلتها قبل وفاتهم ، وقد وصلت لنا اخبارها البعض منها مباشرة والبعض على يد وسطاء الخير من اصحابه ومعارفه مثل صديقه احمد زكي باشا وغيره ومما ثبت شدة ميله الى مساعدة البؤساء والمحتاجين انه تبرع بنفقات زفاف نجله واصف بك وكريمته السيدة جميلة لفقراء الطوائف على اختلاف مذاهبها ، ولما عاتبه احد اصدقائه على عدم اقامة مهرجان كبير

يليق بمقامه ، خصوصاً وان هذا العرس كان اول افراحه باولاده ، قال له :

« دع الناس تعود مشاركة الفقراء في افراحها عوضاً عن الالغنياً
لانك مهما صرفت فلان نجر من بمرهك او بفرح معك من قلبه ، اما
الفقراء فانهم بمرهونه عمك وبفرهونه معك »

وكان أحسن الله اليه يميل أن يرى جميع المعاهد الخيرية عمومية
يدخلها المسلم والمسيحي معاً ، ولما علم ان الجمعية الخيرية القبطية انشأت
مستشفى صغيراً وخصصته لفقرائها الذين لهم مراتب من صندوقها لم
يستحسن ذلك ، ولكنه رغمًا عن معرفته ان الغرض هو معالجة طائفة
مخصوصة من الفقراء تعولها الجمعية بما لها ، أصرَّ على فتح ابوابه للفقراء
على اختلاف مذاهبهم واجناسهم ، وكان ما اراد

ومما يدل على انسانيته بالمعنى الصحيح ما قرأت عنه في كتاب
تراجم مشاهير الشرق (تأليف حضرة جرجي افندي زيدان) قال :

« وكان مستقل الفكر يكره الدالة والوساطة وينظر الى حقائق الاشياء دون
اعراضها . ومما يروى عن تقديره الاشياء حق قدرها انه لما أخذت الحكومة في
انشاء المحاكم الاهلية وكان هو وكيلاً للحقانية احتاجت الحكومة الى موظفين لتلك
المحاكم فأعلنت ذلك وتقدم طلاب الخدمة بالعرائض ولكل منهم وسيط من الكبراء
على جاري العادة في ذلك العهد اذ كان للدالة والوساطة شأن عظيم . واستخرج
كتاب الحقانية أسماء الطالبين في كشف شبه جدول دونوا فيه اسم كل طالب
وذكروا الى جانبه اسم الكبير الذي توسط له او أوصى به . ورفعوا ذلك الكشف

اليه فقرأه فرأى اسم احد الطالبين في آخر الكشف وليس له وسيط ، وكان قد
تحقق بالفعل انه كلف للعمل فنقل اسمه الى أعلى الكشف وكتب بجانب اسمه في
محل اسم الوسيط لسائر الطالبين « وسيطه الله » يريد ان لا وسيط له غير الله
وقد نال الوظيفة »

ومن مآثره الغراء ، انشاء مدرسة بيا لتعليم اولاد الفقراء مجاناً ، وهي
يديرها الآن وينفق عليها حضرات الافاضل الامثال شقيقه امين بك
غالي وأنجاله نجيب باشا وواصف بك ويوسف بك والسيدتين ارملته
وكريمته ، وجميعهم يميلون بالطبع الى الاعمال الخيرية ويتفانون في خدمة
الانسانية ، فضلاً عما ورثوه من تلك المزايا العظيمة عن الفقيد الكريم
ووالده رحمة الله عليهما آمين

« رجل الانسانية » عطوفة محمد باشا سعيد

من الافراد القلائل الممتازين الذين تفتخر بهم الانسانية وتعجب باعمالهم وصنيعهم في الهيئة الاجتماعية ، حضرة صاحب العطوفة المفضل « محمد باشا سعيد » ، فهو والحق يقال قد جاهد جهاد الابطال في سبيل رفعتها واعلاء شأنها ، ولم يترك طريقاً يؤدي الى سعادتها وفلاحها الا وسلكه ، ولا باباً يوصل الى تقدمها ونجاحها الا وطرقه ، وبالاجمال فانه عمل عملاً عظيماً كبيراً خطيراً لم يسبقه اليه أحد يشكر عليه بكل شفة ولسان ، ولا ابالغ اذا قلت انه اول من ظهر على مسرح العاملين القادرين في أرض الاسكندرية لخدمة الانسانية وبنيتها

انظر الى المجد الباذخ الذي أقامه ، والأثر الشاخص الجليل الذي شيده وبناه ، تأمل ما كانت عليه الاسكندرية قبل ان تظهر فيها أعماله الحميدة ، وما هي عليه الآن من العز والسؤدد بين بلدان القطر بعد ان اينعت ثمار ما غرست يداه

من من الناس كان يصدق ان يرى في ثغر الاسكندرية عشرات من المدارس الوطنية على اختلاف انواعها وأغراضها ، ومن كان يحلم ان يفتح عينيه فينظر دور العلم والصناعة والادب منتشرة في ارجائها شمالاً ويميناً وشرقاً وغرباً

كانت « جمعية العروة الوثقى الخيرية الوطنية » قبل عهده في المهدي ، وكان كل من يدخل فيها عضواً او مشتركاً يستحي ان يذكر شيئاً عنها

او عن اتمامه اليها فاصبحت بفضل جهاده وغيرته من اكبر الجمعيات
الخيرية ليس فقط في أرض مصر بل في العالم بأسره

كنت فيها عضواً وسكرتيراً ، وكأخت مع من كافح في سبيل
تقدمها ورقيا ، ومع كل ما بذلناه كلنا من التعب وما كابدته كل منا من
المشاق والنصب ، فاننا لم نتقدم بها الا بعض خطوات قليلة لا تذكر في
جنب جسامتها وعظمتها الحاليتين

وقد كنت فيما أتذكر كلما رجوت أحد الكبراء من معارفي
بالاسكندرية ان يدخل فيها ويندمج في سلك أعضائها أسمع منه التهميم
والازدراء ، فاصبح الكبير الآن يتهاوت عليها قبل الصغير والفخر كل
الفخر لمن ينتمي اليها ويشارك فيها

كان لها على عهدي مدرستان للذكور وثلاثة للاناث ، فاصبح لها
الآن ملجأ واسع وثمان عشرة مدرسة كبيرة ما بين علمية وأدبية وصناعية
كان ايرادها السنوي وقتئذ لا يزيد عن الألفين من الجنيهات ،
فصار دخلها الآن لا يقل عن عشرين ألفاً . وكل ذلك بفضل هذا الرجل
العظيم خادم « الانسانية » وصديق العلم وحليف الأدب ، فاذا كنت
لا أشكره وأثني على أعماله بلسان الالوف والملايين من المصريين ، فان
« الانسانية » وحدها كفيلة بشكره والثناء عليه والتاريخ ايضاً يحفظ له
أعظم ذكر بين الناس

عظماء الانسانية واصدقاؤها

كنت اود أن اذكر اسماء جميع الافاضل الذين شيّدوا الجوامع
والكنائس اعترافاً بفضلهم وتخليداً لذكورهم ، ولكن بعض اصدقائي لم
يوافقوني على ذلك وحتجّتهم ان امثال هؤلاء المحسنين لهم حساب جارٍ
عند الله فهو الذي يقدر عملهم ويعوض عليهم اضعاف اضعاف ما انفقوا
في بناء بيوته وتعمير مساجده وكنائسه ، خصوصاً وأن عملهم هذا يعتبر
عملاً دينياً أكثر منه انسانياً ، فعملت برأيهم وعدلت عن نيتي بعد ان
جمعت احصائية وافية عن هذه الجوامع والكنائس

وكنت اود ايضاً أن اذكر شيئاً من اعمال الجمعيات والمشروعات
الخيرية العظيمة التي قام بعملها كثيرون من اهل الفضل والغيرة
الانسانية ، فوجدتها كثيرة يلزم مجلد كبير لتدوينها فضلاً عن عدم
امكان حصرها ، فاخترت من بينها ما يخص « الانسانية » فقط -
وهو المدارس والمستشفيات والملاجئ التي قام بتشيدها الافراد من
مالهم الخاص ووقفوا عليها حصة من ريع املاكهم واطيانهم لحفظ كيانها
واستمرارها على الدوام الى ما شاء الله - اما الذين اشتركوا في
المشروعات الخيرية وبنوا طوبة فيها ، فلهم من الانسانية شكر عام يُوجه
الى اشخاصهم الكريمة وثناء عاطر تفوح رائحته الزكية أينما حلّوا
وحيثما ساروا

وحتى لا يعاتبني من يجد اسمه بعد غيره ، ادوّن هذه المآثر العظيمة
بحسب تاريخ وصول بيانها اليّ

المرمومة الاميرة شويكار هانم افندى الكبرى والدة المرموم الامير
صهر رفعت بانا شفيق الخريوى الاسبوي - اوصت بعمل مدرسة لتربية
اولاد الفقراء والمساكين ويصرف عليها الآن نحو ألفي جنيه سنوياً ،
والمدرسة كائنة « بالחסانية » بمصر ومشهورة باسمها

المرمومة الاميرة بمبا فادنه هانم افندى والدة عباس بانا الاول -
وقفت ألف فدان لادارة مدرسة تربي اولاد الفقراء والمدرسة كائنة
بالصليبية ومعروفة باسمها « ام عباس » وفيها ٨٠٠ تلميذ

المرموم خايل آغا - وقف املاكه واشترط عمل مدرسة كبيرة
لتربية الأيتام والفقراء وخصص لها ما يقارب الالفين من الجنيهات
ويزاد هذا المبلغ بحسب الزمان والمكان ، والذي يصرف الآن من هذا
السبيل نحو اربعة آلاف جنيه سنوياً ، ثم رتب ١٤٠ جنيهاً راتباً سنوياً
لفقراء المستشفى الاميري ، ويوجد بالمستشفى المذكور خمسة اسرة مكتوب
عليها اسم « خليل آغا »

المرموم مفتارى بانا - وقف جميع اطيانه واملاكه وخص
المدارس والمستشفيات بشيء من ريعها سنوياً كما يأتي

(١) ريع مئة فدان لمدارس جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية

	جنيه مصري	
مدرسة طنطا الشهيرة باسمه للذكور	٤٠٠	(٢)
» » » » للبنات	٤٠٠	(٣)
» السنطة الصناعية	٣٧٠٠	(٤)
» العلمية للذكور	٥٠٠	(٥)
» حسن المسرات بلزقازيق	٥٠	(٦)

جنية مصري } تصرف في كل عام لتعليم عدد من ابناء الفقراء المسلمين
بمدرسة طنطا الاميرية ٢٥٠ (٧)

تصرف في كل عام لمدرسة ابناء الجمالين بجمرك اسكندرية ٤٠٠ (٨)

لمدرسة الاتحاد بالمنصورة للذكور ١٦٠ (٩)

تصرف اعانة لمستشفيات الدول السبع الاجنبية بالقطر
المصري، وهي دولة بريطانيا والنمسا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا
واليونان وروسيا } ٤٠٠ (١٠)

(١١) ثم وقف نحو ١٦٩ فداناً على مدرسة محمد علي الصناعية باسكندرية

سواربي باشا - انشأ مستشفى كبيراً بجهة قليوب بلده واثته

باحسن الاثاث وهو يصرف عليه من ماله الخاص ما يقرب من الفى

جنيه وفي نيته أن يوقف عليه بعض اطيانه الواسعة

داوود بك نكند - شيد مدرستين كبيرتين للذكور والانات

(مجاناً) بجهة بهجوره بمديرية جرجا يصرف عليهما من ماله الخاص مبلغاً

لا يقل عن ٧٠٠ جنية في كل عام ووقف عليهما مئة فدان وثمانية من

اجود اطيانه

انمواله مشرفى وفخرى بك ولييب بك عبر النور - انشأوا مدرسة

ابتدائية للذكور بجرجا يصرفون عليها من مالهم الخاص

الخوامه نمر عبد الملك مقار المارخ - اسس مدرسة ابتدائية

للذكور بجرجا يصرف عليها من ماله الخاص

المرموم بسطا بك روفابل - اسس مدرسة كبرى للذكور

بسوهاج ووقف عليها مئة فدان من اجود اطيانه ويديرها الآن حضرات

انجاله الافاضل

المرحوم الخواجه دوس روفابيل - أسس مدرسة للبنات بسوهاج
ويصرف عليها من ماله الخاص

المرحوم واصف خياط - أسس مدرسة كبرى للبنات بسيوط
تدعى «الواصفية» ووقف عليها اطياناً ويديرها الآن حضرة نجلاه الفاضل
الخواجه بسطوروس خياط

بئرى بك منا وسينوت بك منا - أسسا مدرسة للذكور في جهة
الفشن حيث اطيانهما الواسعة يصرفان عليها من مالهما الخاص
اصمربا االانفى - أسس مدرسة ابتدائية للذكور بجهة منيا
القمح حيث اطيانه الواسعة ، يصرف عليها من ماله الخاص

العلم سمر فرج وصلب افندى يوسف وديمنى افندى مخايل -
من اعيان فاقوس اسسوا مدرسة للذكور وهم يصرفون عليها من
مالهم الخاص

السبح شحاته ابراهيم والسبح على مسن عزائم ومسين افندى كامل -
من اعيان فاقوس اسسوا مدرسة للذكور وهم يصرفون عليها من
مالهم الخاص

المرحوم على باشا رفاعة - أسس مدرسة كبرى بطهطا ابتدائية
وثانوية ووقف عليها اطياناً كثيرة ويديرها الآن حضرات انجاله الافاضل
سبح العرب مصطفى حمزه - شيد مدرسة للذكور بجهة كوم
حماده ويصرف عليها من ماله الخاص

المرحوم وبصا بفطر - أسس مدرسة ابتدائية للذكور بسيوط
وخصص لها حصة كبيرة من ريع اطيانه الواسعة يديرها الآن حضرات

نجليه الفاضلين جورجى بك وزكى بك ويصا وكريماته الثلاث السيدات
بلسم وروچينا وفاروزه الذين لم يكتفوا حفظهم الله بحفظ كيان هذه
الوديعة بل زادوا عليها ودائع سيتركونها هم ايضاً في ذمة اولادهم بعد حياتهم
الطيبة ، وهذه الودائع هي انشاء مدرسة تجهيزية كبرى بمدينة اسيوط
صرفوا عليها ما يقرب من الاثني عشر الف جنيه وابوابها مفتوحة لاولاد
الفقراء من جميع الاجناس ، وقد أسست هذه العائلة الكريمة غير هاتين
المدرستين ، مدرسة ابتدائية بجهة ابو كساه للذكور

مفتاح بك معبر - أسس مدرسة صغيرة بجهة ابو كساه ويصرف
عليها من ماله الخاص

صمد بك الباسل - أسس مدرسة ابتدائية ببلدته بقصر الباسل
بجهة الفيوم معروفة باسمه ويصرف عليها من ماله الخاص

المرموم اسماعيل بك دبوس - أسس مدرسة ابتدائية للذكور
وملجأ للفقراء بجهة نكلا العنب بمركز أتيابي البارود ووقف عليها اطياناً ،
ويديرها الآن حضرة الفاضل ابن أخيه أحمد بك دبوس

المرموم السباعى بك منصور - أنشأ مدرسة صغيرة للذكور بجهة
قلين ووقف عليها عشرة فدادين

فليل بك ابراهيم - أسس مدرسة صغيرة للذكور بجهة الشين
يصرف عليها من ماله الخاص

المرموم الخوام جورجى داود وأخوه الخوام احمد دبوس داود
والسيرة شقيقتهما - أسسوا مدرسة كبرى وبها قسم تجهيزي للذكور
واخرى للبنات بقنا ووقفوا عليهما ٨٠ فداناً من احسن اطيانهم

السيرة سفينة قرية المرحوم الخواجه بساره عبير - أسست مدرسة
للبنات بقنا وهي تصرف عليها من مالها الخاص

السيرة آتى قرية المرحوم الخواجه مرقس عبير - أسست مدرسة
للبنات بقنا تصرف عليها من مالها الخاص

المرحوم سليمان بك احمد - أسس مدرسة ولي العهد بقنا من ماله
الخاص وتديرها الآن عائلته الكريمة

دائرة القصر العالى - أسست مدرستين صغيرتين للبنين والبنات
بجهة اتيابى البارود والدايرة تصرف عليهما الى الآن

محمود بك الصرغى - أسس مدرسة صغيرة للذكور بقلشان (بحيرة)
ووقف عليها شيئاً من اطيانه

الشيخ يوسف الناقدورى - أسس مدرسة صغيرة وملجأ للفقراء
بجهة كفر خليفة (بحيرة) ووقف عليها اطياناً

الشيخ يوسف أبو منرور - أسس مدرسة صغيرة وملجأ بجهة
رمسيس (بحيرة) ووقف عليها اطياناً

برجس بك سوربال وانوته - أنشأوا مدرسة كبيرة للذكور بجهة
ميت بشار (شرقية) يصرفون عليها من مالهم الخاص

محمد باشا البرادى عاشور - شيد مستشفى للرمذ بالمنصورة صرف
عليه هـ آلاف جنيه

محمد بك الشناوى - أنشأ مدرسة صغيرة للذكور بالمنصورة بشارع
البحر الصغير يصرف عليها من ماله الخاص

مصطفى بك الجورجى - أنشأ مدرستين ابتدائيتين للذكور

أحدهما بيلده بریم بالقرب من محطة كوم حماده والثانية بكفر الزيات
ووقف عليهما املاكاً واطياناً لحفظ كيانهما الى ما شاء الله

محمود باشا سليمان - أسس مدرسة صناعية كبرى ينذر ابو تيج
ووقف عليها ثلثماية فدان من اجود اطيانه ، وقامت هذه المدرسة بخدم
جلیلة لمديرية اسيوط والبلاد المجاورة لها

الخوام مكرم عبير - أسس مدرسة صغيرة للذكور بقنا يصرف
عليها من ماله الخاص

القمصن غطاس بشاره - أسس مدرسة ابتدائية للذكور بجهة
قوص ووقف عليها ٥٠ فداناً من اجود اطيانه

سعيد بك عبد المسيح - شيد مدرسة نخمة للبنات بالمنيا ووقف
عليها خمسين فداناً من اجود اطيانه

عبدالله افندى المجهري - أسس مدرسة للذكور بالبرجين (المنيا)
صرف عليها ما يزيد عن ألف وخمسمائة جنيه مصري ، ويصرف عليها
من ماله الخاص

ابراهيم بك لبيب والخوام منا يعقوب والخوام خليل برسوم من
أعيان المنيا - أسسوا مدرستين للبنين والبنات يصرفون عليهما من
مالهم الخاص

نحمد افندى خليل الممامسى - أسس مدرسة كبيرة للذكور بالمنيا
بمساعدة نياقة مطران المنيا وغيره وقد صرف عليها ٥٠٠ جنيه من ماله
الخاص بخلاف ١٥٠٠ جنيه اقترضها على ذمة بناء المدرسة المذكورة ورهن
عليها بعض املاكه

عائدة طوني — أسست مدرسة ابتدائية للذكور بالسلامية (بالدابة)
تصرف عليها من مالها الخاص
عبر المسيح بك موسى — شيد مدرسة ابتدائية كبيرة للذكور
بالزقازيق يصرف عليها من ماله الخاص

ومن الذين يساعدون المدارس باعانات سنوية تستحق الذكر
حضرات الفاضلات والافاضل الآتية اسمائهم :

السيدة الفاضلة ارمدة المرهوم « بطرس باشا غالى » — تساعد
« المشغل البطرسي الخيري » بمصر الذي تديره الجمعية الخيرية الفبطية
السيرتانه ابارتانه روم وبنول اثناسيوس — تساعدان مدرسة
البنات بالفجالة بمصر التي تديرها جامعة المحبة

الكومندور واصف مبريس — يساعد مدرسة ثمرة الحياة للبنات
بالمنصورة التي تديرها جمعية ثمرة الحياة — ويساعد ايضاً مدرسة الاقباط
للذكور بالمنصورة التي يديرها المجلس الملي

الخوارج انور اوس بشاره ونجد بسى بك انور اوس — يساعدان
مدرسة الصنائع بالأقصر وقد وقفها عليها اطياناً

الركنور ابراهيم بك منصور — يساعد مدارس التوفيق للذكور
والبنات والصنائع وقد وقف عليها اطياناً

وكثيرون غير من ذكرنا يساعدون المدارس بمبالغ سنوية لم اتوصل

الى معرفة اسمائهم ، فالانسانية تشكرهم جميعاً وتقدر لهم جميل صنعهم حق قدره لأنهم والحق يقال رفعوا رؤوس المصريين بين الأمم الأجنبية النازلة بيننا ، وظهروا اخلاصاً حقيقياً لبلدكم ووطنهم واحسنوا الى المستقبل احساناً عظيماً ليس بعده احسان ، لأن الاحسان الى العقول أنفع للانسان من الاحسان الى الاجسام والبطون ، هذا يدوم الى آخر العمر وذلك قصير الأجل قريب الزوال

اصدقاء الفقراء

أما الذين يساعدون الفقراء والباثسين بواسطة الجمعيات الخيرية فمددكم كثير والحمد لله ولا أبالغ اذا قلت انهم يبلغون الوفاً لأن النهضة الحديثة التي ظهرت بين المصريين في العهد الأخير أعادت اليهم رونق حياة آبائهم واجدادهم وما كانوا عليه من حب الفقير والميل الى فعل الخير ، وفي ظني ان العلم والتقدم لها الفضل الأول في تحويل اميال الناس من الخشونة والقساوة الى ضدها . وربما كان للانسانية تأثير قوي على العقول والقلوب فانها لما وجدت منهم اقبالاً عليها لعبت دورها بهم وجذبتهم الى احضانها وطوقتهم بذراعيها ويديها فامتلوا لأمرها وأطاعوها وعرفوا قيمة الاحسان ومقدار حقوق الانسان على أخيه الانسان

التمدن

التمدن ناموس يرشد الانسان الى تحسين احواله الدينية والأدبية وعاداته وأخلاقه وتثقيف عقله وتهذيب نفسه ، ومن شروطه ان يعيش الانسان مع أخيه الانسان بالاتفاق والمحبة والوثام ، لأن المتمدن هو من عاش بين الناس باللطف والحسنى ووعى من التدين وحسن الآداب ما يجدر بالتمدن ان يكفى به ولا يتوفر معنى التمدن بجمع النشب ولا بأصل الحسب والنسب

الآلُ والمالُ أوهاهُمُ قد انخدعت بها الأنام فخصتها أمانها
ساروا مع الوهم حتى خال ناظرهم أن التمدن بعض من مبانها
إن التمدن أعمالٌ تقدمها للخير نفسٌ تجلت معانيها

وقد قيل ان التمدن هو التخلق بأخلاق أهل المدن ، والأخذ بعاداتهم وأساليبهم ، والسير على نظمات معيشتهم من حيث التأنق في المسكن والملبس والمأكل ، وتقليدهم في صفاتهم وورقهم من حيث اللطف في الحديث والتفنن في الذوق والحركات ، والتكلم بلغة او لغات أجنبية ولكن الحقيقة غير ذلك لأن الانسان لم يتميز عما سواه من الحيوان الا بالنفس الناطقة المتمتعة بالعقل والادراك وغيرهما من قوى النفس ، وبحسب النفس ، هو مخلوق على صورة الله ومثاله ، ومتى كانت هذه القوى فاعلة فالانسان مميز لأنه يرتب ويفطن ويحكم ويختار ويخترع ويفعل الافعال الارادية ، فان كانت نفسه متحلية بالفضائل ومتجلمة بالكمالات كانت جميع أعمالها حسنات ، وبعكس ذلك اذا كانت شريرة خبيثة

منغمسة في حمأة الرذائل والسفالات كانت جميع أعمالها سيئات فوق
سيئات وكان صاحبها أقرب الى الحيوان منه الى الانسان ، وقد يخرج عن
دائرة « الانسانية » لعدم اهتمامه بحقوقها

فالولايات التمدن اذن هي التمسك بعري التقوى الغير المنفصمة عن
شعائر الدين لأنها تربي في أنفسنا تلك الخصال التي تجعلنا اكثر استعداداً
لاعتبار من يشاركنا في حقوق الانسانية ، وهذه الحقوق نشعر بها دينياً ،
(بالنظر الى الواجبات التي يطلبها منا خالقنا سبحانه وتعالى) اكثر مما
نشعر بها أدبياً او مدنياً

ولأجل كمال الاتصال والائتلاف بين افراد الجنس البشري ، وحتى
يكون الجميع عائلة واحدة ، جعل بحكمته الباهرة لكل بلد واقليم خاصيات
ومواد لا توجد في غيره ، حتى صار العالم بأسره أشبه بسلسلة تعددت
حلقاتها ، فكانت كل واحدة منها مفتقرة الى اختها لا يتيسر حفظ
تركيبها ونظامها بدونها ، وخلق الناس متباينين في الكفاءة والاستعداد
متفاوتين في المدارك والمواهب ، اي ان ما يصلح له الواحد قد لا يصلح له
الآخر لانه يستحيل على المرء ان يكون زارعاً وصانعاً وكاتباً وطبيباً وتاجراً
واستاذاً وفقيراً وشيخاً وقسيساً ، يقوم بكل احتياجاته الطبيعية والادبية
والدينية . ومن هنا ينتج الحكم بمساعدة كل منا بما افتقر اليه الآخر ، لان
المعاونة على الاعمال ينتج منها الالفه ، والالفه من شأنها المعاشرة ،
والمعاشرة ان كانت حسنة تكسب الانسان فوائد جمة ، وبالعكس اذا كانت
ردية ، وليس من ينكر ذلك . فالتخلق اذاً بأخلاق أهل المدن ليس
كل التمدن ، لان التمدن كما قدمنا لا يقتصر على التألق في الزي والملبس

والمسكن والمأكل بل ان أساسه الاتصاف بمحامد الصفات والتحلي بمكارم الاخلاق ، فقد يكون أهل مدينة من المدن ماهرين في صناعتهم ناجحين في متاجرهم ، ولكنهم مع ذلك منحطون في أخلاقهم سافلون في مبادئهم وآدابهم ، فهؤلاء لا يصح تلقيبهم بالمتمدنين

وبالله ماذا تفيد نظافة اللباس مع وسخ الضمير ، ورقة الحديث مع غلاظة القلب — كذلك لا فائدة من الاكتفاء بتقليد الاوربيين في أزيائهم وأساليبيهم وحرركاتهم ، دون الاقتداء بهم في أعمالهم الصالحة وغيرتهم وآدابهم وعلومهم ومعارفهم واختراعاتهم وسخائهم بالنفس والنفيس في تعضيد كل مشروع خيري

فالظواهر اذا وهم باطل ، اذ لا التخلق بأخلاق أهل المدن ، ولا النظافة والالطف والرشاقة وخفة الحركة واللباس واللغة او اللغات ، تقودنا الى التمدن الحقيقي ، وما هذه كلها الا اذيال وقشور لا فائدة منها ، كما قال الشاعر

لا تعجبك أثواب على رجلٍ دع حسن أثوابه وانظر الى الادبِ
فالعود ان لم تفح منه روائحهُ لم يفرق الناس بين العود والخطبِ
ويزعم بعضهم ان التمدن قائم بقلة التدين ، وهذا ضلال مبين لان رأس الحكمة مخافة الله ، والقيام بفروض الايمان باحترام وأمانة وتهذيب الاخلاق ، واجتناب التدليس والرياء والغش والمكر والكذب والتمليق والنميمة والعجرفة ، والتزام الشرف ومعاملة الناس بالذعة والكمال ، ورفد المسكين ، وتعزية الحزين ، وحب الاوطان — هذه كلها مقدمات التمدن السامي ، فاين البرهان على صحة ما يزعمون ؟؟؟

العادات والأخلاق والتمدن

ان عادات البشر وأخلاقهم تعتبر احسن دليل على حالة تمدنهم ،
فكلما كانت هذه العادات والاخلاق حسنة ورضية كان نصيب أهلها من
التمدن وفيراً ، وكلما كانت هذه العادات والاخلاق رديئة كان حظهم من
التمدن قليلاً ضئيلاً ، ولذلك يجب على الانسان الداخل في دائرة التمدن
ان يُعنى كثيراً بتحسين عاداته وأخلاقه لكي لا يكون تمدنه من باب
الدعوى بدل الحقيقة كما يشاهد في كثير من الأمم

ولما كانت العادات والاخلاق ينظر اليها تارة من الوجهة الخصوصية ،
وطوراً من الوجهة العمومية ، وجب ان يكون كلامي عليها خاصاً وعماماً
(اولاً) الخاص - ان المراد هنا ، هو النظر الى تحسين العادات
والاخلاق الشخصية ، اي التي تخص الشخص منفرداً ، وهي اما طبيعية
او أدبية ، فالطبيعية تدعى ملكات ، والادبية عادات ، وجميعها يرجع الى
التطبع ، لأنه الأصل في هذا الموضوع ، ولذلك يجب ان يكون المدار عليه

ان الانسان يولد على الارض خالياً من جميع العادات والاخلاق ، جيدة كانت
اورديئة ، لا شيء فيه سوى الاستعداد للتطبع ، فاذا كان استعداده جيداً ، مال
الى قبول الجيد ، واذا كان رديئاً مال الى قبول الرديء . فليس لتحسين العادات
والاخلاق الشخصية أهم من اخضاع الاستعداد الانساني منذ الصغر للطباع الحسنة
والتخلق بالاخلاق الجيدة . على انه في هذه المدة من الحياة تكون الطبيعة شديدة
الخضوع للموثرات فكل عادة وجدت في الحداثة ان لم تستدرك طبعت لها أثراً

على العقل وصارت ملكة عند الكبر لا يمكن استئصالها الا بمشاق التعب الزائد ،
وهكذا كل خلق . ومتى انتقل الانسان الى سن البلوغ فصاعداً صار التطبع صعباً
جداً على الطبيعة ، ولم يبقَ للملكة سلطان عليها ، لانها تصير خاضعة لغلبة العادة
التي ليس في ازالتها صعوبة . اما كيفية ذلك الاخضاع للاستعداد الانساني فتم
بصرف الاميال عن التطبع بالعادات والاخلاق المنكرة ، وتحويلها الى المقبولة منها ،
ولا يمكن التسليم بكون الشخص متمدناً ما دامت عاداته وأخلاقه غير موافقة لما
يقتضيه التمدن من حسن التعود والتخلق

فالتمدن لا يتفق مع عادة السكر ، لان ذلك يطلب تقوية العقل وتصحيح
التصور وتتميم الذاكرة ، وهذه تقتضي اضعاف المدارك العقلية وإيقاع الخمول
وافساد الفكر . ذلك يستلزم حسن الصفات كالانسانية والطف وعزة النفس ، وهذه
تستدعي قبيح الاوصاف كالتوحش والسماجة والدناءة . ذلك يطلب الالتفات الى
الأعمال والأشغال والجد والنشاط ، وهذه تطلب البطالة والتواني والكسل .
ذلك يدعو الى المحافظة على الصحة وتجنب أسباب الامراض ، وهذه تطرح كل
نظام صحي وتفتح سبيلاً واسعاً للامراض القتالة

والتمدن لا يتفق مع عادة النهم ، لأن ذلك يطلب الاقتصار على كفاية الطبيعة
حسب انسانيتها ، وهذه تحملها فوق طاقتها فتكسبها الاخلاق البهيمية . ذلك يطلب
الترتيب في المعيشة والتوفير حذراً من الوقوع في شرك الاحتياج ، وهذه تقتضي
الانهاك والاسراف فتكون داعية الى الحاجة

والتمدن لا يتفق مع الفجور لأن ذلك يستلزم الطهارة والعفة ، وهذه تستوجب
الدنس والشهوة . ذلك يتطلب الدعة والتعقل والرزانة ، وهذه تبغي الغضب
والحق ، ذلك يتطلب الحياء والأدب وهذه تقتضي القحة والدعارة

والتمدن لا يتفق مع خلق الكذب ، لأن ذلك يطلب الاستقامة والأمانة ، وهذا يقتضي الاعوجاج والتزوير وخراب الذمة . ذلك يستلزم النزاهة والثقة ، وهذا يستدعي الخيانة والنكث . ذلك يجعل الانسان مكرماً محبوباً ، وهذا يصيره مهاناً ومبغضاً وممقوتاً

والتمدن لا يتفق مع عادة النيمة ، لأن ذلك ينادي بقبح افشاء الاسرار ، وهذه تأذن باعلانها . ذلك يسدل ستار الخفاء على كل النقائص والعيوب وهذه تدأب على اظهارها

والتمدن لا يتفق مع خلق الغضب ، لأن ذلك يطلب التوادة والثبات في الأمور وهذا يطلب التسرع والعجلة . ذلك يطلب استرضاء الناس واستمالتهم وهذا يستلزم اسخاطهم وتغييرهم . ذلك يقتضي البشاشة والبشر ، وهذا ينتج الوجود والانتفاض

والتمدن لا يتفق مع الجبن ، لأن ذلك يطلب الثبات والصبر على الأحوال والمصائب وهذا يدعو الى الجزع والاضطراب لدى كل حادثة . ذلك يقتضي الاقدام والشجاعة وهذا يستدعي الفرار من كل شيء

بجميع هذه العادات والاخلاق الشخصية وأشباهاها مما لم يذكر ، لا يمكن اتفاقها مع قوانين التمدن ، ولذلك يجب استئصالها من الناس وتربيتهم على اضدادها ولو دعا الأمر الى مكابدة صعوبة قصوى ، وبهذا يتم التحسين المطلوب لتقويم العادات الخاصة

(ثانياً) العام - ان مرور أزمنا الجهالة على بعض البشر وتقاب الاحوال فيما بينهم قد أحدثت فيهم كثيراً من العادات والأخلاق التي تنكر عليهم اذا دخلوا في نظام التمدن ، ولذلك يجب على أمثال هؤلاء ان

يجتهدوا في ازالتها واستبدالها بما يناسب روح العصر

فلا اعتبار لأولئك المدعين التمدن اذا كانت بيوتهم مملأة بالآثاث النفيس والرياش الفاخر وليس فيها كتاب او شيء آخر للعلم ، لكننا اعتبارهم يقوم اذا كانوا يعلمون ان زينة العقل تفوق زينة المسكن ، وان هذه نتيجة الاجيال المظلمة التي كانت تنطبق على آيات التفاخر والعظمة الفارغة ، وتلك نتيجة العصر النير الذي لا يعتبر ولا يقبل ما لا نفع فيه

ولا يعتد بهؤلاء المتظاهرين بالتمدن اذا كانت رؤوس نسايتهم تسطح وتتألاً بأنوار الاحجار الكريمة ذات الثمن الوافر والعديمة المثال ولم يكن في تلك الرؤوس أدنى شعاع للعلم والأدب ، بل يُعتد بهم اذا هم رفعوا جميع تلك المظاهر الخيالية واهتموا بتعليم وتهذيب نسايتهم

ولا اعتبار كذلك لأولئك الذين ينفقون المبالغ الوافرة في اعداد المآدب الفاخرة والولائم الحافلة في أيام المواسم والافراح ولا يجودون بقرش واحد في سبيل الخير

وبالاجمال اقول ان مقام هذا الموضوع العام يقتضي ايراد شواهد شتى عدلت عن ايرادها جباً بالاختصار ، الا انني اختم هذا الباب بالقول انه لا يمكن ان يقبل التمدن في نظامه اية عادة قبيحة او خلق ردي ، ولا يقدر انسان اياً كان ان يدخل تحت لوائه ما لم يحسن عاداته واخلاقه

العادات الرديئة

فينا كثير من العادات الرديئة بعضها بسيط بل غاية في البساطة ،
ومن السهل الاقلاع عنه بعد استيعاب ما اشتمل عليه كتابي هذا ، ان
لم يكن من قبيل الميل الى التهذيب والكمال فعلى الاقل من قبيل العمل
بنصائح « انسان » مخلص ومحب لوطنه وبنبي وطنه يكتب هذه
« المقالات » وقلبه مملوءة آملاً بأنها تصل اوراق النفوس وتؤثر فيها التأثير
المطلوب

والبعض الآخر رديء جداً او هو متناه في الرداءة ، واخشى ان
اقول ان بعض هذه العادات راسخ ومتأصل في نفوس اصحابه تأصلاً
يكاد يجعله قطعة من اجسامهم - وسأسرد كلاً منها فيما يلي :

أما العادات البسيطة فاني اوردتها هنا بحسب ما يحضرنى منها

(١) سرقة فحوى المكاتيب - او بعبارة اصح وافصح قراءة خطابات الغير
خلسة ، فاذا كان هذا التعبير لم يزل غامضاً فاني اشرح لحضرات القراء ما حدث
لي من هذا القبيل ، وهو انني بعثت كتاباً الى احد اقربني في امر عائلي خطير
كنت اود ان لا يعرفه احد سوانا ولذلك اوصيته ان يكتبه ما استطاع ، وبعد
ايام حضر (قريبي) يعاتبني عناباً شديداً وينتقد اصراري عليه بكمائن الخبر مع ان
احد « الاصدقاء » يعرف عنه بعض الشيء ، فدهشت جداً ، ولكنني بعد قليل
من التفكير تذكرت ان هذا « الانسان » زارني اثناء كتابة الخطاب وانه طبعاً
حدق به خلسة وقرأ بعض ما فيه

(٢) العادة المتبعة في التحية بين المصريين - هي وضع اليد على الصدر او الرأس ان كانت عن بعد ، والمصافحة بالأيدي ورفعها الى الرأس ان كانت عن قرب ، والمقصود منها الترحيب و الاكرام بأجل مظاهرها وقد كتب في ذلك بعض علماء الغربيين يمدحون هذه الاشارات في التحية ويصوبونها ، لأن وضع اليد على الصدر يدل على المحبة والاخلاص ورفعها الى الرأس يدل على الاكرام والاحترام ، فلماذا يقلد بعض مناجاة الانجليز بهز رأسه في التحية ، والبعض يكتفي بوضع اليد في اليد بدون رفعها الى الرأس ؟

ومن قبيل تقليد الانجليز - أذكر تقليداً آخر أقل شذوذاً من الأول ، وهو ما يفعله بعض شباننا عندما يريدون تقليدنا في التكلم بلغتهم ، فأنهم يلوكون ألسنتهم ويعوجون فمهم ليجاروهم في لهجتهم ، وبما أنهم يقصرون طبعاً عن شأوا الانكليز في هذا المضمار فإن ألفاظهم تكون ثقيلة على السمع والنفس ويتم فيهم مثل الغراب الذي أراد ان يمشي مشي الطاووس

(٣) المزاح البارد - اعتاد بعض الشبان (الظرفاء) استعمال المزاح فيما بينهم ، (ونسمية بعضهم بأسماء مضحكة جداً) ، ولتيمهم يقتصرون على استعمال هذا المزاح وتبادل هذه الشتائم الصغيرة حينما يكونون بمعزل عن الناس فأنهم يتبادلونها في كل وقت وأمام أي كان وفي أي مكان ، وكل منهم يبذل جهده ان يسبق رفيقه في استنباط كلام أخف وأرق من النسيم . . . حتى يطرب ويلذ سامعيه ، ولا يكتفي بهذه التسلية الباردة بل يشب ويشب ويقذف زميله بكثير من العبارات المضحكة المصطلح على تسميتها عندهم « بعشرة من فن النكت » المستخرجة ليزيد سرور اصحابه وجلسائه فيأخذ الضحك حده والقهقهة غايتها بدون اهتمام او اكتراث لمن معهم في محل القهوة او مركبات الترام او القطار الخ

(٤) الجلوس في القهاوي - ليس في لوندرة عاصمة بلاد الانجليز قهاوي او

حانات في الشوارع والطرق ، والسبب انها بلاد نشاط وجد وعمل ، أشهر أهلها بالعظمة وسعة الجاه والشهامة وعزّة النفس وهم يضمنون بثمين اوقاتهم ان يقضوها ضياعاً في القهاوي . على ان الحكومة لم تبخل عليهم بالمقاعد الكافية وضعتها في وسط الجنائن الواسعة ، حتى اذا تيسر لأحد الناس لحظة للراحة قضاها في هذه الرياض الغناء وفي ذلك الهوا- الطلق بعيداً عن عدوى الأمراض القتالة التي تتولد ميكروباتها في محلات الاجتماع الضيقة مثل القهاوي وما يحكيها

أما في مصر فقد لا يوجد شارع او طريق او زقاق خلا من القهاوي والحانات والسبب في كثرة هذه المحلات العمومية الى الحد الذي لا يساويها فيه بلد آخر ، هو اقبال الناس على الجلوس في هذه المحلات يقتلون فيها كثيراً من ساعات النهار ومعظم ساعات الليل غير حاسبين للوقت قيمة او للأيام حساباً ، وذلك لتاهيهم في الكسل والتراخي والغباوة والجهل ولأن أفرادنا اسخياء في كل شيء حتى في اوقاتهم

(٥) عدم الحضور في الاحتفالات الخيرية خوفاً من « الغرامة » هذا اذا صح ان الاحسان والتبرع للمشروعات الخيرية في عرفنا نحن سلالة المصريين القدماء الكرماء . . . يُعد غرامة

(٦) عدم لبس الملابس السوداء في الحفلات والاعراس والجنائز والمآتم — نجد عند التاجر والكاتب والبدال والحداد والنجار والبناء وغيرهم من الاجانب ملابس سوداء يلبسها في الحفلات المذكورة ، فما الذي نجده عندنا نحن خلفاء المصريين المتمدنين ؟؟ نجد ملابس من جميع الأشكال والألوان ما عدا السوداء ، ولماذا ؟ لأننا لا نحترم أنفسنا ولا نهتم الأبله بطوتنا بمختلف الاطعمة ، أما النظام والترتيب في الحياة فانهما بعيدان عنا او اتنا لانميل اليهما الا بعد تعب وعناء شديدين فاذا تأملنا هذا العيب قليلاً وجدنا أنفسنا في وسط دائرة خطأ كبير ، وعلاجه

بسيط جداً وفي يدنا . ننظر أولاً كيف ان البدال (البقال) الأجنبي احترم نفسه
وأدخر بدلة سوداء يلبسها في الأوقات المناسبة ؟ هل يفوق ذكائه ذكائنا او ان
كياسته وذوقه أدق وأرق من كياستنا وذوقنا ، كلا . انه بدال ولا يبي في رأسه
الآيب بضاعته الحقيرة وجمع الدرهم والدينار

أما نحن فان الذكاء والنباهة والذوق السليم متوفرة فينا بفضل الله ، فكيف
يفوتنا هذا الواجب ؟ اننا بلبس الملابس السوداء في جميع الحفلات والاعراس
والمآتم نوذي واجبات كثيرة ، منها احترام أنفسنا ومعرفة قدرها ، واحترام من
دعينا الى داره ، واحترام بلدنا ، فضلاً عن التخلص من الانتقاد المر الذي يصوبه
الاجانب الينا كلما نظرونا في حفلة او جنازة ونحن بملابس من كل زي ومن كل لون

وعلى ذكر الجنائز والمآتم ، اقول انه يحزنني مع الذي عرفنا به من
رقة الاحساس ولطفه والميل الغريزي الى مؤاساة بعضنا البعض ، ان أرى
احداً منا يضمن على صديقه بالوجود معه في منزله وقت مصيبتة يشاطره
احزانه ويسليه في مصابه ، مكثفياً بالانضمام الى مشهد الجنازة في بعض
الطريق والسير فيه مع السائرين

(٧) السفر بالصرة (البقجة) — لقد زرت أغلب البلاد الكبيرة وبعض
الصغيرة في اوروبا فلم تر عيني أراً للصرة (البقجة) مع المسافرين فيها ، فقراء
او أغنياء ، بل ان كل مسافر معه حقيبة (جنطة) او اكثر ، او ملاءة (حرام)
محزومة بسير من الجلد ، وهذه فضلاً عما لها من الفائدة في حفظ وصيانة الملابس
من الانساخ والضياع ، فاتها تدل على الذوق السليم والتمدن الحقيقي ، اما أمتتنا في
سفرنا فان اكثرها ان لم يكن كلها يوضع في صُرد (بقج) من قماش مختلف
الالوان لا تكاد تصل بها الى مركبة القطار الا وقد تفكك بعضها وانحلت عقدها

وتبعثر ما فيها من الملابس ، وتلوث منها ما تلوث بالتراب وغيره ، وليس عدم استعمالنا للحقائب (الجنظ) بخلاً منا مماذ الله ، فانها رخيصة جداً ، ولكن ذلك لأننا لا نعرف للترتيب والنظام معنى

(٨) مسك السبحة - يصف الغرييون السبحة « بالكسلانة » (La Paresse) لانهم ليس لديهم الوقت الذي يتسلون فيه بهذه اللعبة . . . اما عندنا فاننا نراها تنطق في ايدي الكثيرين منا بنعمة الكسل وتسبح بحمده ، وقد يتخذها البعض كاداة للزينة والفخر ، ونور اقتصر الغرض منها على تسلية الايدي بالحركة ، او اتخاذها كحلية ، لهان الامر وحمدنا الله ، ولكننا بكل أسف نراها أحياناً من بعض عوامل التشويش في الاعراس والاجتماعات الادبية والعلمية ، فانها تفسد على المغنين والخطباء عملهم ، خصوصاً عندما يجتمع عشرات منها او اكثر في مكان واحد قائمات بعملها فانك لا تسمع الا صوت تحريك حباتها وطقطقتها ، وليس من يجسر على تنبيه أصحابها الى عدم ملائمة استعمالها وايقاف الايدي التي تحركها

مأساة - اني لا أقصد بانتقادي هذا « السبحة » التي يستعملها أرباب الدين والمتدينون في الصلاة

(٩) البصق على الارض - ان غيرتي على أمتي ووطني جعلتني أنظر الى العيوب الصغيرة كأنها كبيرة ، ولماذا ؟ لأنني اريد الرفعة لنفسي وبلدي وأمتي ، وربما اتقدي من لا يقدر التمدن قدره وقل في سره ، ما هذا التضيق على الناس . . . حتى البصق على الارض يعد من العادات الرديئة وهل هذا أمر يذكر . . . ولكن ماذا عسى يقول هذا المتقد اذا سمع ما سأقصه عليه ؟ لعله يتعظ ويرعوي . كنت ذات يوم سائراً في « شارع عباس » واذا برجل (مصري طبعاً) جالس في طنف (بلكونة) منزله ، فقدف من فمه الضيق الظريف . . . مقداراً كبيراً وهو مرسل

بصره الى القبة الزرقاء. يتأمل جلالها وجمالها ، وعظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي خلق مثله مؤدباً ومتمدناً فهل تعلم ايها المستقد ابن وقعت هذه الثقلة ، لا بد ان تفهم من سياق الحديث انها وقعت على ، فتأمل

(١٠) عاداتنا في مآتمنا — وهي من العادات المستعصية المتأصلة فينا ، أرى قلبي يضطرب ، ويدي ترتجف ، وقلبي يخفق ، وعندما أفتمكر وأتصور الفضائع والفضائح والمحزيات في مآتمنا

متى دخلت المنية بيت أحدنا ، والموت حق علينا وكلنا سائر هذا الطريق ، تقوم ضوضاء الولولة وتطير الصرخات الذريعة المريعة الى قبة السماء ، تقشعر لهولها الابدان ويستولي الكمد والانتفاض على سامعيها ، ويحل الجنون محل العقل والرزانة ، والهوس والرعونة محل التأمل والتبصر ، والجزع والفرع محل الحكمة والجلد ، فيزدحم البيت بالسيدات المعزيات من الاهل والمعارف ويتبدى تمثيل الفصول الوحشية ورثناها عن القدماء الذين كانوا يكافون الطبيعة الانسانية فوق طاقتها ، وكثيراً ما كتب الناصحون الغيورون على الانسانية وبنها الفصول الوافية المؤثرة في هذا الموضوع لعلنا نرعوي او نرتدع عن هذه العادات الذميمة ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، كأنها اختلطت بدمنا واتصلت بلحمنا وعظامنا

واني اكتب هذا وأنا يائس من النتيجة ، والذي يحزنني كثيراً ان «انسانيتنا» ساقطة سقوطاً تاماً ، لاننا لم نرث من القدماء سوى هذه العادة السقيمة ، وقد تركنا كل سجاياهم الجليلة ، مثل الكرم والنخوة والحماسة وحماية الجار ومحبة الجنسية ومن الأسف ايضاً اننا نرى بأعيننا كل يوم ما يفعله الاجانب والنزلاء بيننا في مآتمهم ولا تتعظ او نستحي من أنفسنا ، فلست أذكر اني زرت اجنبياً لتعزيتته ، الا واستقبلني بغاية الهدوء والرزانة والثبات حتى في يوم حلول مصابه ، ورأيت السكينة والوقار سائدين في بيته ، وكل من فيه رجالاً ونساءً يمشون على أطراف الاصابع

احتراماً واجلالاً واكباراً للراحل العزيز ، ولا أتذكر ان أجنبياً أقدم لأئمة خيمة
او صيواناً — فما السبب في ذلك يا ترى ؟ هل موتهم أقل احتراماً ومنزلة ومعزة من
موتانا ، أو هل لنا أصدقاء ومعارف أكثر من أصدقائهم ومعارفهم ، ام هي فوارق
في الاخلاق والآداب والعادات أوجدت هذا الاختلاف بين ماتمنا وماتهم

ان التمدن لا يسمح قط بان يدخل تحت لوائه كل الذين يعملون الحزن
شريعة ظالمة الى حد انهم لا يستعملون شيئاً من لوازم الطبيعة الا بعد بضع سنين
فلا يمكنهم ان يخففوا عنهم حرارة الشمس بلبس الثياب البيضاء ولو أدى ذلك الى
الاضرار بصحتهم ، ولا يستطيعون الخروج الى المتنزهات لاستنشاق الهواء النقي ،
ولو اعتلت أجسامهم ، ولا يؤذن لهم بسماع آلات الطرب وأصوات الغناء المخففة
للأحزان والمنعشة للارواح ، ولو أوقفهم الاكدار في داء عقم ، ولا يسوغ ان
يُصنع في بيوتهم شيء من المأكولات الطيبة حذراً من قول الناس انهم قليلو الاحساس
والشعور ، ولكنهم يحسبون من أهل التمدن متى علموا ان الحزن شريعة تطلب
عكس ما ينسبونهُ اليها ، وانه انفعال كلما حدث في النفس لا يكف عن استنهاض
ضده ايقاعاً لرد الفعل ، وكلما كان وقوع الفعل شديداً وسريعاً كان رده شديداً وسريعاً
وقد كتب كثيرون غيري من المتأثرين المتألمين من وجود هذه
العادات المقهورة المرذولة السائدة فينا والمتفشية بيننا ، ولكن ما فائدة كل
هذا التأم والانتقاد والتوجع اذا كانت هذه العادات لم تزل باقية في محلها ،
راسخة في مكانها ، لا تتأثر ولا ينقص منها شيء ،

وما ثمرة الكتب والمقالات والخطب اذا كنا لا نفهم حقيقة
مركزنا ، ولا الى أي طريق نحن مسوقون ، أ الى التقدم والرقى ، أم الى
الانحطاط والتأخر

وماذا يفيد الوعظ والنصح والارشاد ، اذا كنا لا نبصر ولا نسمع

ولا نتعظ ولا نحسب حساباً لأي كان ، ونضحى كل شيء على مذبح
هذه العادة الشنيعة

اني لفي غاية الدهش والعجب من تمسكنا بهذه العادة الرديئة التي
لا يميزها العقل ولا يقرها الدين بل تمجها الآداب ، وينبذها العلم ،
وتعافها وتفتر منها الانسانية - على حين اننا لانهتم بأية عادة من العادات
المحمودة التي كان آباؤنا وأجدادنا عليها

واني اكاد أجن من أحوال بني وطني وامورهم ، يتركون الجواهر
والأحجار الكريمة ويدوسونها بأرجلهم ، ويحافظون على خرق بالية اكلمها
العفن وغير شكلها الدهر ، ولا يقدر حيوان ان يقترب منها وبشم
رائحتها او ينظر اليها اشناعتها وبشاعة منظرها

واني افضل ان يواريني التراب ولا أرى أبناء وطني سلالة أعرق
الأمم مدنية وحضارة يركعون ساجدين أمام هذه العادة التي يقشعر
البدن من ذكرها

(١١) الشوار - الشوار (جهاز العروس) عند الغربيين عبارة عن ملابس
ومصوغات العروس لا اكثر ولا أقل . أما الشوار عندنا فإنه أشياء كثيرة
الاشكال متعددة الالوان (كما هي عاداتنا الضخمة في كل شيء) أثاث منزل كامل
من « موبيليات » ومفروشات وكافة الادوات النحاسية والأواني الفضية ، وملابس
ومصوغات وبالاجمال عروس كاملة الجهاز ، ومنزل لا يتقصه شيء - بحيث اذا
كان لأحدنا ثلاث او اربع بنات كان مكلفاً باعداد أثاث ثلاثة او اربعة منازل
كاملة الادوات . وتجهيز ثلاث او اربع عرائس بكل ما يلزمهن من الملابس
والمصوغات . . . فبالله ما هذه العادة بل ما هذا الخراب ؟ هل هذا الشاب

الذي يريد ان يتزوج تقبل نفسه ان شخصاً - قريباً منه او غريباً عنه - يفرش له بيتاً لا يتقصه شيء ، ومعه عروس بملابس ومصوغات كاملة ؟ انه في عرفي لجان عديم الشهامة ، بعيد عن سنة التمدن . كيف أن شاباً متعلماً مهذباً عاقلاً ومعدوداً في عداد المتمدنين يمثل ويخضع لحكم عادة ذميمة مستهجنة كهذه ، فيقبل ان رجلاً - قريباً منه او اجنبياً عنه - يشتري له من ماله كل ما يحتاج اليه بيته الجديد ؟

كيف يقدر ان ينام على هذا السرير او يجلس الى المراتب ويتكى على المساند ، او ينظر وجهه (المملوء عزة واباء) في المرأة ، وكلها ليست ملكاً له فلا يعرف قيمتها . وماذا يكون اعتيازه ومقامه عند زوجه وهي صاحبة البيت وجميع ما فيه حتى أصغر أدواته لها . اني لا أصدق ان النشأة الحديثة المتعلمة الراقية تخضع لسلطان هذه العادة الذميمة - التي أقل ما يقال فيها انها باردة وثقيلة ولو كان الأمر قاصراً على الملابس والحلى لكان . وقلنا هذه ملابس ومصوغات السيدة تلزمها وتحتاج اليها ولا يليق ان تدخل بيت زوجها بدونها ، أما عادة ارفاقها بأثاث بيت كامل فاني لا أرى لها معنى ولا طعماً

ان الانصاف والعدل بل الواجب والانسانية والتمدن كلها تقضي بأن يقوم الرجل بتأثيث بيته «بالموبيليات» والفروشات وكافة ما يلزم له ، ولا تطالب العروس إلا بما يلزمها من ملابس ومصاغ ، وبذلك تُصان كرامة الرجل ومقامه وعزة نفسه وشهامته - حينئذ تقف العروس عند حدها لا تفتخر بما لها ولا تتعالى على زوجها ربما تبادر الى ذهن بعض الشبان القصار النظر (الغير المتزوجين طبعاً) أنهم بذلك يحرمون من هذه النعم والعطايا الوفيرة ، والمزايا العظيمة . . . (أثاث بيوت كاملة) . . . ويعتقدون اني عدو لهم أصب عليهم جامات التعنيف والانتقاد ، ولكنهم - هدايم الله - متى علموا أنهم بعد العقد الرابع من عمرهم يصيرون والدين لثلاث او اربع بنات ادركوا خطاهم وقدروا كلامي حق قدره وضرربوا هذه العادة

الردية بيد الانفة والشهامة . والتفوا حول راية التمدن فرحين جذلين بقوة الحق
فان كنا قد ورثنا هذه العادة بتقادم الزمن فان العصر الحاضر ومدنيته يقضيان
عليها بقوة الارادة والحكمة والتبصر ان لم يكن من قبيل الرقي والحضارة والتمدن
فليكن من قبيل حب النظام والاقتصاد والتوفير ، لأن نفقات تأييث ثلاثة أو
اربعة بيوت اذا قام بها ثلاثة أو اربعة اشخاص تكون أخف وأقل ضرراً من قيام
شخص واحد بها — (راجع شريعة الترقى والانصاف)

(١٢) الافراح — ان الافراح من الحفلات المحبوبة يميل الى ذكرها اللسان ،
ويصبو اليها كل انسان ، ويود كل منا ان يكون في بيته فرح او مهرجان ،
يشاركه فيه الأقرب والخلان ، ويكون لسان حال الجميع : ليس في الامكان أبدع
مما كان

والفرح بالمعنى الصحيح هو الذي يجتمع فيه الاهل والاصحاب والأخصاء
حيث تبادل التهانى ، وتطرب القلوب وتتعش النفوس وتنجلي الخواطر

هذا هو معنى الافراح الحقيقي ، اما افراحنا وما يجري فيها فاتها تتجاوز حد
المعقول والمقبول ويكبر فيها كل شيء — فهي عبارة عن صيوان او صواوين طويلة
وعريضة ومرتفعة جداً مألانة بالثريات والمصاييح والرايات ، ومفروشة بالبسط
والطنافس ، وبها المئات من الكراسي والمقاعد المذهبة والغير المذهبة ليجلس اليها
المدعوون من الرجال — اما المدعوات من السيدات فيخصص لهن البيت بأكمله ،
ان كان طبقة او طبقتين او اكثر . وعندما تأتي الساعة ويحل موعد الاستقبال ،
يختلط الخابل بالنابل ويختل النظام فلا يعرف من الحاضر او القادم ، ولا ترى عينك
الا وفوداً وزمراً تدخل الصيوان او تصعد الى الدار حتى يمتلئ بهم المكان

فاذا سألت صاحب العرس او صاحبه عن هذا او هذه او هؤلاء من الداخلين
او الخارجين لم تسمع منهم غير لفظة معازيم ، (مدعوين) ، من هم ؟ لا يعرف

ولا تعرف . أمر غريب بل هو متعجب . يدعو السيد والسيدة ماث من الناس ولا يعرفان من هم ؟ ؟ لعلمهم متطفلون ؟ على ان هذا لو صدق في القليابين فانه لا يصدق في هذه الوفود المحتشدة . اذن من الذي دعاهم ؟ ، نسيبه ، وابن عمه ، وابن عمته ، وابن أخيه ، وابن اخته ، كل منهم موظف بمصلحة دعا زملاءه وأصحابه وأصدقائه لحضور هذا المهرجان العظيم . وصاحب العرس لا يعرف منهم غير البعض يعدون على الاصابع

فاذا بحثنا عن السبب في كل هذه الجلبة والضوضاء ، وجدنا ان حب الشهرة الكاذبة ، والفخر الباطل ، او حب الظهور والعظمة ، والميل الى الابهة والوجاهة ، كل هذه جرّت المصائب والارزاء على ذلك « المسكين » واوقعته تحت أثقال الدين والامثال لاستبداد وغلظة الدائنين ، ان كان معسراً

واذا تأملنا حالة هذا « المسكين » في تلك الليلة وجدناه مضطرب البال حائر الفكر ، يحسب ألف حساب لما صرفه من الاموال ، وما سيصرفه بعد انتهاء الليلة ، ولا يدري أيقترض ويرهن ملكه ، او يبيع اطيانه . فانه لا مناص له من السداد على كل حال

لو كانت النتيجة طيبة تسر الخاطر ، وتوجب المدح والثناء من المدعويين لهان الامر ، وخفت مصيبة الدين ومرارته ، ولكن الرجل مع كل هذا لا يلتقي مدحاً ولا ثناء بل ان كل ما يسمعه يعد من قبيل الاتقاد والتقريع والتهم ، هذا يدعي ان الأكل ردي ، وذلك يقول لا نظام ولا ترتيب ، وآخر يهذي ويتناول ، وبعضهم يمزح ويقهقه ، « والمطيب يصرخ » والمغني يجاهد حتى يبح صوته ، ولا حياة لمن تنادي

أما النظام او الترتيب فانه يختل بعد نصف ساعة من حضور المدعويين ، وكل من المستقبلين لا يهتم الا بنفسه واصدقائه الأخصاء (لأنهم لم يقبلوا ان يندمجوا في سلك التشريفات . . . الألهذا القصد وحده) ، وهم أول من يفسد الحال ويختل

بالنظام والترتيب لأنهم ينسلون ويدخلون المكان المعدّ للبوفيه من أبواب معلومة لهم ومعهم اصحابهم وخلانهم ويُصيّبون منها كفايتهم من الأكل والشرب خلصة عن الاعين ان كانوا ينجلون ، أما البوفيه (المقصف) فلا يفتح للمدعوين إلا بعد ان يكون قد فتحه رجال التشریفات . . . عشرات من المرات

وعلى ذكر مدخل الفرّح حيث المئات من المصاييح منارة والأعلام مقامة على طول الشارع والميدان ، أقص على حضرات القراء الحادثة الآتية :

دعيت الى مهرجان لأحد أغنياء الافرنج ومن عظماهم ، وقبل وصولي للمنزل يضع خطوات لم أر شيئاً يدل على وجود فرّح او مهرجان فتقنت اني ضالت الطريق ، أو ان الاحتفال أقيم في بيت آخر — وبينما الظنون تتسابني اذا بعربة وقفت أمام باب ذلك المنزل ونزل منها شخص بملابس السهرة فتأكدت انه المنزل بعينه ، فصعدت واذا بي بين جماعة لا يزيدون عن المائة من رجال وسيدات وهم أقارب «الداعي» واصحابه ، وصديقات زوجته ، فقضينا السهرة في غرف المنزل مترددين بين المقصف (البوفيه) وبين سماع آلات الطرب من ضرب «البيانو» وعزف الموسيقى — وحسب تقديري النظري لم تكاف الخفلة اكثر من خمسين جنياً ، مع ان صاحب الدار في عداد الاغنياء من الأجانب ، أما عن النظام والترتيب والأبهة ، فحدث ما شئت ، ولا غرابة في ذلك فهم أهل النظام ، وأصحاب الذوق السليم ، ورافعو ألوية المدنية الصحيحة

فاذا قرنا بين هذا المهرجان وذاك ، وجدنا الفرق بينهما كما بين السماء والارض لأن هذا جامع لكل هدو وسكون وترتيب وابهة ورواء ، وذاك ملآن بالضوضاء والضجة والصخب والجلبة وسوء التدبير . هذا فيه الاحترام والوقار ، وذاك خلو منهما . هذا يتمثل فيه التوفير والتدبير ، وذاك يتجلى فيه الاسراف والتبذير . هذا يتبادل فيه التهاني بأرق العبارات وأعذب الالفاظ ، وذاك تروج فيه النكات والشتائم . هذا كل المدعوين اليه معروفون من صاحب الدار وصاحبتهما ، وذاك

لا معرفة فيه المضيفين بالضيوف . هذا يرفرف عليه علم المدنية ، وذاك تخفق فوقه
رايات التقصير والتأخر — وبالأجمال فان الفرح الحقيقي هو الذي يجتمع فيه الأهل
والأصدقاء والأخصاء ، أما الذي نحن فيه من خرافات وأخذ أسماء المدعويين من
دفتر الدليل او من احد الكبراء الذين سبق لهم اقامة مهرجان كبير ، وتوزيع أوراق
الدعوة بالمشات والالوف على من نعرفهم ومن لا نعرفهم فكل الغرض منه عندنا
ان يقال ان فلاناً عمل فرحاً كبيراً ، وأقام مهرجاناً طويلاً عريضاً ضخماً فخماً ،
مما يدل على جهلنا ، وسخافة عقلنا ، وضعف ارادتنا ، وميلنا الى الزهو الباطل ،
والابهة الكاذبة

الخرافات

ما من أمة الا ويتخلل عقولها خرافات وأوهام تمسك بها تمسكاً
أعمى ، ويتناقلها الخلف عن السلف حتى تصير بمنزلة العقائد الراسخة ،
الا انها تتفاوت حسب تقدم كل أمة من الحضارة والمدنية وترقي العقول
في سلم العلم . ومن نكد الطالع أننا نرى الخرافات في « مصرنا » هذه
شديدة التسلط على عقول الناس ، حتى ان منها ما يكون مجلبة لهلاك
اصحابها ، ومنها ما يكون مجلبة لفساد أخلاقهم — فما أبعد نور التمدن عن
اولئك الذين ينزلون الخرافات منزلة الحقائق ، غير عالمين انه ليس يظفي
هذا النور النقي الساطع اكثر من اعتناق الاكاذيب والأباطيل واشاعتها ،
فهم تارة ينسبون الى بعض الحيوانات خاصيات لو صح وجودها لكان
الانسان خليقاً بها ، وذلك كنباح الكلب عواء دلالة على حدوث مصيبة ،
ونعيق البوم انباء بالشؤم ، وهرب الطيور علامة على قدوم وباء . وطوراً

يتهمون الافلاك بما تفعله الاحوال والاقدار ، اذ ينسبون اليها كل الحوادث التي تحدث على الأرض عمومية كانت او خصوصية ، يزعمون ان الحرب للمريخ ، والسعد للمشتري ، والنحس لزحل ، والذكاء لمطارد ، وخفة الروح للزهرة . - هذا عدا امور لا تعد ولا تحصى ينسبونها الى كل من هذه الاجرام التي يعلم الله انها لا تعرفهم ولا علاقة لها بحرب ولا بسلم ولا سعد ولا نحس ولا غير ذلك . هذا فضلاً عما ينسبونه الى العين من التأثير ، والى الاحلام من التفسير - فلا يمكن لأحد ان يحسن عاداته وأخلاقه ويدخل في سلك المتمدنين الا اذا رفع من فكره الاعتقاد بمثل هذه الاباطيل ، عالماً انها واصلة اليه من خرافات القدماء الذين كانت عبادتهم ورسومهم وطقوسهم في تلك الأزمان الغابرة تسمح لهم ان يعتقدوا بمثل هذه الاضاليل

الكبرياء

الكبرياء من أدهى الأرواح الشريرة التي تتعب في مرادها الأجسام ، ومن أعظم القوات التي تحمل البشر على الخضوع قهراً لسلطان العبودية ، لأنها تركهم عديبي الحرية في تميم مقاصدهم وواجباتهم فتضيع على كل منهم جزءاً كبيراً مما خصه من الحقوق على الهيئة الاجتماعية ، وتضيع على هذه الهيئة ايضاً أهم حقوقها على ابنائها - هذا يحرم من التمتع بتمام الألفة والمخالطة ، وتلك تقصى عما تطلبه من الانتظام والالتزام فهل دخلت يا أيها الروح الشريرة في احد الأوتركته متخبطاً في

لجة البلبال والتعب ، وجعلته مرذولاً ومبغضاً من جميع بني جنسه ، حيثما
جلس رأى نفسه أرقى من محله وأعزّ وأكبر وأشرف من جلسائه ، وإذا
ألقى سلاماً على احد او تكلم معه زعم انه تنازل تنازلاً عظيماً ، او منح
الغنم الكبير والنعمة العظمى ، وان دعت الحاجة الى السؤال عن امر او
الاستفادة عن شيء من احد الناس وقع في حيرة عظيمة واضطراب
لامزيد عليه وحار بين تنازع عوامل الطلب والترك ، اذ يرى لسانه
منبسطاً الى المطلوب وقلبه منقبضاً عنه ، وقد تضطرم في جوانحه نار
التأله فيأخذ في الاشارة الى مراده بالرمز والتلميح على أمل ان ينال الجواب
والفائدة التي يريدونها بدون ان ينطق بالسؤال ، واذا اعياه بلوغ المراد ولم
يتمكن من غرضه بهذه الطريقة ، حاول ان يسبك السؤال في قالب
التعمية والابهام والتعميم ، بدل التحديد والتخصيص وذلك دفعاً لنسبة
الجهل اليه والوقوع تحت المنة واختلاساً للفائدة

مثل هذا الرجل اذا حكمت الصدف عليه بمرافقة احد الى
الدخول في مكان ما حاول كل المحاولة ان يتقدم رفيقه وبقية خلفه ،
وهكذا لا يزال هذا المتكبر معجباً بنفسه ، مقطباً جبينه ، يظن ان
السماء تعنو له والارض تجثو أمامه ، مع انه يكون بمقتضى هذه الاطوار
والاخلاق مبغضاً وممقوتاً من الجميع ومحلولاً من رباط الهيئة الاجتماعية
التي تتأسف عليه كثيراً ، كما انه هو نفسه يندب ذاته ويتأسف على حياته
المقيدة بسلاسل العبودية للكبرياء ، اذ يرى حاله مقهوراً ومرذولاً ،
ومحروماً من لذات الخليقة ، ومكروهاً لدى العالمين
فقل لنا يا ايها المتكبر المتعجرف من أنت ، وما أنت لتعطيك

حقك. ان كنت بشراً فما فضلك على البشر ، وان كنت عظيماً كبيراً ،
فأنت خادم الناس ما دمت كبيرهم ، لا ينفعك كبرياؤك وستحل في قبر
النسيان قبل حلولك في قبر الابدان ، وقد قال قبلك الملك والنبي داود
أنا رودة ولست انساناً . وان كنت من ذوي الفضل والاحسان فهذا
من الواجبات البشرية ، ولا تسمح لك هذه الواجبات بالمعجب والتهيه
والتكبر على غيرك ، وان كنت غنياً فثروتك لنفسك لا تنفع بها أحداً
ما لم تنتفع منه اولاً ، على ان الاغنياء والفقراء هم خدام الانسانية يتبادلون
حقوق المعيشة في الهيئة الاجتماعية بالسواء

ومع ذلك فانه لا ينبغي لأسير الكبرياء الطرد المطلق من مملكة
التمدن ، خوفاً من انتشار الدناءة التي لا تليق بالبشر ، بل يجب الاستعانة
بالفضيلة والزمامم بملازمة هذا الاسير (المتكبر) حتى تأخذ حقها منه
حسبما يقتضي الحال ، فتكون النتيجة حصول عزة النفس المقبولة في
شرائع التمدن وزوال عبودية الاستكبار عن النفس

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالسخان يرفع نفسه الى طبقات الجو وهو وضع

العظمة والفخر

لو أردت ان أشرح مضار العظمة وحب الفخر وما يصيب عاشقيهما من الارزاء والاحن لاحتجت الى صحف كثيرة ووقت طويل ، ولكنني أذكر على سبيل الفكاهة والفائدة بعض ما بدا لي من آفاتهما وعيوبهما بقدر الامكان

الاكتار من لبس المصوغات — قبل ان اكتب كلمة في هذا الموضوع استسمح حضرات السيدات المولات بلبس المصوغات الكثيرة (في آن واحد) وأعرض على مسامعهن الكريمة ، انني لا أقصد التمتير عليهن ، او مضايقتن في حلين وزيتن مع علمي بميلن الى الاكتار من كل شيء (ما عدا المشي...) فجل قصدي ان استلفت أنظارهن الى الترتيب واللباقة واللباقة ، فان كن برين ان هذا يعد تداخلاً في امورهن او مساً لشعورهن واحساساتهن ، فاني أتراجع في الحال وأخرج من هذا الميدان ، لأنني اخاف تعريضهن ، وكلنا يعرف ما هن عليه من المقدرة والكفاءة في انتقاد من يتعرض لأموهن واحوالهن

قلت اني أتراجع وأخرج من هذا الميدان ، ولكن هذا لا يكون الا بشروط أشرطها عليهن — من ذلك — انهن اذا كن يلبسن في كل يد زوجين من « الاساور » المبرومة وعشرة ازواج او اكثر من « الغويشات الرقيقة » المختلفة الاشكال والرسوم وهن قاعدات في منازلن ، أي لا يخرجن منها ولا يراهن احد ، فاني لا أتعرض لهن ، وأغض الطرف عن كل ما أعرفه من غرورهن وجهلن ، أما اذا أردت الخروج للزيارات الاعتيادية او لقضاء حاجاتهن من

الحوانيت والمحازن بهذا الشكل الشنيع ، فاني لا اسكت عنهن وأضطر الى انتقاد عملهن فأسلفهن بالسنة حداد ، لأن عيني وعيون كل محب للكاملات لا تستطيع ان ترى هذه القيود الذهبية الكثيرة العدد ملتفة حول اليد لتضيق معالمها وتغير شكلها وتضغط على حريتها من معصمها الى كوعها ونحن في عصر الحضارة والمدنية كما اننا لا تقدر ان ترى العشرات من قطع الجواهر الكريمة مرصوفة على اجزاء الصدر ومربوطة حول العنق وموضوعة فوق الرأس وفي جميع اصابع اليدين ، لأننا عندما ننظر الى هذه المحازي... استغفر الله - الزينات... تتشجع اعصابنا وتضيق صدورنا ونشعر بأننا في بلاد المهجبة والجهل ، فلا نخف عنا هذه الآلام الآ باختفاء هذه المناظر الغير اللائقة من أمام اعيننا

نعم ان عند « الاورويات » مصوغات ومجوهرات ثمينة جداً وكثيرة الاشكال والانواع لا تذكر بجانبها مجوهرات ومصوغات نسانا ، ولكن شان بين هذه وتلك من حيث دقة الصنعة وصغر الحجم وكبر القيمة ، فضلاً عن عدم استعمالهن لها كلها في آن واحد ، بل انهن اذا لبسن شيئاً من الذهب في زيارتهن الاعتيادية فلا اكثر من « غويشة » واحدة رفيعة في كل يد او على الاكثر « غوبشتين » ، ومن الجواهر ، قرط في الاذنين وخاتم او خاتميين في احدى اصابع اليدين . أما في السمهرات او الحفلات الكبرى ، فانهن يستبدلن الاساور الذهبية بأخرى من الاحجار الكريمة ، والقرط با كبر وأثمن منه ، ويضعن « بروش » على الصدر ، وثلاثة او اربعة خواتم في اصابع اليدين ، واذا كن من الاغنياء أضفن الى ذلك قلادة من الالماس او اللؤلؤ في العنق - هذا كل ما تزين به السيدات « الاورويات » في الزيارات الاعتيادية والرسمية

أما السيدات المصريات - وهن بيت التصيد - فانهن لا يتركن شيئاً من مجوهراتهن ومصوغاتهن في خزائنهن ، بل يترزين بها كلها ، اذ يضعن على الرأس قطعتين او ثلاثاً وعلى الرقبة والصدر مثلها وخواتم في كل اصابعهن العشرة ويضعن

الى اساور الذهب (السابق ذكرها) زوجاً من السوار ذي الاحجار الكريمة فيتحول
منظرهن الى معرض متحرك من المصوغات والحلى

العظمة التعلبية — أظن انه لم يسبقني احد في وصف العظمة بهذا الوصف
وربما حقاً لي ان أفخر بهذا الاختراع . وأي فخر ينالني اعظم من خدمة بني
وطني ، والضرب بيد الانسانية على هذه العادات المقوتة ، التي لا نرى لها اثرًا
بين الأمم المتقدمة

قلت « العظمة التعلبية » وهي الطرق التي يتحايل بها المتعاضم على تعظيم نفسه
(منها) انه عندما يدخل احدى المجتمعات الكبيرة التي يكثر فيها عدد الناس ،
تجده يعدو مسرعاً ويجلس الى اول كرسي يصادفه من جهة الباب ، ضارباً صفحاً
عن تأدية واجب التحية والسلام على رب الدار الداخل فيه ، او على معارفه
واصحابه الجالسين في المكان كما تقضي آداب الزيارات والاجتماعات ، ولكن
قصده يعميه عن أي واجب غير واجب نفسه ، فتتجه الانظار اليه (طبعاً)
ويُبادر صاحب الدار وأصحابه ومعارفه بحكم آداب المجاملة الى اكرامه وتعظيمه
وتقديم محل له في صدر المكان ، ولو انه لا يستحق كل هذه العناية وهذا
الاکرام ، وهذا كل ما يريد (صاحبنا) ويدبر حيلته للحصول عليه . وكثير من
الناس ينسبون هذا العمل الغير اللائق الى التواضع والوداعة . . . ولكن في نظر
الخبيرين بأداب الاجتماعات والزيارات الذين لا تنطلي عليهم حيل « العظمة
التعلبية » من اكبر آفات العظمة

ومن هؤلاء المتعاضمين من اذا دخل مجتمعاً صغيراً به اصحاب
وخلان يتسارون ويتحدثون وقف عند مدخل الباب ، فيضطر المجتمعون خجلاً
منه او ادباً منهم ان يقصدوه للسلام عليه ، مع ان شريعة الآداب تقضي عليه ان
يكون هو الذي يقصدهم الى مقاعدهم وبسلام عليهم ولو كانوا أقل منه مركزاً ومقاماً ،

فإن هذا لا يحط بقدره ولا يمس كرامته بل يزيده اعتباراً ووقاراً

ومن مصائب العظمى ان المصايين بها اذا كانوا من الكبراء لم يميلوا الى معاشرة الكبراء والعظماء من أمثالهم ، ولكنهم يفضلون مجالسة من هم دونهم مقاماً ومركزاً ، حتى يكونوا دائماً في المقام الأول ، فان تكلموا ولو حديث خرافة لم يجدوا من يعارضهم او يناقشهم ، بل كان الكل موافقين ومؤيدين لما يقولون ولو كان جميع كلامهم وحديثهم من مخترعات عقولهم ولا أثر له من الصحة اذا سألت احد هؤلاء العظماء (المتعاضدين) عن فلان العظيم لما سمعت منه غير الهجو والقدح في حقه والاتقاد ، ولو بحثت عن السبب ، لما وجدت سبباً ولا اسباباً ، بل هي العظمة التي احدثت التنافس والتباغض ، وهي التي تنفخ صاحبها وتصمم اذنيه عن سماع ذكر عظيم او كبير آخر غيره ، وهذا الداء هو مصيبة مصر العظمى ، فانك تجد أغلب كبرائها وعظماؤها وقادة افكارها متفرقين ومتخالفين ، ليس فقط في المجالس والمجتمعات ، بل في جميع المسائل العمومية ، وكل هذا من تأثير العظمة ونسائها على عقولهم ، لأنه لو كان لهم مبادئ ثابتة ومعروفة ، لقلنا ان تفرقهم واختلافهم وتنافسهم ناشيء من اختلاف مبادئهم ومشاربهم ، أما وهم لا يعرفون المبادئ بمعناها الحقيقي ولكنهم يدعونها ادعاءً ويتصنعونها تصنعاً لغرض الخط من مقام الغير ، فلا شك ان العظمة هي التي تلعب ادوارها المحزنة فيهم وتنسب اظفارها في قلوبهم فتسحب منها المحبة والوثام والاتحاد ، وهذا بكل اسف من سوء حظ مصر الاسيفة اصلح الله لها الاحوال

ومن مصائب العظمى ايضاً ان المتعاضم يحب دائماً ان لا يتكلم غيره في المجالس ولو كان ضمن الموجودين من هو أعلم وأنفع منه اذا تكلم ، والغرض العظمة وحب الظهور ، لأنه لو كان ما يقوله من الحكايات والروايات فيه شيء من الفائدة لمان الأمر ، ولكنه بكل اسف عبارة عن شذرات من مواضع مختلفة

مبتذلة كلها ترمي الى غرض واحد وهو الافتخار بثروته وجاهه ومعاصيه ، يقول انه اشترى اطيافاً بكذا ، وسافر مع زيد الأمير ، واقتنى سيارة « اتوموبيل » جميلاً من مصنع « فاوريقة » كذا ، وتعرف بالكوتنسه من الاشراف ، وبالاجمال فانك لا تسمع الا حكايات متواصلة كالحلقات وكلها تدل على انه مصاب بجنون العظمة وغرور الفخر ، وقانا الله شرهما

ومن اعراض العظمة ان كل مسافر يمر على عربات القطار كلها ، ولا يريد الجلوس الا في محل خال من الناس ، مع ان السفر يجب الى المرء المسامرة والمحادثة حتى يخف تبعه وتزول مشقته على المسافرين ، فان قلنا ان الافراد افضل من الجلوس مع اناس لا نعرفهم ونجهل لغاتهم وعاداتهم كان لنا بعض العذر ولكن ما عذرنا والمسافرون معنا من ابناء جنسنا وعلى جانب عظيم من الادب والانسانية ، وفي التعرف بهم والجلوس بينهم والمسامرة معهم نسبية للخواطر وراحة للنفوس

الكذب والنفاق

الكذب والنفاق من المعاول المخربة الهادمة لمباني الآداب الانسانية المقوضة لاركان مملكة التمدن ، كل من اتصف بهما يصير مفسداً لصلاح الغريزة ، ومستعبداً لحرية الفطرة ، لا يفارقه بلباله ظاهراً وباطناً ، فهو دائماً خصم الد لضميره ، كلما فتح فاه وتكلم صار اضحوكة لسامعيه ، فيكسوه العار والفضيحة حتى انه يعود متقلباً على جمر الندم ، ومحاطاً بقنوط النفس كلما خلا في نفسه وتأمل فيما أنشأ لسانه من الكاذب ،

فينثي مصمماً عزمه على ان يحفظ لسانه من فضائح المين والنفاق ،
ولكن غلبة الملكة لا تسمح له بذلك

وليس أحط من رجل يظهر غير ما يضمّر ، ويؤكد غير ما يعتقد ،
ويتصاغر ويتذلل ويتداني ويتسفل ويلثم الاكف ويقبل الاعتاب ،
جرباً وراء فائدة يجرها ومنفعة يصيها ولقمة يلتقطها وهو في باطنه يكره
معطيها ويلعن مهديها . والكاذب يظن لصغر عقله وقصر نظره ان اموره
تجوز على الناس ، وأعماله تنطلي عليهم ، وانهم يصدقونه فيما يقول ويدعي ،
وما درى ان اموره منكشفة أمامهم واحواله مفتضحة كما قال فيه الشاعر
ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا ارتديت به فانك عاري

ولما كان الطبع البشري يأنف من الكذب وينفر من النفاق ولا
يميل الا الى صدق المقال واثبات الحقيقة والنطق بالصرامة ، كان
الانسان الذي لا يصدق بلسانه ولا يستقيم بجنانه مكروهاً حتى من
نفس طبعه ، اي انه يرى ظاهره مضاداً لطبيعته فيكره نفسه

فيجب اذاً على كل انسان منذ نعومة أظفاره ، وعندما يكون التعود
سهلاً عليه ان لا يلفظ الا الصدق ولا ينطق الا الحق ، وان لا ينافق
لاحد ، وان يتخذ مبدأ الصراحة معبوداً له ، لأن الذي يتدى شريكاً في
أخلاقه تزيبها في صداقته واخلاصه ، ترسخ فيه ملكة الشهامة ، ويعيش
دائماً مرفوع الرأس عالي الجبين عزيز النفس محترماً ومحبوباً بين قومه ،
اما الذي يشب منافقاً كاذباً مراثياً ، فانه يفقد شهامته وتذل نفسه ويهان
مقامه ، ولا يجد من يصدق كلامه ولو قال الصدق بعينه

فلا جناح اذن على التمدن اذا كان لا يقبل في مملكته الزاهرة كل

الذين يتكلمون بالكذب ويسعون بالنفاق ، لانهم يندسوف طهارته
ويفسدون نظامه بما تترك ألسنتهم الكاذبة المناقفة من الاضرار الجزئية
والكلية ، كاثارة الفتن والقاء البغضاء واغراء ذوي الغفلة والسذاجة ونحو
ذلك . هذه كلها أطوار تعارض سير التمدن وتباين مبادئه ، ولا تتفق
مع نزاهة الطبع الانساني لما فيها من الآثار الذميمة

النميمة والاعتياب

النمام مكروه وممقوت ، يتحاشاه جميع الناس ، ويتعدون عنه غاية
الابتعاد حذراً من اضراره وسيء اطواره ، لان دأبه هتك حرمة
الاسرار ، وكشف الستر عن معائب البشر ، وهو لا يفتر عن تلقط اخبار
الناس واستكشاف أسرارهم واستقصاء أعمالهم وأحوالهم لينشرها بين
الغير ، مضيفاً اليها ما يميله عليه سوء خلقه ولو لم طبعه وخسة نفسه وسفالة
قصده . وليته يقتصر على نشر معائب حقيقية وتقل أمور واقعية ، بل
هو يختلق ما يريد اختلاقاً ، فينسب الى الناس ما لم يقولوه ويسند اليهم
ما لم يفعلوه ويؤول كلامهم بما لم يقصدوه ، ولا يبالي من رد الفعل ونزول
المصيبة على رأسه في احوال شتى ، وذلك عند ظهور الخيانة وثبوتها عليه ،
حين يستوجب لعنة الناس ويعاقب بالصد والجفاء ، ويكون جزاؤه مثل
جزاء الثعبان الاسود تنكسر آيابه حين يلسع غيره ويسيل منها سم
فيمتصه فيموت

ولا تسلم عما يترتب على نمائمه ومفترياته ووشاياته وسعاياته من وخيم

المواقب وسئ التناجح ، فكم أفضت الى تخريب بيوت وتفريق جموع
وتفجير قلوب واهاجة نفوس وايغار صدور وخلق عداوات وتوليد حزازات
سواء بين شريكين متواقفين او خليلين متصافيين او اخين شقيقين .
وبالجملة فان النيمة تفرط عقد كل اجتماع وتفصم عروة كل اتحاد واثتلاف ،
فهي عدوة للناس والانسانية ، عدوة للمحبة والسلام ، عدوة للوفاق والوثام

ولما كان البطش التام بالنيمة قد يفتح طريقاً واسعاً يتوصل به الاشرار
الى العيوب بدون خشية ولا خوف من كشف النقاب الذي يردع كثيرين عن
اقتراف الكبائر والفضائح ، كان الافضل ان يبقى لهم شبح النيمة وصورتها
يصوت في آذانهم لأجل الزجر والتهديد ، ولكن على شرط ان يكون زمامه
(الشبح) في يد الكتمان

اما الغيبة ، فانها اخف من النيمة أثراً وأقل منها ضرراً ، ولكنها
مدمومة بكل لسان وممقوتة عند كل انسان ، مع انها لسوء الحظ فاشية
عند معظم الناس ، وخصوصاً في هذا البلد الاسيف ، الذي ساءت فيه
الآداب وانحطت الاخلاق ، فانه قل ان يخلو مجلس من ذكر مساوي
بعض الناس وسرد نقائصهم ومعايبهم وتعميد سيئاتهم وانتقاد سيرهم
وسلوكلهم والتنديد بأدابهم وأخلاقهم والخوض في داخلاتهم وأعراضهم ،
والقبیح في الأمر ان الذين يخلصون بالقدرح والذم غائبون عن المجلس
لا يعلمون مما نالهم شيئاً ، ولا يستطيعون ان يدفعوا عن أنفسهم من ذلك
سهماً ، ولم أر في جميع أنواع ظلم الناس للناس ظلماً أشنع من هذا ، اذ
ان هؤلاء المغتابين المساكين ينزلون في هذه الحال منزلة مذنب رُفع

أمره الى المحكمة ، فاصدرت عليه هذه المحكمة حكماً مكتفية بسماع تهم
متهميه ولم تحضره أمامها ليدافع عن نفسه
ولست أرى أبلغ من تشبيه القرآن الشريف لهؤلاء المساكين بانهم
موتى تؤكل لحومهم ، اذ جاء فيه قوله :

أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فأولى الانسان ان يشتغل عن عيوب الناس باصلاح عيوبه
وتقويم أخلاقه لأنه ليس في هذه الدنيا من خاق بريئاً من كل عيب ،
وما عليه الا ان يتبع نصيحة القائل

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فانك عورات وللناس أعين
وعينك ان أبدت اليك معاييبا فلمها وقل يا عين للناس أعين

من لطائف الالغتياب - ان صح ان يكون له لطائف ، اني كنت مدعواً

ذات ليلة عند أحد أصدقائي لتناول طعام العشاء ، وقبل الموعد بيوم كنت في احد
المتزهات وتقابلت صدفة « بانسان » من الظرفاء أعرفه معرفة قليلة ، فأخذ
يحادثني في شؤون شتى حتى وصل الى ذكر صاحبنا (صاحب الدعوة) وأخذ
يُعرض به ، فاعترضته وأوقفته ووبخته بلطف ، فلم يتعظ بل زاد الطين بلة وسرد
شيئاً عنه يمس بشرفه وسلوكه ، وأخذ يحلف الايمان والاقسام على صحة ما يقول
حتى أثر علي كثيراً وصدقته ، وكانت النتيجة اني عدلت عن اجابة الدعوة
واعتذرت ، وبعد بضعة أيام قابلني « صاحب الدعوة » وعاتبني كثيراً ، فالزمتني
صراحتي ان أخبره عن سبب تأخري عنه وأفصحت له عن جلية الأمر ، فاستأ-
جداً وأخذ به الدهش والاستغراب كل مأخذ من مقدرة هذا « الانسان » الظريف . .

في النيمة والاعتياب ، وعرفني ان الرجل أخبره هو ايضاً اني أنكرت عليه انسانيته
في اثناء حديث جرى لي معه . . . وظهر لكنا انهُ مخلوق علينا وواش بنا ، والفضل
كل الفضل للصرحة التي كشفت لنا خبث هذا « الانسان »

فلو حلت الصراحة في مبادئنا ، وانتشرت فضائلها بين الناس
لانقطع دابر النيمة والاعتياب لأن الذي يساعد التمامين والمغتايين على
تمثيل رواياتهم ، هو ضعف الارادة وعدم الصراحة المتفشيان في أخلاق
كثيرين منا واعتقادهم (التمامين والمغتايين) اننا لا نتجاسر ان نعاب
بعضنا بعضاً وتبرأ من الوشايات التي تلحق بنا

التربية

تقسم التربية ثلاثة اقسام هي التربية الجسدية والتربية العقلية والتربية
الادبية - وقبل الدخول في الموضوع يلزم أن نبحث أولاً في « مساعي المرء
مدة حياته » ، لأن من هذه « المساعي » تستخرج اقسام التربية الثلاثة
تقسم « مساعي المرء مدة حياته » خمسة اقسام

- (١) مساعي المرء لحفظ ذاته
- (٢) حفظ حياته وتحصيل لوازم معيشته
- (٣) تربية وادارة عائلته
- (٤) القيام بواجباته المدنية نحو الهيئة الاجتماعية
- (٥) ارضاء امياله ومشربيه في اوقات فراغه

هذه مساعي المرء مرتبة حسب اهميتها ، لأن محافظة الانسان على
حياته تتوقف بلا شك على سعيه في تحصيل اقواته الضرورية ، فترى
الطفل الصغير مثلاً وهو في حجر امه يخفي وجهه ويبكي عند ما يرى
رجلاً غريباً عنه ، وعند ما يتمكن من المشي نراه يرتعد خوفاً من اقتراب
كلب اليه ، دليل الميل الطبيعي الفريزي الذي في الانسان الى المحافظة
على وجوده

اما الثانية فهي حفظ حياته وتحصيل لوازم معيشته ، فانها تتقدم
واجباته نحو عائلته ، لأن اتمام هذه الواجبات يتوقف على الشرط الاول ،
وهو تحصيل لوازم معيشته ، فتكون اذاً مساعي المرء لتربية وادارة

عائلته من الدرجة الثالثة ، وكما ان الهيئة الاجتماعية مشككة من العائلة ولا تدوم او تترقى الا بواسطتها فواجبات المرء نحو عائلته يجب أن تتقدم واجباته نحو الهيئة الاجتماعية ، ولذلك اعتبرت مساعي المرء للقيام بواجباته المدنية من الدرجة الرابعة

اما المساعي التي من الدرجة الاخيرة فهي مساعي المرء لاستعمال اوقات بطالته وراحته في سبيل اللذة وارضاء الاميال والاهواء فاذا امعنا النظر في هذه « الاقسام الخمسة » ، نرى انها مرتبطة مع التربية الجسدية والتربية العقلية والتربية الادبية ، فالتربية الجسدية تعلمنا حفظ اجسادنا وصحتنا ، والتربية العقلية تعلمنا تحصيل اقواتنا الضرورية وانمام واجباتنا المدنية والاستفادة من ملذات الطبيعة ومستلزماتها ، والتربية الادبية تعلمنا تربية اخلاق اولادنا

التربية الجسدية

« العقل الصحيح في الجسم الصحيح »

نجد هذه العبارة ، والاولى ان يقال هذه الآية الذهبية متداولة على السنة الخاصة وبعض العامة ، ولكننا مع ذلك لا نرى من يتبعها او يعمل بها الا نادراً ، كأننا في كل اطوارنا واحوالنا ، قوألون غير فعالين !!

ان الانسان لا يعمل ليقضي حياة طيبة الا اذا كان نشيطاً قوياً ، وحتى يكون نشيطاً قوياً يجب ان يكون حريصاً على صحته وقوته

لقد أصبحت التربية الجسدية والرياضة البدنية من ضروريات الحياة تعتبرها الأمم المتقدمة من الأمور اللازمة لزوم الغذاء والماء.

يموت في بلادنا من اولادنا كل عام ثلاثة اضعاف ما يموت من الاجانب بحسب النسبة العددية ، والسبب اننا لا نعرف فائدة التربية الجسدية ونهملها اهمالاً تاماً ، وهم يقدسونها ويهتمون بها

اننا نرى ان الأمراض التي تصيبنا وتصيب اولادنا ونساءنا هي من اهمال التربية الجسدية ، ولا حيلة لنا الا اضطراب الفؤاد والألم وحرقة القلب والبكاء والعويل مع ان الأمر سهل ، وبسيط جداً وفي يدينا

اننا نفتكر في تربية عقول اولادنا ، وملء رؤوسهم بأنواع العلوم والمعارف ، ونغفل دائماً امر صحتهم وقوتهم ونشاطهم . فما ضرنا لو زدناهم بالصحة والعافية ، يصدروا بها هجمات الداء ، وسلحناهم بالقوة ليسيروا بطأئنة في طريق هذه الحياة

التربية العقلية

تقيد العقل - اذا فحص الجوهر الانساني من حيث فطرته الاولى ، واصله الطبيعي ، فانه يشاهد لامعاً بكل الصفات الساذجة ، والخصال البسيطة حسبما يتبين من كل انسان يتربى منفرداً عن زحام عالم المخالطة

ولما كان تناهي هذا الجوهر في الرقة وشدة احتياجه الى وقاية نفسه سبباً فعالاً لقبوله التأثير بكل صورة تلوح له ، فهو أبداً يتطبع بأخلاق

وطباع يمكنه ان يعارك بها ويزاحم ويلاطم أمواج العالم البشري ويعيش تحت لواء حوادثه ، غير ان كثرة تقلبات الاحوال والاجيال أدت به الى ان يفقد كل أطوار تلك الفطرة الاولى ، وبصير من أكثر المخلوقات شراً وتوحشاً ، ومن ثم لم يعد الانسان قادراً على الدخول في دائرة التمدن الذي ينافي سذاجة الصفات وسلامة الطباع ، الا اذا كان متزیناً بتثقيف العقل الذي يعتبر كآلة عظيمة يمكن بها لكل من البشر ان يسترجع الى طبيعته ما أفقدها التوحش ، ولا يتم هذا التثقيف الا بالتروض في العلوم والفنون والمعارف الطبيعية والادبية . ومن المعلوم ان العلم يخلق في الانسان قلباً نقياً وروحاً مستقيمة ويجعله ظافراً بكل الصفات الصافية النقية ، وناظراً من كل ما يشين الجوهر الانساني ، ولا يترك له سبيلاً في الامور الدنيئة والاميال المنحرفة ، وهو الأمر الذي تشتق منه كل أفعال الشر ، وعليه تبنى كل دعائم التوحش ، فكيف يميل الانسان مثلاً الى دناءة السلوك وهتك الاعراض ، بينما تكون الطبيعة هاتكة له أسرارها ومبدياً لديه غوامضها ، اذا نظر الى الارض يراها تدعوه الى تمييز تركيب طبقاتها وتعداد مفردات عناصرها ، ومعرفة نسبة كل من موادها الى غيره ، وكيف يرضى بعمل المنكرات حينما تكون الكيمياء مقدمة له مشكلاتها وطارحة عليه مسائل غوامضها ، فما ينتهي من معرفة صفات عنصر منها وادراك نسبة اتحاده بغيره ، الا ويبرز لديه عنصر آخر ويدعوه الى تفنيده ، فيذهب خابطاً في عباب المشكلات ، وكيف يسمح لاميله ان تسرح في عالم الشرور والمعاصي حينما تكون الجغرافية سارحة به على ظهر هذه الكرة الارضية المملوءة من عجائب الخليقة وغرائب الحوادث فيقف

متفكراً فيما جمده اليابسة وجمع السوائل الى مكان واحد ، وكيف لا يبدل
الاعمال الرديئة بالصالحة عند ما يكشف له التاريخ حجب الاجيال الغابرة
ويطلعه على كثير من البشر كانت أعمالهم سبباً لأحوالهم ، ان رديئة فرديئة ،
او صالحة فصالحة ، ويظهر له كثيراً من الناس الذين بلغوا بواسطة سمو
أفعالهم أسمى المراتب وأعلى المنازل والدرجات

وبالاجمال تقول ان العلم هو الفاعل الاعظم لتثقيف العقل ، والمرؤض
الاكبر لجماع الطباع ، والسبب الأهم لتشييد التمدن والحضارة ، اذ هو
يرفع أفكار الانسان الى الحقائق السامية ، فلا تعود دائرة على محتقر
الاشياء ، ويرسم في مرآة ذهنه صور الكائنات الدقيقة فلا يعود هاذياً
بخزعبلات الامور . تنطق من قلبه نار الحسد بنظره الى زوال
المسودات ، وتطرد من صدره عوامل الطمع بادراكه حقيقة المطامع ،
وتتلاشى من نفسه بقية الاطوار الرديئة ، كالقسوة والتغفل والضعفينة
والطمع والكبرياء والخيانة والبغض . وتمويه الصفات الداعية الى المدنية ،
كالشجاعة والنباهة والاتضاع والدعة والاحسان والوفاء والامانة ، اذ
يصير خبيراً بنوائل تلك الاطوار الطالحة ، وعلماً بنتائج هذه الصفات
الصالحة ، فبدون تثقيف العقل ، لا يعد الانسان انساناً ولا يمكن ان
يدعى متمدناً قط

(مائتة) - شرحت فوائد ومزايا التريتين الجسدية والعقلية باختصار
مقبول على قدر الامكان ، لأن كثيراً من كتبنا العربية مملوءة بالفصول
والمقالات عنهما ، اما الترية الادبية فاني سأفنيها حقها من الشرح والبيان ،
نظراً لاحتياجنا الشديد اليها وجهل السواد الاعظم منا لطرفها وفضائلها

التربية الادبية

قال الفزالي في التربية عبارة صميحة ، رأيت أنه أوردها هنا وهي :

« الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش ومائل الى كل ما يمال اليه به فان عود الخير علمه وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه الوالي له »

انه لمن المحزن أن نرى الكثيرين من خاصة الناس وكافة العامة يجهلون النقص العظيم في طريقة التربية عندنا ، فاننا نرى ان الغاية الوحيدة التي يقصدها الآباء والمعلمون في تربية الاولاد هي اعدادهم لواجبات ووظائف الحياة ، أعني للمعاش والسلوك في العالم ، ونراهم يرجحون طريقة تربية على اخرى كتفضيلهم تعليم اللغات السائدة على تربية الأخلاق ، وذلك لأنها تجبه في الغالب نحو الغاية التي يقصدونها . ومع انهم يهتمون جداً باعدادهم للحياة الاجتماعية ، فانهم لا يهتمون لاعداد بنينهم وبناتهم لرئاسة العائلة وادارتها ، ومع انهم موقنون بانه يلزم للانسان أن يستعد لمعرفة طرق الكسب اللازمة لمعيشته فهم لا يفكرون في تربية اخلاق اولادهم

ومما يوجب الدهشة والاستغراب ان الشاب يصرف سنين عديدة لاكتساب معارف تؤهله للعمل على الكسب في العالم ، والشابة تسعى

وتهم لا اكتساب شيء من العلم وبعض فنون الموسيقى وما شابه ذلك
من المميزات التي تجعلها زينة الاجتماعات ، ولكنهم لا يصرفون من
الزمن ساعة واحدة للدروس الاخلاقية التي تؤهلهم لاداء اعظم الواجبات
الاولى وهي الادارة العائلية

ان تربية اخلاق الاولاد ليست من المسائل السهلة ، ومن الصعب
على الانسان أن ينال قسطه منها بغير معين ، ولا يرى سبباً معقولاً
لترك هذا الفن من لوائح التدريس بمدارسنا ، لأننا اذا اردنا سعادة حال
الوالدين والاولاد واعقابهم فعلياً ان نتبع احسن طرق التربية ، وتعليم
هذه الطرق يجب أن تهتم به الحكومة ، فتنشئ فصلاً خاصاً لذلك في
كل مدرسة من مدارسها . ويكفي أن ننظر الى تربية الاولاد الاخلاقية
عندنا حتى ندرك مقدار الخطأ الذي تقع فيه من عدم اعداد اولادنا
للوظائف الأبوية فان اغلب معلومات الوالدين وافكارهم في التربية غير
معقولة او هي فاسدة ، ففي أكثر الاحوال نرى معاملة الوالدين ، وعلى
الأخص الأمهات للاولاد تجري حسب احساساتهم وعوامل غضبهم ،
أعني انها تكون خالية من التعقل وضد خير الولد ، واذا فرضنا ان عقل
الام يحمل شيئاً من العقائد او التعاليم الناقصة ، فتكون هذه التعاليم
والعقائد موروثه عن الزمن الماضي ، وتنبت عنها اخلاق الوالدين الادبية
في ايام شبابهم ، غير انها ليست مؤسسة على دعائم العلم الحديث بل
على جهالة الازمنة الغابرة

فمن أهم دواعي النقص او جهل طرق التربية الحقيقية اننا نرى
الوالد في كل ساعة يغير مبادئه ومعاملته لولده ، كمن يحاول أن يستر ما

به من نقص ، اما الوالدة فلا تقدر أن تشبهها إلا بانسان هازل يمثل ادواراً مجونية ، تارة تقول شيئاً وطوراً تقول ما يناقضه ، فانها تضرب ولدها وتقبله في الدقيقة ذاتها ، بدون أن تنتبه الى نتيجة تصرفها هذا . وما نحن من اتباع اللورد بالمرستون الانجليزي الذين يعتقدون بان الاولاد حسنو الاخلاق بالطبع ، على انه مهما حاول الكثيرون تخطيطه هذا الاعتقاد بدون برهان او دليل ، فاننا نراه قريباً من الحقيقة

ولسنا نعتقد ايضاً انه يمكن تربية الاولاد تربية كاملة مؤسسة على المبادئ الحسنة ، بل نحن موقنون بانه من الممكن تنقيص معائب الاولاد وليس يمكن محوها محواً تاماً

ولو فرضنا انه يمكن اصلاح أخلاق الأولاد اصلاً كاملاً بطريقة تربية أدبية لم توجد بعد ، ولو سلمنا ان كل الآباء والأمهات يقبلون هذه الطريقة ، فاننا لا نزال بعينين عن الوصول الى المرغوب ، لأنه لا يمكن التسليم بنجاح طريقة كهذه تطالب الوالدين بان يكونوا على درجة من العقل والتبصر والتغلب على الارادة ، لم توجد عند احد منا

والخطأ العظيم الذي تقع فيه عند النظر في مسائل التربية ، هو اسناد النقائص باجمعها والمتاعب باسرها الى الاولاد دون الوالدين ، فكان الرجل والمرأة يتغيران تغيراً تاماً من جهة الاخلاق اذا نظرنا اليهما كأب عائلة وأم عائلة ، مع اننا نرى كل يوم ان الذين لنا معهم معاملات تجارية او الذين نصادفهم في طريقنا كثير من المعائب والنقائص والمنازعات والخصومات وغيرها مما يدل على نقص في التربية وعدم الصداقة والاستقامة ، ومع كل هذا نرى عند انتقاد سلوك الاولاد اعتقاداً راسخاً في ذهن الناقد

بأن الذين يربون هؤلاء الأولاد (وهم بلا ريب أمثال أولئك الأشرار الذين نصادفهم في معاملاتنا) معصومون من الخطأ ، وان تصرفهم ومعاملتهم لأولادهم توافق روح التربية الصحيحة ومما لا ريب فيه ان مثل هذا الاعتقاد بعيد عن الحقيقة فنحن لا نتردد مطلقاً في اسناد القسم الأعظم من المتاعب البيتية الى الوالدين دون الأولاد ، بل اننا نؤكد ان التقصير في التربية هو في الغالب نقص في اخلاق الوالدين ، ولعمري ما هي التربية الأدبية التي تقدر ان تقوم بها تلك الوالدة التي عرفت بتلك العادة القبيحة وهي ان تهز ولدها بقسوة وشدة عند ما يبني الرضاعة على مثل ما رأينا كلنا بأعيننا ؟ وما هي قوة العدل التي يقدر ان يهبها ذلك الوالد الذي يسمع صراخ ولده من ألم اصابه كأن يكون الباب قد اقل على يده فيبادر الى ضربه قبل اتقاذه ؟

من منا لم يشاهد مراراً عديدة ولداً تضربه امه او مربيته بسبب بكائه الناشئ في كثير من الأحوال عن انحراف صحته ؟ ومن منا لم يسمع امماً وهي ترفع ولدها من الأرض تصب عليه جامات الغيظ والحنق : من منا لم ير المعاملة الوحشية والصوت القاسي الذي يأمر به الوالد ولده ان يهدأ ويقعد صامتاً ويبطل كل حركة ، او عندما ينهائهم عن اللعب الذي فيه كل فائدة لجسده ورياضة لعقله

فهل يؤخذ من مثل هذه الأحوال الغير المعقولة انه لا وجود للمحبة او الميل من الوالدين الى اولادهم ، ام هي مشكلات وصعوبات التربية الادبية تقوم من جانب الوالدين والأولاد معاً . واذا كان الانتقال بالارث قانوناً طبيعياً كما يشهد الطبيعيون وثبت التجارب ، فتكون في اكثر

الحالات نقائص الولد هي مرآة نقائص والديه ، واذا ثبت وجود هذه الوراثة في اكثر الحالات فتكون الطبائع الرديئة التي يجتهد الوالدون بنزعها من أولادهم ، هي طبائعهم نفسها ، واحياناً تكون غير ظاهرة من الخارج ومستورة بحاسيات اخرى ولكنها في الحقيقة كائنة عندهم . فيتضح لنا اذاً مما تقدم انه لا أمل لنا ان نهتدي الى طريقة التربية الكاملة ، لان الوالدين ليس عندهم أهلية كافية لذلك

وفضلاً عن ذلك فاننا لو فرضنا وجود طريقة تقي بالمقصود ، وقلنا ان عند الوالدين تبصراً ودراية وقوة ارادة كافية لتنفيذ هذه الطريقة ، فانه لا يمكن اصلاح ادارة العائلة في زمن أقل مما يلزم للاصلاحات الاخرى ، لانه ما هي الغاية التي تقصدها من التربية ؟ أليست اعداد الولد للحياة الاجتماعية والسلوك في العالم ؟ ، ولكي يمكنه ان يسلك مع العالم ألا يجب عليه ان يوفق افعاله وحركاته وسكناته لحالة العالم الحاضرة ؟ ، فاذا امكنا بطريقة تربية خيالية اصلاح الولد ليصير مخلوقاً بشرياً كاملاً ، أفليس من المحال أن يقدر على المعيشة في العالم الحالي ، أولاً نظن بان الافراط في رقة احساساته وسمو تربيته تكون سبباً لعذابه في الحياة ، وربما جعلت الحياة صعبة عليه وغير ممكنة ؟

فيجب اذاً أن تكون طريقة التربية موافقة من كل وجوها لأصول الزمان ونظامات الهيئة الاجتماعية الحالية ، واذا كان من الممكن اكمال طريقة التربية قبل اصلاح الاخلاق العمومية ، فعوضاً عن الخير ينتج الشر للهيئة الاجتماعية . ولا يخفى ان الذين يعاملون الاولاد بالقسوة يعتقدون ان ذلك يعدم لتحمل القسوة العظمى التي يتعاملونها فيما بعد من

العالم ، وهم يرون انه لو عومل الاولاد بالحلم واللطف والتساهل ، لما كانت النتيجة سوى تشديد الآلام والعذابات التي ستطرأ عليهم من محبة الذات التي تدفعهم هذه المعاملة للاظهار بها بين الناس ، ولذا نرى ان البعض يشق ثقة تامة بهذا المعتقد فيسير عليه ليهي اولاده لمصاعب العالم وشقائه ، ولكن هذا الفكر فاسد لأنه ينبغي أن تكون معاملة الاولاد في البيت او في المدرسة أطف واهون بكثير من معاملة العالم ، حتى تربى فيهم عزة النفس والشهامة لمقاومة وحشية العالم

وقد يعترضني البعض بقوله اني اناقض نفسي بنفسي ، فقد أثبت أولاً انه لا يمكن ايجاد طريقة للتربية الادية يتوصل بها الى تربية الاولاد تربية كاملة ، وانه لو وجدت هذه الطريقة فقد يعجز الوالدون عن تنفيذها ، وانه لو فرضنا التوفيق ايضاً الى تنفيذها ، فان النتائج لا تكون موافقة لحالة الهيئة الحاضرة ، وانه يفهم مما ابنت ان اصلاح الطريقة الحاضرة غير ممكن ، وان كان ممكناً فليس مرغوباً فيه - فنحبيهم ان النتيجة الصحيحة هي اصلاح ادارة العائلة التي يجب أن تسير خطوة خطوة مع الاصلاحات الاخرى وان تحسين طرق التربية لا يأتي الا تدريجياً ، وان اجراء الطرق الممكنة منوط بحالة العلم الحاضرة ، ولا يمكن اجراؤها بالتمام الا اذا ترقت الاخلاق والآداب العمومية

وقد يجب معترضنا ويقول « اذا كان الامر كذلك أفليس من العبث تحري طريقة تربية ادية لم يأت بعد وقت اجرائها نظراً الى حالة زماننا » فهنا ايضاً نقول عكس ذلك ، ونبين ان الحقيقة هنا مثلها في الادارة السياسية فانه مع كون قوانين العدالة التامة الآن غير قابلة الاجراء ،

فانه يلزم معرفتها حتى تكون كافة الاصلاحات التي تجري متجهة نحو تلك القوانين . كذلك في ادارة العائلة فانه يجب ان تعين الطريقة الحقيقية ولو كانت بعد غير قابلة الاجراء حتى تقرب منها بالتدرج ، ولا يجوز ان نحشى نتيجة رديئة من العمل بهذه الطريقة الحقيقية والتمسك بها ، لان ميل الناس الطبيعي الى المحافظة على الحالة الحاضرة يكفي لمنع التغيير السريع في التربية كما في بقية الشؤون . ولا يخفى ان الامور مرتبة وموضوعة بنوع ان الناس لا يقدر ان يقبلوها ما لم يرتفعوا الى مستوى الافكار الادبية العالية ، واذا قبلوها قبل ذلك فذلك اسماً لا حقيقة ، وعندما تعرف الحقيقة فالصعوبات التي تجدد في العمل بموجبها عظيمة الى حد انها تكفينا مؤنة الخوف من انقلاب سريع غير مرغوب فيه ، لأن المشكلات التي تصادفنا قبل التوصل الى طريقة تربية حسنة تقاوم المساعي المصروفة للوصول اليها

وبعد هذه الايضاحات الابتدائية ننتقل الى البحث عن الغاية الحقيقية من التربية الادبية ، وعن الطريقة الكاملة التي يجب اجراؤها ، وبعد ان نخصص قسماً لايضاح المبادئ العمومية التي نرجو لاجلها صبر القارئ ، نبتدى بسرد بعض امثال تبين الخطأ التي يلزم ان يتبعها الوالدون في المشكلات والصعوبات التي يصادفونها كل يوم في تربية اولادهم - اذا وقع ولد او صدم رأسه بالمائدة شعر بوجع يجعله اكثر التفاتاً وتيقظاً ، وبتكرار هذه التجارب يتوصل أخيراً الى معرفة ادارة حركاته . واذا لمس حديد الموقدة الحار ، او قرب يده من لهيب الشمعة ، او اسقط على جلده نقطة ماء حار ، فألم الاحتراق الذي يشعر به يصير

له عبرة لا ينساها بسهولة ، والتأثير الذي يحصل من واقعة او واقعتين من هذا القبيل يكون عظيماً جداً حتى انه لا يمكن بأية واسطة كانت اقناعه او دفعه مرة اخرى لمخالفة قوانين وسنن بنيته . فالطبيعة تربنا في احوال كهذه وبطريقة بسيطة جداً نظرية وعملية كيف تكون التربية الادبية الحقيقية ، وهذه النظريات والعمليات تظهر لمن يطالع الامور بامعان بانها لا تختلف عما هو مقبول ومتبع بين الناس

فلنلاحظ اولاً ان افعالنا يمكن ان تقسم قسمين بالنظر الى النتائج التي تحصل منها ، واية نظرية ادبية كانت تسلم بان الفعل الذي تحسن نتائجه العاجلة او الآجلة فعل حسن ، والفعل الذي يؤدي الى نتائج رديئة رديء ، والدليل الذي يقود الناس لمحاكمة افعالهم هو السعادة او الشقاء الذي يحصل لهم من الافعال ، مثلاً نحن نكره السكر ونعده فعلاً قبيحاً لأن نتائجه الوخيمة هي الضرر والشورور التي تحصل للسكران ولعائلته ، ولو كانت السرقة تأتي بنتيجة حسنة للسارق والمسروق لما عدت من الافعال المذمومة والجنايئة ، ولو كان من الممكن ان الافعال الحسنة والخيرية تزيد آلام الانسان واتعابه لكننا نسترد لها ونستقبحها . يكفيننا أن نقرأ اول جملة نراها من اية جريدة سياسية كانت ، او ان نسمع اي حديث كان عن الاشغال الاجتماعية لنرى ونتحقق ان مذاكرات المجالس ومباحثات الحكام والخطط السياسية ، هي كالأعمال الشخصية بنيت على النتائج المأمولة منها سواء كانت لتكثير مسرات الناس او لزيادة اقدارهم واتعابهم . وخالصة القول اننا اذا فحصنا كل افكارنا وتصوراتنا نرى ان النتائج هي دليلنا لمعرفة الخير والشر ، فيمكننا اذاً أن نعتبر افعالنا

حسنة او رديئة بالنظر الى حسن النتائج التي تحصل منها او سؤها
ولننظر ثانياً في مزية القصاص الذي يعقب التعدي على قوانين
الطبيعة . (اقصد هنا بالتعدي التجاوز) كالم الاحتراق عند الاقتراب من شيء
حار ، وقد استعملنا كلمة « قصاص » لعدم وجود كلمة تفيد المعنى الحقيقي
تماماً ، لأن ألم الاحتراق مثلاً ليس قصاصاً بالمعنى الحرفي ، أعني انه ليس
تأديباً خارقاً وغير مفيد ، بل هو تحذير مفيد من الافعال التي تخالف
منافع الجسد مخالفة جوهرية ، ولولا تحذيرات كهذه شديدة وقاسية
لانطفأت شعلة الحياة على عجل بسبب الضربات التي تصيبها ، لأننا اذا لم
نشعر بألم الاحتراق تركنا جسدنا يحترق بدون أن نسعى لاطفائه .
والحاصل ان مزية هذه القصاصات هي كونها النتائج اللازمة لا بد منها
للافعال التي أوجبتها او « رد الفعل الطبيعي » الذي لا مناص منه

ولنلاحظ ايضاً ان هذه القصاصات التي سميناها « رد الفعل » والتي
ترافقها آلام ووجاع في كل حالة تعد دائماً على نسبة « التجاوزات » ،
فوقمة خفيفة تسبب وجعاً خفيفاً ، ووقمة اعظم تسبب وجعاً اعظم وهلم
جراً . وليس من القوانين الطبيعية ان الولد الذي يعثر ويقع على الارض
يقاسي وجعاً اكثر من اللازم ، لكي يجعله اكثر تيقظاً والتفاتاً من اللازم
ايضاً ، وبواسطة التجارب اليومية يتوصل الولد الى معرفة القصاصات
الخفيفة او الشديدة التي تعقب تجاوزاته الجزئية او العظيمة ويجتهد في
اجتنابها

ولنلاحظ اخيراً ان رد الفعل الطبيعي الذي يعقب افعال الولد
المتجاوز ثابت محقق ولا مناص منه : عقاب شديد وفعل بدون

تهديد : ، فاذا غرز الدبوس في اصبع الولد أحس بوجع مخصوص ، واذا غرز مرة اخرى عاد الوجع مرة ثانية

وهذه الحقائق العمومية توجه نظرنا بالاكثر اذا ثبت لنا انها تبقى حقائق طول مدة الشبيبة كما هي مدة الطفولية والصبا . لأن الشبان والشابات يحيدون عن طريق الشر بالاختبار الذي يكتسبونه من نتائج افعالهم وحركاتهم ، فبعد ما تنتهي التربية الوالدية ولا يبقى والدون ولا معلمون لمنع هذا ، يرى الشاب امامه نظاماً مشابهاً للنظام الذي علم الطفل الصغير أن يدير حركاته ، فاذا اضاع وقته بالكسل او البطالة ولم يتم بحق وظيفته وعمله رأى امامه القصاص الطبيعي وهو فقدان عمله او تحمل مشاق الفقر والفاقة مدة من الزمان — فالطيب المتهامل يتركه اكثر المرضى . والدائن الساذج يتعلم بواسطة المشاكل والاعتاب التي يتحملها أن يكون اكثر تبصراً وتعقلاً في الاشغال وقس على ذلك . ونرى جلياً ان عقول الناس قد ادركت الفرق بين تربية الاجتماع ، أعني التربية التي يكتسبها المرء في العالم الاجتماعي وتربية الطبيعة وعرفت ان تربية الطبيعة اعظم النوعين تأثيراً وفائدة

لا بد لكل منا أن يكون قد سمع مرة من يقول ان الخبرة والتجارب اجبرته على تغيير كيت وكيت من احواله ، او سمع قول الناس للذين يذمون ويؤخذون سوء تصرف هذا المسرف او ذاك الطامع ، ان النصائح لا تأتي بفائدة ، وان التجارب المؤلمة والقاسية ، أعني المشقات والاعتاب التي تصادفهم هي التي عادت بالتأثير المطلوب دون سواها ، ومن الامثال السائرة « من لا يريه والداه ربه الايام والليالي . واذا

اردت دليلاً آخر على ان رد افعالنا الطبيعي هو القصاص المؤثر اكثر من غيره ، وانه لا يقوم مقامه قصاص من موضوعات البشر فانظر الى عدم تأثير طرق العقوبات الشرعية ، لأن كل طرق التأديب المخترعة من ارباب الشرع والتي تنفذ بشدة عظيمة لم تأت بالفائدة المأمولة منها . وليس الأمر قاصراً على عدم التأثير من هذه القصاصات المخترعة او على انها لم تصلح احوال المجرمين اقل اصلاح بل انها على عكس ما تقدم تنتج احياناً جنایات منكرة وفضيعة . ويستثنى من ذلك السجون فقد اتت بنتيجة حسنة في كثير من الاحوال لأن طريقة التأديب بواسطتها مأخوذة من الطبيعة ، أعني تلك السجون التي يتلى فيها المجرم بنتائج سيرته ، فنقص حرته ويحرم من جميع مزاياه الطبيعية

فيبين لنا اذاً مما تقدم ان الطريقة التي تستعملها الطبيعة لتعليم الولد الصغير ادارة حركاته ، هي الطريقة التي تخضع القسم الاعظم من الناس للقانون ، والتي تهذب وتربي الاخلاق قليلاً او كثيراً ، وان كل طرق التأديب المخترعة من البشر لا تأتي بفائدة ما دامت بعيدة عن الطريقة المستعملة في الطبيعة وهي تزيد تأثيراً كلما اقتربت منها

هذا كله يبين الخطة التي يجب علينا اتباعها في التربية الادية ، ويثبت لنا ان الطريقة التي تأتي بفائدة عظيمة في سن الطفولية وفي سن الشبية تكون ايضاً مؤثرة في ما بين ذلك اي في سن الصبا . وهل يتوهم احد ان الطريقة المؤثرة بهذا المقدار في الدورين الاول والاخير من الحياة لا تؤثر في الدور المتوسط ، أو لم يتضح لنا ان وظيفة الوالدين هي التيقظ دائماً « كخدمة وتراجمه للطبيعة » على ايقاع اولادهم في نتائج تصرفهم

الحقيقية بدون تقليدها او تكثيرها او تبديلها بنتائج غير طبيعية من
اختراعهم؟ نظن انه ليس في الناس من يرفض التسليم بهذه القضية
وربما ادعى بعضهم ان هذا ما يعمله القسم الاعظم من الوالدين ،
وان القصاصات التي يعاقبون بها اولادهم هي في اكثر الاوقات نتيجة
سوء فعلهم الحقيقية ، وان الغضب الابوي الذي يظهر سواء بالكلام
القاسي او بالافعال الشديدة هو نتيجة الذنب المحترم من الولد وان التألم
الجسدي او المعنوي الذي يشعر به الولد هو رد الفعل الطبيعي لسوء عمله .
نعم ان في هذا الادعاء قليلاً من الحقيقة مع كثير من الغلط ، فلا ريب
ان غضب الوالدين هو حقيقة نتيجة اثم الولد وان اظهار هذا الغضب
بالكلام او بالافعال تأديب طبيعي ونتيجة ذلك الاثم ، واما الزجر والتهديد
وضرب الوالد المحتدم غيظاً لولده المذنب فانها نتيجة تأثر الوالد من سوء
سيرة ولده ولذلك يمكننا ان نعدّها من قبيل رد الفعل الطبيعي لسوء
حركة الولد ، ونحن لا نزعم اصلاً ان تأديباً كهذا ليس حسناً أو موافقاً
بالنسبة الى غيره . وقد قيدنا قولنا « بالنسبة » لأننا نريد ان نقول ان
تأديباً كهذا هو حسن بالنسبة الى الاولاد العسرو الانقياد والتربية ،
اولاد اولئك الرجال الذين هم ايضاً ربوا تربية رديئة في صغرهم ، وبالنسبة
الى حالة الهيئة الاجتماعية التي يتألف معظمها من هؤلاء الرجال الذين
لم يربوا حسناً . وقد اوضحنا سابقاً ان طرق التربية كالتقوانين والنظامات
السياسية ، جيدة اذا هي وافقت درجة الترقى العمومي في العالم ، فالاولاد
المتوحشون للوالدين المتوحشين لا يمكن تربيتهم الا بواسطة الطرق
المتوحشة التي يأتيها اباؤهم وقد تكون هذه احسن الطرق التي تؤهلهم

للعيش في الجمعية المتوحشة التي يقومون فيها ، وبمكس ذلك فان الاعضاء
المتمدنة للبيئة المتمدنة يلزمهم بحكم الطبع ان يظهر واغضبهم على طريقة
أقل توحشاً وغلظة وبالوسائط اللطيفة يتمكنون من اصلاح وتربية
اولادهم . فقد تحقق اذاً ان حاسيات الوالدين تظهر على مبدأ « العمل
الطبيعي » وهو مبدأ متبع عند البعض

ولنذكر الان نقطتين مهمتين جداً ، أولاً انه في هذه الحالة التي
نحن فيها ، حالة التغير السريع ، حيث قام جدال دائم بين النظريات
الجديدة والقديمة كما بين العمليات الجديدة والقديمة ، يمكن ان تكون
طرق التربية غير موافقة لحالة الزمان أي ان اكثر الوالدين يستندون
على مبادئ لا توافق غير الزمان الذي وضعت فيه لانهم يقاصون اولادهم
بطريقة مشددة تمس احساساتهم الشخصية ويلونهم بهذه الوسطة برد
العمل ، ولكن بصورة غير طبيعية مع ان بعض الوالدين لثقتهم يبلوغ
اولادهم درجة الكمال بدون واسطة يقعون في تقيض هذا المبدأ أي
انهم يتركون تربيتهم للطبيعة ولا يتدخلون فيها

ثانياً ان اظهار الوالدين لرضاهم او عدم رضاهم لأولادهم لا يكفي
لتربيتهم وتهذيبهم بل ان احسن تربية تكون باختيارهم النتائج الضرورية
التي تعقب افعالهم بحكم الطبيعة وبدون تدخل الوالدين ، والنتائج التي تعد
مفيدة فائدة حقيقية ومهذبة ليست هي تلك التي يولدها الوالدون المعتبرون
وكلاء الطبيعة بل هي التي تولدها الطبيعة ذاتها

الهمة والاعتماد على النفس

افترق الناس في طلب الدنيا مذاهب متباينة واطواراً متفاوتة ،
فمنهم من رضي منها بالكفاف علماً بانها دار غربة ، وان كل ما فيها متاعٌ
الى حين ، ومنهم من جدّ به الحرص على جمع حطامها وجعل ايامه وفقاً
على الاستكثار والمزيد من موجودها ، فحرم نفسه طيبات الحياة ، والتمتع
بلاذئذ العيش ، حرصاً على توفير الدينار يجمعه الى الدينار ، والقرش يضمه
الى القرش ، لا يرى اللذة الا في النظر الى تلك الجمادات . ومنهم من
يرى جلّ ما يناله من الحياة ان يسمى في ابتناء المجد وتخليد الذكر ، وان
يترك في الارض آثاراً ناطقة بعده بما كان له من مزية وما أوتي من
موهبة ، الا ان كل واحد من هؤلاء ، ربما افراط في الطلب وبالغ في
الحرص على دنياه ، حتى انه كثيراً ما يعرضها للضياع

انظر الى الجندي الذي يقتحم ساحات الحروب ويقذف بنفسه في
اعظم المواقع خطراً وأبعدها سلامة جأ بوطنه وطمعاً في مائة تذكّر
عنه او سوّدد يسمو اليه ، وكثيراً ما يكون في ذلك هلاكه ، وكذلك
حال المقامر الذي يخاطر بحظه من الدنيا ويضع امواله في كفة القدر ،
املاً ان تعود عليه بالمزيد وقلمما عاد الا بخسرانها جملة . على انه شتان بين
مخاطرة الجندي بنفسه ومخاطرة المقامر بماله فانه مع كون مخاطرة الجندي
اعظم تطوحاً وافدح خسراناً ، لأنه يخاطر بالنفس التي لا عوض له
منها ولا ينتفع بشيء بعدها ، فانه انما يقدم على ذلك بما يدفعه من

كبر نفسه وعلو همته وما تناجيه به خواطره من المنازل الرفيعة والمراتب الشريفة ، مما لا يدرك إلا بالاقدام على الاهوال والصبر في مواقع الجلال وبذل اعز ما لديه في سبيل الفخر والذكر الباقي . واين هذا من المقامر الذي يقدم على المخاطرة بماله بما يحمله عليها من الجشع الذميمة والطمع الممقوت ، وما يبعثه عليها من دناءة همته وصغر نفسه وميله الى ما في ايدي الناس وطلب الاستيلاء عليه بغير حق ، وهو يتذرع الى بغيته بطرق الاحتيال وضروب الاختلاس - اين هذا من حال اقوام يرحلون من أغلب البلاد الاوروبية فيغادر احدهم منزله واهله وصحبه ويسافر على ظهور الاهوال والاختطار متخطياً عوادي الطبيعة من برد وحر الى ارض في اقصى المعمورة لاقتناء ثروة لا يحصل عليها وهو في بلده . على ان أمثال اولئك لو كانوا من ذوي الفقر والحاجة ، او من الذين يرحلون هرباً من الذل والمسكنة لمهدنا هذا طلباً للارتزاق من صناعاتهم وتجاراتهم ، لكانوا معذورين فيما يأتون من ذلك ويقتحمون من الشدائد في سبيله ، ولكنهم اقوام من طبقة الغنى والتوسع في الدنيا ، وممن يتغنون الحصول على الثروة العاجلة

كنت أعتقد الى عهد قريب ان جميع الوافدين لبلادنا من فقراء قومهم ضاقت عليهم سبل العيش في بلادهم فرحلوا الى غيرها للارتزاق ، وارض الله واسعة ، وان الثروة الطائلة التي احرزها بعضهم جمعت بكدهم واجتهادهم ، ولكنني بعد سياحاتي الكثيرة وتعرفي ببعضهم علمت ان كثيرين منهم وفدوا علينا بشيء من رؤس الاموال ، فاستثمروها بطرق شتى وزادوها اضعاف الاضعاف ، اما نحن المصريين سواء كنا متوسطي

الحال او فقراء ، فاننا وطنيون بالمعنى الحقيقي . . . ، نحب بلادنا ونعشقها
من كل قلوبنا ولا نقدر ان نفارقها او نرحل عنها قيد شبر ، لئلا يقال اننا
عديمو الشهامة والمرؤة وناكرو المعروف والجميل ، واننا تركنا أمانا ،
استغفر الله ، أم الدنيا وهي حنونة وشفوقة وبأسطة اجنحتها
علينا أه .

يرحل اليوناني والأرمني والسوري والتونسي والانجليزي والايطالي وغيرهم
الى السودان (بلادنا) والحبشة القريبة منا ، وكلاهما بلاد خيرات ، او بلاد
الذهب كما يقول البعض ، او الى غيرهما ويشغلون بكل الحرف والصناعات والبيع
والشراء ، ونحن لانحرك ساكناً ، ولا تشتهي أنفسنا ان تقلدهم مرة ، ولو على
سبيل التجربة

يجلس كثير من شباننا على القهاوي من طلعة الشمس الى مغربها او يدور
البعض منهم على المصالح والدواوين طالبين خدمة ، هذا يطردهم وذلك يتهمهم
فلا يستحيون من مقدرتهم وكفاءتهم ، ويعتمدون على نفوسهم ، ويقولون ارض
الله واسعة ، وينفذون القول بالفعل

اي عار في الارتحال والحصول على العيش في اي بلد كان ؟

ان العار كل العار ليس في التغرّب والانتقال ، بل في الخمول والكسل وتضحية
عزّة النفس على مذبح البطالة ، واراقة ماء الوجه في التذلل لهذا وذلك

ان العار كل العار في تمضية وقتنا في القهقهة والمهارة والرقاعة بين القهاوي وفي
الشوارع وجيوبنا أفرغ من فؤاد ام موسى

ان العار كل العار ان نرى كثيرين من اخواننا السوريين انتشروا في عرض

البلاد الأمريكية والبرازيلية وطولها يجمعون الثروة الطائلة ويعودون الى بلادهم
غامين فرحين مسرورين ، وشباننا نائمون في احضان امهاتهم غارقون في شقاء
الذل وحضيض الفاقة

ملكمة الاعتناء

ملكمة الاعتناء أهم ملكات النفس والارادة ، هي سر نجاح الاعمال
وتقدمها ، فلو كان الانسان عالماً (مثلاً) ومتبحراً في العلوم والفلسفة
ولكنه خالياً من ملكة الاعتناء ، اي مهملًا في اموره ، فلا يمكن او ينتظر
ان يفيد الهيئة الاجتماعية بعلمه وفلسفته . وكذلك التاجر او المالى او
الصانع فانه بدون ملكة الاعتناء لا يؤمل أن يربح شيئاً ، وبالاجمال ان عمل
كل انسان اذا اقرن بالاعتناء نجح وتقدم ، واذا كان الاعتناء بعيداً عنه
فشل واضمحل ، والدليل على هذه الحقيقة حياة الامم الحية ، فان نجاحها
وفلاحها هما نتيجة اعتناء افرادها بشؤونهم المادية والادبية اعتناء تاماً
تأمل جماعة الانجليز الذين بين ظهرانينا ، كيف انهم يحترمون
انفسهم (واحترام النفس من الاعتناء بها) ويهتمون باشغالهم ويعتنون
بصحتهم ويؤيدون آراءهم وسياساتهم ، اذا دخلت مكتباً لاحد من تجده
مرتباً ومنظماً والاعتناء يرفرف عليه ، واذا تأملت في عمله تجده متقناً
ومنجزاً والاعتناء يحوم فوقه ، واذا نظرتة وهو في نزهته تجده مهتماً
برياضة نفسه وجسمه ، وبالاجمال ان كل حركة من حركاته وسكناته
يتلأأ فيها الاعتناء بانواره الساطعة ، ويتجلى بينها بابهى معانيه

هذا هو سر نجاحهم في بلادهم وغيرها

فاين نحن من الاعتناء ، هل فينا من يعرفه او يهتم به ، هل عملنا عملاً وادخلنا فيه هذا السر العجيب الذي نجحت الامم الراقية بواسطته وتقدمت ، هل غالطنا انفسنا مرة وثابرتنا على عمل وعيننا به وبأمره ، هل اعتنينا بنظام معيشتنا وبصحة انفسنا وبرياضة جسمنا ، هل اهتمنا بتربية اولادنا ونظافة بيوتنا ، واتقان تجارتنا وصناعتنا ؛ لا وحقك ، اننا لانحب الاعتناء ، ولا نميل اليه ، لأنه يضايقنا ويفسد علينا حفلات لهونا وانسنا واجتماعات حظنا وسرورنا ، فما أصابنا مس في عقولنا ، حتى نمتثل لهذا الحاكم القوي الجبار

من ذا الذي يفضل ان يترك حرية نفسه وهواه ... ويتحمل سلطان الاعتناء وتدقيقه وشده ومراقبته ، اننا خلقنا احراراً ... من الذي عنده صبر ، يقعد ويكتب الجوابات او يرصد (يقيد) في الدفائر باعتناء ... « هذه حسوكة فارغة » ، « نكتب كيفما كان والسلام ... » اه .

هذا لسان حال الاغبياء الذين لا يحترمون انفسهم ، ولا يريدون ان يحترمهم غيرهم ، فلو دخل في عقولهم ان الفشل الضارب اطنابه في صفوفهم ومشرعاتهم وأشغالهم وعلومهم وفنونهم وصنائعهم سببه عدم الاعتناء ، تركوا هذا الاهمال الفاضح ، وطلقوه ثلاثاً ، واقسموا بعظمة أجدادهم ومجد آبائهم ، انهم لا يتركون صغيرة او كبيرة الا ويمتنون بها ويهتمون بأمرها ، وأشهدوا الله عليهم بانهم يفعلون ما يقولون ولا بد لي في هذا الباب من توجيه كلامي الى مستخدمي الحكومة عموماً

والسكة الحديدية خصوصاً ، أقول مستخدمى السكة الحديدية خصوصاً لانهم اخواني واولادي ، أتمنى لهم السعادة والهناء من كل قلبي . ان البرهان القوي المتين المحسوس الذي يمسك باليد على عدم اعتناء بعضكم باشغالهم واهمالهم الواجبات المطلوبة منهم ، هو العقوبات التي توقعت عليهم « والاستقطاعات » التي أصابت اجورهم ورواتبهم ، حتى بلغت في عام واحد (عام ١٩١٠) مبلغاً وقدره ٤٩٥٣ جنيهاً مصرياً . . . وهذا المبلغ لم يستقطع منهم وخدم بل أصاب ايضاً عائلاتهم كما لا يخفى . ربما قال البعض منكم ان كثرة الاشغال وخصوصاً البلية منها هي علة هذا الاستقطاع ، فاجيبكم بالبرهان الآتي

اني لما توجهت الى انجلترا في عام ١٩٠٧ بمأمورية من قبل المصلحة للاطلاع على نظام أقلام الادارة والحركة بالشركات الكبرى ، سألت أحد المفتشين ، كيف تؤدبون مستخدمي المحطات وعمال الحركة الذين يهملون واجباتهم ، فاستغرب هذا السؤال كثيراً ، وطلب مني ان اعيدده ، فأعدته عليه ، فأظهر الدهش والاستغراب ، وقال ليس عندنا بهائم حتى تؤدبها ، بل عندنا رجال يؤدون واجباتهم بكل اعتناء ، واننا لا نعرف « الاستقطاعات ولا الجزاءات » ، وانه (اي المفتش) صار له ٣ سنوات في قسمه وفي خلالها نقل عامل من محطة الى اخرى لمشاجرة حصلت بينه وبين زميله ، ووبخ آخر لانه تجاوز اجازته يوماً وانه لا دخل للواجبات في هاتين المخالفتين ، فتمجبت ، ودخلني الشك ، وبعد ان سألت كبار الموظفين في الشركات الاخرى تأكدت الخبر . فتأمل

احترام النفس

ان احترام النفس من أهم الفروض التي يجب على الانسان اداؤها ،
لأنه كما يجب المرء نفسه ويحافظ عليها ، ويتقي البرد والحر لأجلها ،
ويسعى ويجتهد ليضمن رفاهيتها وتنعمها ، ويخرج الى المنتزهات والخلوات
لرياضتها ونزهتها ، ويذهب الى الملاهي ومحلات الانس والطرب لسرورها
وانشراحها ، فانه يجب عليه ان يحترمها ويعطيها حقها من الاكرام
والاعتبار . وليس الغرض من احترام النفس واكرامها الترفع عن الناس
والتعاضم عليهم ، او الفطرسه وشموخ الانف ، بل الابتعاد عن كل ما
يشينها مع اعطائها قسطها من الاحترام والاكرام ، وكما ان الانسان
يسر خاطره وينشرح فؤاده عندما يرى الناس يحترمونونه ويجلونونه ، ويعتبر
هذا من الواجبات المفروضة عليهم ، فانه خلق به وأحرى ان يكون في
مقدمة الذين يحترمونونه ويجلونونه ، فيحترم هو ايضاً نفسه

والمقصود هنا من احترام النفس ان الانسان لا يتذلل ولا يجبن
ولا يحط بقدر نفسه ولا يزري بشرفه ومقامه ، وان يفصل فصلاً تاماً
بين التواضع واحترام النفس ، ويجعل حداً فاصلاً يقف (كلاهما) أمامه
ولا يتعديانه ، لأن التواضع بمعناه السامي لا يفيد اذلال النفس وتحقيرها
وتعويدها الجبن والاستماتة ، ولا ينافي الشهامة وارتفاع الرأس والانفة
وعزة النفس ، ولا هو من العوامل التي تدفع الانسان الى الحط بقدر
نفسه ، ووضعها في مركز أقل من درجته ومقامه ، بل هو (احترام النفس)

حليف للانسانية صديق للكرم والحلم شقيق للطّف والظرف رفيق
للحنو والرأفة ، وهو ايضاً نقيض للكبر والخيلاء ، عدو للتيه والفطرسه
مبغض للابهة والفخر

وبالاجمال فان الذي يعتقد ان عدم احترام النفس هو انكار الذات
او التواضع يعد مخطئاً ، وشتان بين الثريا والثرى

ولدينا شواهد وبراهين كثيرة تدل على عدم احترامنا لأنفسنا
اذ كرهننا بعض ما عنّا لي (منها) ان كثيرين منا عند ما يدعون خادم
القهوة او المطعم (الا فرنجي طبعاً) يقولون له يا « موسيو » أي يا سيدي ...
او يا « خواجه » . . . مع انه لا يزيد شيئاً عن درجة خادم من خدمة
بيوتنا او محال أشغالنا ، فاذا كنا لا نستلطف ان ندعوه بلفظة « خادم »
او « غلام » او « صبي » او « ولد » ، ولا نجد في اللغة العربية كلمة الطّف
في اللفظ والمعنى من هذه الكلمات ، فما الذي يضرنا اذا كنا ندعوه
(بلغة الفرنسيس) كما يدعوه الا فرنج أنفسهم « جارسون » (Garçon)
وترجمتها غلام او صبي ، وندعوه ايضاً رئيس « اللوكاندة » « متردوتيل »
(Maitre d'Hotel) لان لفظ خواجه وموسيو من الالقاب التي لا يصح
اعطاؤها الا للاسياد وليس لطبقة الخدم

ولا يليق ايضاً ان ندعو الخادمة « الاوربية » بلفظة « مادام »
(Madame) اي سيدة . . . كما يفعل البعض ، لان وظيفتها خادمة
لا اكثر ولا أقلّ

ومن نوادر عدم احترام النفس . . . اني سمعت بأذني احد البكوات المتعلمين
يقول لملاحظ بوليس . . . في اثناء الحديث « يا سعادة الملاحظ » ، وسمعت آخر

من الطبقة الراقية يقول لمعاون محطة . . . « يا سعادة المعاون »
وعلى ذكر « سعادة » أقول ، ان عدم احترام النفس - والأصوب ان يقال
النفاق - قد احتكر هذه « الكلمة » فصرنا لا نسمع بين المتخاطبين إلا « سعادته
وسعادتك » ، وصار الأفندي والبك الصغير (قائمقام) والبك الوسط (ثانية) والبك
الكبير (اولى) لا يخاطبون في الخطابات والمكاتبات او في اثناء الكلام إلا بـ « بلقب
« سعادة » عوضاً عن حضرة

الزواج والتمدن

التمدن من الكمالات الممتازة التي تنوع سلوك « الانسان »
واحواله وتجعله اقرب الى صفات الملائكة منه الى صفات بني الانسان .
ولكنه لا تقوم دعائمه في وسط العائلة الا اذا كان جميع افرادها على
جانب عظيم من الكمال واستقامة السير والتدبير والعفة والتقوى ،
وهذه الصفات الكاملة ، لا يمكن أن يتصف بها كلها « الشاب العزب »
مهما استقام أمره ، لأنه بحكم شبابه ينفر ويفر من نظام العائلة ولو
كان سهلاً ومقبولاً ، بسبب ما يدعي لنفسه من الحرية الشخصية
الوهمية ، وعدم ارتباطه بزواج تشاركه في حياته ، وتجعله دائماً مقيداً بنظام
الكمالات وخاضعاً لناموس العائلة

ولما كان معظم شباننا وبالاخص « المتفرنجون » منهم محجيين عن
الزواج وغير راغبين فيه ، لاسباب طفيفة واعذار واهية ما أنزل الله بها
من سلطان

ولما كان هذا الموضوع على جانب عظيم من الاهمية والخطورة ،
بالنظر الى ما يترتب على الزواج من عمار البيوت واكثار النسل وصيانة
العفة الخ ، وحيث ان اعطائه حقه من البحث والتنقيب والاحاطة بكل
مسائله ودقائقه يلزمه كتاب كبير خاص به ، ولا يكفي فصل صغير ضمن
كتاب ، فقد اضطررت الى ايراد بعض الشيء عنه في هذا الباب بوجه
الاختصار نظراً الى علاقة هذا الموضوع بالتمدن والرقى

المسائل الرئيسية في الزواج هي ، استعداد الشاب للزواج ،
والخطوبة ، والمهر ، والجهاز

ان السن اللائق للزواج هو ما بين الخامسة والعشرين والثلاثين ،
وقد يوجد كثير من الشبان في هذا السن ولكنهم بكل اسف لا يتزوجون
فاذا سألتهم عن السبب تجد عند كل منهم اسباباً وموانع يُدّعيها ، اذا
شُرحت كلها فانه يلزمها مجلد كبير ، ولكنني اکتفي بالهم منها

برعى امرهم ان دخله او راتبه لا يكفيهِ ، فاذا سألتهُ كيف تزوج
جدك ووالدك وعمك ودخل او راتب كل منهم كان أقل من دخلك او راتبك
بكثير ، كان جوابهُ أنه يريد ان يعيش عيشة طيبة ويسكن منزلاً فخماً مؤثراً
بالاثاث الفاخر والرياش الثمين و . . الخ حتى يُقلد فلان افندي او فلان بك . .
وان سألتهُ متى توّمل ان يزيد راتبك الزيادة التي ترضيك وتقرّ بها عينك ، كان
جوابه انه لا يعرف ، او بعد عمر طويل . . .

فمثل هذا الشاب لو اتكل على الله وتزوج وهو براتبه او دخله الحالي ، لاستقام
أمره وصلح حاله ووجد أن دخله او راتبه الذي يستقله مع القناعة والتدبير والاقتصاد
كافٍ لنفقاته ، لا يشعر معه بضيق على الاطلاق ، لأن ما ينفقه على القهاوي

والخانات والمطاعم (لأن العزب لا يجب أكل البيت) كافر لأن يعيش به مع
زوجيه في ارغد عيش وأهنأ حال

وعلى ذكر هذا ، أقول اني أعرف شاباً من الظرفاء المتعلمين ، ولكنه بكل أسف
من المولعين بالأبهة والفخر ، كل راتبه لا يزيد عن عشرين جنبياً وليس له غيرها ،
إذا أراد ان يأكل ، ففي مطعم نزل « الكونتيتال » او يشرب ، ففي محل
« فيرانس » . . . او يجلس ، فمع فلان بك وابن فلان باشا من اولاد الذوات ،
وهو ينفق كما ينفقون ويسهر كما يسهرون ، نصحته ذات يوم ان يعدل عن هذا
السلوك وان يأوي الى بيته لأن والده في حاجة الى رؤيته حتى يعزي شيخوخته
وهو وحيد ، والأصوب ان يتزوج وراتبه الذي ينفقه هباءً مثوراً كافٍ وفوق
الكفاية ، فامتعض لونه وأبرقت عيناه ، وجاوبني باستغراب وتعجب ، كيف تقول
ان راتبك يكفيك ؟ ، وهو لا يكفي نفقات دعوة لنسائي الجدد وقال أنه
لا يتزوج الا اذا بلغ راتبه اربعين جنبياً

مضى على هذا الحديث ثلاث سنوات تقريباً ، واذا بورقة دعوة من والد
الشاب يدعوني بها لحضور زفاف نجله ، فأول سؤال وجهته « لحضرة العريس »
عندما وقعت عيني عليه كان عن راتبه ، فقال اثنان وعشرون ، قلت وكيف
تزوجت قبل ان يصل راتبك الأربعين ، فأخذ يتأوه ، وقال اني مرضت مرضاً
شديداً حتى أشرفت على الموت من تأثير الشرب والسهر ، ولما تعافيت عقدت
النية على الزواج وصممت ان اعتكف في البيت ، لأنني اذا بقيت عزباً لا بد لي
من اعانة الكرة والرجوع الى ما كنت فيه

فاذا حسب هذا الفريق من الشبان (امثال هذا الشاب) ما ينفقه كل منهم
في كل ليلة على ملذاته وهوى نفسه لوجده ولا شك كافياً لأن يقوم بأود عائلة
كبيرة بدل الفرد الواحد ، هذا فضلاً عن النعمة الكبرى التي يحصل عليها ، وهي

نعمة الصحة والابتعاد عن الأمراض النجسة القتالة (وسيأتي الكلام عن قصر
أعمار العزاب في آخر هذا الباب)

أما الانتظار والصبر حتى يزيد الدخل والراتب ، فهذا يدل على
الجشع وعدم القناعة وطموح النفس الى درجة اكبر من درجتها ومركزها ،
لأن زيادة الدخل او الراتب ليست في اليد ولا يعلم متى تم او تحصل ،
وليس من الحكمة ان يعيش العزب كالشريد الطريد يتنقل من حانة الى
اخرى ومن هذه المفسدة الى تلك حتى يمل السهر فيذهب الى يتيه
عند منتصف الليل او بعده وهو منهك القوى خائر الجسم كأنه نصف
ميت ، يستلقي على سريره كالقتيل ، وفي الصباح توظفه الخادمة بعناء
شديد ، فيذهب الى أشغاله كالسخر لا نشاط به ولا همة ، ويقضي
ساعات العمل بغاية الملل والضجر ، حتى اذا حل وقت الانصراف كان
أول من يبارح المكان ، ويهرول مسرعاً الى يتيه ، وبعد ان يأكل غداءه
ينام الى غروب الشمس او بعده ، ثم يعيد الكرة ويستأنف السهر
والدعارة ، وهكذا يستمر الحال على هذا المنوال حتى يصادفه مرض
يقعده ويعذبه وينهك قواه ، فيتأوه ويتأسف على ما كان ويندم ولكن
بعد خراب البصرة

ومن الغريب ان هيئة أغلب شبانا العزاب في الزمن الحاضر تدل
انهم اكبر سناً مما هم في الحقيقة ، فقد قدرت مرة سن أحدهم بثلاثين ،
واذا به في الثالثة والعشرين ، وآخر هيئته كهيئة الذي بلغ الاربعين ،
واتضح انه في الثامنة والعشرين ، وكل هذا نتيجة الاسراف في السهر
والافراط في شرب الخمر والانهماك في الموبقات كما لا يخفى

ويقول أمر - أنه لا يتزوج الا اذا تغيرت طريقة الخطبة الحالية ،
حتى يمكنه ان يرى مخطوبته ويجلس معها ويكلمها ويعرف ذوقها وشعورها
واحساسها وأفكارها ومعارفها لأنها ستكون شريكته في حياته ووالدة أولاده . وهذا
الطلب في محله وهو حق وصواب لا يرفضه او يعارض فيه الا كل غبي مكابر
متعنت ، واني أخاطب والدي البنات الذين لا يصرون بدخول الشبان الخاطبين
في منازلهم لرؤية بناتهم بلسان حضرة الفاضلة السيدة « ملك حفي ناصف » ، لأن
في ما قالته عن هذا الموضوع غاية الكفاية

قالت حفظها الله :

« وطريقة العرب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده في أمور الخطبة
والزواج طريقة شريفة معقولة اذ لم يكن الحجاب حينذاك كما هو الآن ، واني
أجاهر بأن حجابنا مقلوب ونظام اجتماعنا فاسد أشد الفساد لا يصلح ولن يصلح
لأن تتبعه أمة متمدينة

« أليس عجباً ان نرى نساتنا وفتياتنا يتهكن كل يوم في عرض الشوارع وبملاذ
حوانيت الباعة ويذهبن في الخلاعة كل مذهب فيكلمن سائق (الترام) ويقفن
مائلات على ربات الصدور متبرجات أمام المصور (فوتوغراف) واذا طلب خاطب
مستنير من أبي الفتاة ان يسمح له برويتها والتكلم معها وأبوها يراقبها عد ذلك
أمراً اذاً ، هذا رجل وذاك مثله والأول تكلمه بلا مراقبة وانما يعلم من أهلها ،
والآخر يريد ان يكلمها أيضاً ولكن مع مراقبة أبيها وغرضه شريف وهو معرفة
كنهه التي سيتزوج بها ويجعلها شريكة حياته ومرية اولاده . فما السبب في منح
الأول ومنع الثاني ؟ اللهم ان هو الا الجهل والعادة وحب القديم حتى ولو كان
مضراً . اذا اعترض أحدهم وقال ان الفتیان أغلبهم فاسدون الأخلاق ، قلت ان
المصور والبائع أفسد خلقاً من الفتى المتعلم ، على ان المراقبة مانعة للفساد على كل

حال ، ثم ان خوف الفتنة اكثر في الحالة الأولى منه في الثانية . لأن المقام الأول مقام هزل فتضحك فيه الفتاة بلا مبالاة وتكشف عن ذراعيها او صدرها عند التصوير مثلاً ، وتكون في الغالب متبرجة . أما المقام الثاني فهو مقام جد لا تتعدى فيه الواحدة حد الحشمة ، فمن أين تأتي الفتنة اذن ؟

« وعندي انه لو اتبع هذا السبيل في الخطبة لكان خيراً ولقلت حوادث الشحاء بين الزوجين فيما بعد ، وهي بلا شك نتيجة الزواج (العيباني) الذي نتبعه في أعز شيء لدينا وهو ابناؤنا وبناتنا » انتهى

وبرغمي أمر — انه ميال الى الزواج وراغب فيه ولكنه مُعسر لا قبل له بدفع المهر . . . وانه طلب بنت فلان من معارفه ، وبعد ان اتفق معه ، وقبل ان يزوجه ابنته بدون مهر على شرط ان لا يجهزها الا بالاشياء الضرورية جداً ، عدل عن عزمه والسبب ان زوجه رفضت قبول هذا الاتفاق زاعمة ان أهلها وأصحابها وجيرانها يُعَيرونها ويمقتون عملها وان ابنتها ليست رخيصة ولا من ذوات العلل حتى انها تزوجها بدون مهر

غريب والله امر هؤلاء الاغبياء ، مثات وألوف من الشبان يريدون الزواج ويطلبونه ويحول دون أمنيتهم ورجبتهم العسر وضيق ذات يدهم ويتمنون من كل قلوبهم لو رضي والدو الفتيات ان يزوجهم بناتهم بدون مهر ، وفي مقابل ذلك لا يكفونهم بأثاث ولا بفرش ولا نحاس ، وكما يقدرون عليه من الجهاز يقبلونه بكل حمد وشكر ، ووالدو الفتيات يرفضون ؟

ما هذا الحال ؟ كيف انه يوجد مثات وألوف من البنات معطلات وأغابهن في سن العشرين وما فوق ويتمسك والدوهم بهذه العادة القديمة ، عادة المهر ، وهي تجارية اكثر مما هي أدبية

كيف يكون الميل من الفريقين الى الزواج متبادلاً شديداً وكل فريق يتمنى

ان يناله عاجلاً ، هو لاء حتى يفوزوا بنعمة الزواج وهناء الحياة ، واولئك حتى يطمثوا على مستقبل بناتهم في حياتهم ويفرحوا بزواجهن قبل ممانهم . ويجول دون أمنية الفريقتين الخوف من كلام الناس !! يا للجهل ويا لشقاء الحال !!

ان اول اسباب الشقاق والنفور التي تحصل بين الزوجين عقب زواجهما بأيام او أشهر هو الفقر او ضيق يد الزوج ووقوعه تحت أثقال الدين ، لأن الشاب في ايام الخطبة لا يهتم ولا يعمل حساباً لما ينفقه ، بل كل افكاره وأماليه تتجه الى اتمام مشروعه حتى لو ثقلت عليه الديون من كل جانب ، ولكنه قبل ان يتم أشهر العسل يتبدى النفور وتستحكم الشحنة بينه وبين زوجته - ولماذا؟ - لأنها السبب في ضيقه واثقال كاهله بالديون التي لا قبل له بسدادها ، واذا نظرنا الى والد الفتاة وجدناه ايضاً يضح ويئن من ذات السبب ، ومن المدهش ان الفريقتين يعرف احدهما حالة الآخر حق المعرفة وان كليهما معسر ، ومع ذلك فانهما لا يتفقا على طريقة تخفف عنهما مصائب الديون وهموما ، والسبب الخوف من كلام الناس !
فيا للغبوة !!!

وبرعى أمر - انه ميل الى الزواج ويتمناه من كل قلبه ، ولكنه يشترط في العروس التي يختارها زوجة له ان تكون جميلة جداً وغنية للغاية ومتعلمة عالماً عصرياً كاملاً ، وربما زاد على هذا ان تكون من عائلة ذات حسب ونسب ، فاذا لم يتيسر له ذلك فانه يفضل العزوبة ويتحمل مرارتها الى ما شاء الله

طلب ملبح في حد ذاته ، وفيه شيء من الطلاوة واللذة من حيث الجمل والالفاظ . وبديهي ان كل شاب يريد الزواج يتمنى ان يكون هذا حاله ، ولكني اريد قبل كل شيء ان اناقش هذا الشاب وأسأله ، هل في الارض فتيات كمن وصفت ؟ وأين هن ؟ وفي اي عائلة مصرية ؟ انك يا هذا لو سحت العالم بأسره ، لم يمكنك ان تجد فتاة واحدة حائزة للشروط الاربعة التي تشرطها ، فكيف تجد

فتاة مصرية حائزة لها ، ان هذا تعسف وتعنت منك ، او انك تطلب المستحيل
واسمح لي ان أسألك سوألاً ثانياً ، لماذا تشترط هذه الشروط الغير الممكنة ،
أبك شيء او بعض الشيء من هذه الصفات التي تشترطها ، انك لست غنياً
ولا جميلاً ولا ذا حسب يذكر ، وكل امتيازك على الناس ، ان صح ان يكون
هذا امتياز ، انك حائز لشهادة الحقوق (الليسانس) او ما كان مثلها لا اكثر
ولا أقل ، واذا أردت ان تعرف قيمة هذه الشهادة ، فاذهب الى باريس في
الصيف المقبل تجد منها مئات بيد الخلاقين وخدمة التجار الخ . . .

وغير ما ذكرت فان راتبك لا يزيد عن الستة عشر جنيهاً ، فكيف يمكنك
ان تعيش بها مع زوجتك الغنية الجميلة المتعلمة ذات الحسب والنسب ، هل تطلب
منها ان تساعدك في نفقات المنزل ؟ وبأي شهامة تسألها ذلك ؟ وكيف
يكون حالك وقت السؤال ؟ هل تعطي وجهك ؟ او تديره الى الخائط ؟ وعلى اي
اسلوب تمد يدك ؟ أتبسطها ؟ او تقلبها على ظهرها ؟ او تضعها على صدرك وقت
الطلب ؟ ؟ جاوب ولا تخف اذا أمكنك الجواب ؟ حتى اذا كنت محقاً في طلبك ،
فالحق والانصاف وحدهما يتكفلان لك به ، اما اذا كان غرضك من مثل هذه
الطلبات الغير المعقولة مجرد الثرثرة والهراء والنفخخة الكاذبة ، او انها آمال
تخريفية واحلام وهمية تبيش في صدرك ، فاننا نشفق عليك ونرأف بك ونطلب
لك التوفيق

ان الجمال المفرط يا هذا الذي تصبو اليه نفسك لا وجود له في العائلة المصرية
الا نادراً ، والنادر لا حكم عليه ، ولكن المصرية بوجه الاجمال تمتاز عن غيرها
برشاقة الروح وخفة الدم وبشاشة الوجه وطلاقة المحيا وسلامة النية وحنو القلب ،
وهذه الصفات قلما توجد كلها في نساء الشعوب الاخرى ، فاذا وضعتها في كفة ،
ووضعت باقي محاسن الجمال الذي تميل اليه مثل البياض والسواد والاحمرار
وما أشبه في كفة ، فان الكفة الاولى ترجح كما لا يخفى

وما لنا ولهذا الشرح الطويل ، ان « الشاب » العاقل المهذب المتعلم الذي يعرف قيمة الحياة السعيدة عندما يختار زوجة لا تتجه افكاره كثيراً نحو جمال الخلقة والصورة ، بل نحو جمال الخلق والطباع ، لان هذا ينطفي ويذهب ، وذلك يدوم ويبقى

اما الفقر والغنى فانهما سيان في نظر « الشاب » الشهم الابي النفس الذي يحترم نفسه ويقدرها قدرها ، ومن احسن الحكم العامة التي سمعتها في مثل هذا المقام المثل الآتي :

« خذوهن فقراء يغنكنم الله »

وما هذا في عرفي بمثل عامي ، بل آية ذهبية يجب ان تكتب وتنقش على صفحات القلوب ، لأن في الفاظها الأربعة تتجلى الحكمة بأجلى وأحلى معانيها ، ويتلألأ منها نور ساطع يضيء الطريق أمام أمثال هؤلاء الشبان الفارقين في بحور أمانهم وأمالهم التي تمجها الشهامة وتأنف منها عزة النفس

ويقول أمر — ان والد الفتاة رفض قبول المهر الذي دفعه اليه بدعوى انه قليل بالنسبة لمقام واعتبار ابنته ولهذا السبب التزم ان يفك الخطبة ويسحب العروبن [الشبكة]

فآه — ما أقبح الجهل ، اذا كان والد الفتاة جاهلاً وسلطان العوائد القديمة متسلطاً عليه وضاعطاً على بصيرته ، أفليس له أقرب عقلاء مدركون يفهمونه ان المهر عبارة عن « هدية » ان كانت قليلة او كثيرة غالبية او رخيصة فانه يجب قبولها على كل حال وما على مهديها من سبيل ، اما اذا كان غرضه ان لا يقبل

الاما تساويه ابنته من الثمن ، فان اموال الارض كلها في نظره طبعاً أقل قيمة منها
ومن رأيي ان مثل هذه الصعوبات التي تقف في طريق الزواج يجب ان
تزال ، لان غرض الزيجة شريف ولا يجب ان يدنس بمثل هذه العراقيل التي
يحشرونها ويدسونها في وسطه ، فليس من العقل او الحكمة ، ولا من الانسانية
واللباقة ان تنصم عرى خطبة كادت تم لسبب ضئيل وفي غاية الحقارة مثل هذه
الاسباب

هل لاجل الافخار والشهرة الكاذبة كالخوف من كلام الناس نرفض قبول
هذا العريس « الطيب القلب المستقيم الاحوال بسبب قلة المهر الذي قدمه ،
ونسي الى الفتاة ونشقي حظها ونزوجها لشاب مذموم الاخلاق ، فظ الطباع ، غليظ
القلب ، سيء السلوك ، لان المهر الذي قدمه كبير ؟

واذا كان اعتبار الشاب وقيمه على مقدار المهر الذي يقدمه ، واعتبار العروس
وقيمتها ينحصر في مقدار ما تدخل به من الجهاز ، وهذه كلها مقومات الزواج ، فقل
على الزواج والدنيا السلام

ان الزواج هو عبارة عن سنة يجب على كل امرئ ان يتبعها ويدخل تحت
لوائها لانها الطريق الوحيد الذي يوصله الى الكمالات العالمية ، كما ان (الزواج)
الواسطة الوحيدة التي تحفظ كيان العائلات وتمنعها من التلاشي والانقراض والدعامة
الكبرى التي يرتكز عليها العالم وبها يشتد ويقوى ويتقدم ويرتقي ، وليس هو
(الزواج) نقوداً تشرى بها « هلاهيل وكرا كيب » كما يعتقد بعد الجهلاء الاغبياء
ان ابونا الاولين آدم وحواء لم يقدم احدهما للآخر شيئاً حتى تقتدي بهما
بل هما تعاشرنا وتراقنا بكمال المحبة والاتلاف وبارادة الله تعارفاً وتناسلاً وعمراً
الأرض بنسلهما

ومثل هذه الأمور تنشأ بين الأمم على سبيل العادة ثم تتأصل وتنمو قواعدها
فتصبح بمثابة القانون ولا سيما عند الذين يقدمون حكم التقليد والعادة على

احكام العقل وطبيعة الانسان الأصلية ، وما كان مثل هذا التمسك بموضوعات
البشر في كل حالة من آيات السداد بل ان كل زمان له احكام وشؤون

أما اهتمام الناس بهذه العادة واعتقادهم ان الزواج لا يتم بدونها فهذا
في غير محله وليس من مصلحتهم في شيء ، لأنه يصعب عليهم طريقة
(الزواج) ويجعله شاقاً وعسيراً والحال انهم أحوج الى تسهيله وأعوز
لرواجه وشيوعه

وقبل ان أختتم هذا الباب أبين هنا كيف ان الزواج يطيل الحياة
بأدلة قوية تثبت ذلك ، وهذه الأدلة هي احصاء رسمي استخراجهُ حضرة
الفاضل الدكتور محمد افندي عبد السلام الجندي من سجلات
الوفيات بفرنسا

هذا احصاء عن فرنسا لسنة ١٩٠١ وفيه بيان نسبة المتوفين في الألف

عمر	غزب متوفى	متزوج متوفى	ارمل او مطلق
من ١٨ الى ١٩	٥	٤	١٤
٢٠ - ٢٤	٨	٦	٢١
٢٥ - ٢٩	١٠	٥	٢٠
٣٠ - ٣٤	١٤	٧	١٩
٣٥ - ٣٩	١٩	٨	٢٣
٤٠ - ٤٤	٢١	١٠	٢٤
٤٥ - ٤٩	٢٥	١٣	٢٩
٥٠ - ٥٤	٣٢	١٧	٣٣
٥٥ - ٥٩	٤١	٢٣	٣٩
٦٠ - ٦٤	٥٤	٣٢	٥٠

عمر	عزب متوفى	متزوج متوفى	ارمل او مطلق
من الى			
٦٩ - ٦٥	٧٣	٤٩	٦٨
٧٤ - ٧٠	١٠٩	٧٦	٩٩
٧٩ - ٧٥	١٦٣	١٢٤	١٥١
٨٤ - ٨٠	٢٣٧	١٩٥	٢٣٥

فترى من المقارنة بين النسبة الأولى والثانية بأن الذين يموتون في سن ٢٥ - ٢٩ من غير المتزوجين مضاعف عدد الذين يموتون من المتزوجين وهذا الفرق تجده أيضاً في الأعمار التالية :

من سنة	عزب	متزوجون فقط
٣٤ - ٣٠	١٤	٧
فصاعداً	١٩	٨
>	٢١	١٠
>	٢٥	١٣

وهكذا نجد في كل الأعمار حتى تقرب من نهاية الكهولة بأن العدد الأول مضاعف الثاني أو ما يقرب من ذلك كثيراً فمن ذلك نستنتج بأنه يلزم الرجل أن يسرع بالزواج ولو لم يكن نصب عينه الآ مصالحة الشخصية

المرأة

« ان الانسان لا يحترم الا القوة ولا يردع الا بالخوف . ولما كانت المرأة ضعيفة فقد اهتمم الرجل حقوقها ، وأخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان وداس بأرجله على شخصيتها . عاشت المرأة في انحطاط شديد ايأ كان عنوانها في العائلة ، زوجة او امأ او بنتاً ، ليس لها شأن ولا اعتبار ولا رأي خاضعة للرجل لأنه رجل ولأنها امرأة . فني شخصها في شخص الرجل ، ولم يبق لها من الكون ما يسعها الا ما استتر من زوايا المنازل ، واختصت بالجهل والتعجب باستار الظلمات ، واستعملها الرجل متاعاً للذة ، يلهو بها متى اراد ، ويقذف بها في الطرق متى شاء ، له الحرية ولها الرق ، له العلم ولها الجهل ، له العقل ولها البله ، له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن ، له الأمر والنهي ولها الطاعة والصبر ، له كل شيء في الوجود وهي بعض ذلك الكل الذي استولى عليه »

« لو ان في الشريعة الاسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين ، لوجب عليّ اجتناب البحث فيه ، ولما كتبت حرفاً يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرّة في ظاهر الأمر ، لأن الاوامر الالهية يجب الازعان اليها بدون بحث ولا مناقشة ، ولكننا لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة ، وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم فاستحسنوها ، واخذوا بها وبالغوا فيها ، وألبسوها لباس الدين ، كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين ، والدين براها منها »

« على ان البرقع والنقاب مما يزيد في خوف الفتنة ، لأن هذا النقاب الايض الرقيق الذي تبدو من ورائه المحاسن ، وتختفي من خلفه العيوب ، والبرقع الذي

يحتفي تحته طرف الأنف والفم والشدقان ، ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والحدود والاصداغ وصفحات العنق ، هذان الساتران يعدان في الحقيقة من الزينة التي تحت رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفي بعد الافتتان بكثير ظهر . ولو ان المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع خلقها ما يزد في الغالب البصر عنها»

« والحق ان الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الاسلامية ، لا لتعبد ولا للأدب ، بل هما من العادات القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده . ويدلنا على ذلك ان هذه العادة ليست معروفة في كثير من البلاد الاسلامية ، وانها لم تزل معروفة عند أغلب الأمم الشرقية التي لم تتدين بدين الاسلام »

« على ان القول بأن الحجاب موجب العفة وعدمه مجلبة الفساد ، قول لا يمكن الاستدلال عليه ، لأنه لم يتم احد الى الآن باحصاء علم يمكن ان نعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة في البلاد التي تعيش فيها النساء تحت الحجاب ، وفي البلاد الأخرى التي تتمتع فيها بحريتها ، ولو فرض وقوع مثل ذلك الاحصاء ، لما عدّ دليلاً على الاثبات او النفي في المسئلة ، لأن ازدياد الفساد في البلاد ونقصه مما يرتبط بأمر كثيرة ليس الحجاب أهمها »

« ان الاطلاق أدنى بالنساء الى العفة من الحجاب فمن المشاهد الذي لا جدال فيه ، ان نساء أمريكا هن أكثر نساء الأرض تمتعاً بالحرية ، وهن أكثرهن اختلاطاً بالرجال ، حتى ان البنات في صباهن يتعلمن مع الصبيان في مدرسة واحدة فتتعلم البنات بجانب الصبي لتلقي العلوم ، ومع هذا يقول المطلعون على احوال أمريكا ان نساءها أحفظ للأعراض وأقوم أخلاقاً من غيرهن ، وينسبون صلاحهن الى شدة الاختلاط بين الصنفين من الرجال والنساء في جميع أدوار الحياة ، وقد شاهدت وشاهد كل انسان ما يخالف ذلك في بلاد أوروبا وفي الاستانة ،

وفي القرى المصرية ، وبين الأعراب في البادية ، حيث يمر الرجال والنساء بعضهم بجانب بعض وكتفاً لكتف ولا يلتفت أحدهم الى الآخر « قاسم امين »

هذه « منتخبات » خطها يراع ذلك الرجل النابغة العصري ،
المرحوم « قاسم بك امين » عن تربية المرأة وحجاب النساء في كتابه
« تحرير المرأة » أردت ان أفتح بها هذا الباب احياءً لذكره واعترافاً بفضلته
على المرأة المصرية ، التي أراد رحمة الله ان يحررها من أسرها ، ويحل عنها
السلاسل والاعلال ، ويفكها من قيودها ، فلا هي أرادت ، ولا سمح لنا
استبدالنا الفطري الغريزي ان تقبل نصائحنا ونعمل بأرائه

فرحمة الله عليك ، يا صاحب الاخلاق الكريمة ، والنفس الشريفة .
والاحساسات الراقية ، والشعور الحلي ، ضيقت وقتك الثمين ، وأتعبت نفسك الأبية
وبذلت همتك الماضية ، وشغلت أفكارك العالية ، وأضيت آراءك السامية ، ووضعت
نصائح ذهبية ، ينطق كل حرف منها باخلاصك ومروءتك وشهامتك ووفائك لبني
جنسك وليس فيهم من يسمع او يصغي اليها

يا للعار ، يكتب ملاك في صورة رجل الى أمته « آيات ذهبية » ترفع رأسها
(في رفع رأس المرأة رفعة للأمة بأسرها) بين الأمم وتعيد مجدها الأثيل ، مجد
آبائها وأجدادها . ولا ترى فيها إلا الصمم والبكم

يا للفضيحة ، يكتب « انسان » بمعنى الكلمة نصائح صائبة ، بقلم من النور يضيئ
شعاعها على رؤوسنا ، وتقابلها بالاعضاء والبلادة

يا للأسف ، اننا خلقنا لا نقدر ما يقال حق قدره ، ولو كان فيه صلاحنا ونفعنا
ونلتفت الى من قال ، ونصفي الى قوله وتبوع او امره ولو كان فيها حثتنا وهلاك

نفوسنا وأرواحنا ، والسبب ان ملكة التمييز مبتعدة عنا ، نخشى على نفسها منا ،
وان أبواب بصيرتنا مغلقة وموصدة ، اذا تغلب عليها بعض المتعلمين منا وفتحوا منها
مضراعاً واحداً ، او جزءاً من المضراع ، قامت عليهم قيامة السفهاء والاغبياء ، هذا
يقول العادات ، وذاك يتمسك بالدين ، والدين والانسانية براء منهم

فلو كان « قاسم » رحمه الله من أئمة الدين ، وكتب ما كتب لقلنا
ألف مرة آمين ، وصدق الله العظيم ، (كما فعلنا حين كتب بعض رؤساء
الدين في المسائل المعروفة) اما وهو ذلك الرجل الفرنسي المشرب في
معيشته وداخليته فان كلما قاله ، الكفر المبين

ويا للظلم - لو كتب ما كتبه هذا النابغة ، رجل اوروبي وكانت
امته في حاجة الى مثل هذه النصائح والتعليمات ، لقام الشعب كأنه
رجل واحد وخذل ذكره واقام له تمثالاً ينطق بفضله وانسانيته ، اما نحن ،
فاي تذكاراتنا لهذا « الانسان » العظيم الذي رفع رأس الانسانية
بيننا ، واراد ان يخطو بنا خطوات واسعة نحو الرقي والتقدم ، أي اكرام
قدمنا لاسمه الكريم نظير الشجاعة الادبية التي اظهرها وضرب بها على
الجهل والغباوة ، أي تمثال نصبنا له يشهد بفضله ومروءته وانسانيته ،
ويشير باصبعه الينا على مرّ الدهور والاعوام ، ان هذا شعب حي يقدر
رجالها العاملين حق قدرهم

اه . اتنا لانعرف مثل هذه الواجبات ولا نحترمها لاننا متأخرون ،
ومتأخرون جداً وبعيدون عن المدنية الصحيحة

اذا اعترضني منتقد ، وقال انك تبالغ في وصف المصريين بدم
معرفة الواجب وتبخسهم حقهم وقدرهم ، وان الحقيقة غير ذلك ، لأنهم

اول من يعترف بالفضل ويقرّ بالجميل ، ولكنهم اعتادوا أن لا يشرعوا في عمل ، إلا اذا تصدره كبير او عظيم او كاتب مفكر ، وانهم اول من يعترف « لقاسم امين » بالفضل على المصريين عموماً والمرأة المصرية خصوصاً

فاجيبه ، ولو اني معتقد بانى مصيب فيما قلته عنهم ، ولكني أقبل أن اكون مخطئاً ، وحتى تنجلي ظلمة الشك بنور اليقين ، ها انا اقف بين الصواب والخطأ واتبرع بعشرة من الجنيهات ، لاقامة تمثال لفقيد الانسانية « قاسم امين شهيد تحرير المرأة المصرية » ، فهل من محيب ؟

ولا بد لي أن اذكر في هذا الباب ، ما وصلت اليه ، وما حصلت عليه المرأة المصرية (من الطبقة الوسطى والراقية) في الفترة الاخيرة ، من عهد انتقال هذا « الرجل العظيم » الى رحمة مولاة

ان الذي تحصلن عليه من حيث التربية ، بعض قشور ضئيلة جداً من العلم تضرّ اكثر مما تفيد ، فاللواتي يعرفن بعض الجمل من اللغة الفرنسية او الانكليزية ، لا يتكلمن الا بها في المجالس ، يحسبن أنفسهن قد صرن في أعلى مقام من التمدن ، فيترفعن ويتعظمن ويرين سائر الناس دونهن ، وقد صار التكلم بلغة الوطن عندهن أمراً يوجب الامتهان والانحطاط ، فاذا كلمتهن بالعربية عرضن أنفة واستكباراً ، واذا اضطررن الى التكلم بها مزجن الصواب بالخطأ عمداً ، وربما توقفن احياناً كمن يتذكر أمراً منسياً ، او ضاق بهن الأمر فعبرن عن بعض معانيهن باللفظ الافرنجى ، وهن مع ذلك ، اذا سألهن عن شيء من الأمور العلمية ، او باحثتهن في مسألة ادبية او تاريخية ، او غير ذلك ، مما تحلت به نساء الغرب ، كن كمن تخاطبه بلغة غير لغته ، يستولي عليهن البكم ، ولكن بلا

خجل ، او ينقلبن الى الاستهزاء والاستخفاف

على اننا اذا نظرنا الى نساء الافرنج ، وجدنا فيهن العلمات والأديبات
والكاتبات والشاعرات والفقيرات والخطيبات ، ومنهن من انتظم في سلك
اصحاب الجرائد السياسية والعلمية وغيرها ، ومن ألف الكتب المفيدة في الفنون
المختلفة ، وغير ذلك مما لحقن فيه بأعظم الرجال ، واذا جالست احداهن في مجلس
لم تنطق إلا بما يدل على أدبها وفضلها وحسن تهذيبها واتساع مداركها ، وبما يدل
على انها عارفة بما حولها من الأحوال الطبيعية والاجتماعية ، لا يغيب عنها شيء من
حوادث التاريخ المهمة ، وسياسة الممالك وطبائع الأمم وآدابها ، وما أشبه هذه الامور ،
مما تجده في عالم وتجد نساءنا في عالم آخر . فلا ريب ان اللواتي على هذه الصفة
من التمدن ، يحسبن من الاركان المهمة في قيام الحضارة وال عمران ويكون وجودهن
من أعظم الأسباب المؤدية الى نجاح اوطانهم لما ينشأ عنهن من المثل الصالح
والترية الحسنة لأولادهن ، لأن تربية الصغير أساس مستقبله وعليها تترتب احوال
حياته جسماً وعقلاً وصحةً وأدباً ، فينشأ عضواً سليماً نافعاً لنفسه ولأتمته ولوطنه ،
متأهباً لان ينال أعلى الدرجات في مراكز المجتمع . وبالنتيجة انه يحق لمن ان
يطلبن مساواة الرجال لأنهن قد بلغن مستواهم فعلاً ، بل الرجال أنفسهم يضطرون
حينئذ ان يرفعوا منزلتهن ويساووهن بأنفسهم ، لما يرون فيهن من الفضائل التي
تحملهم على اجلال قدرهن ، عن اعتبار حقيقي ، لا عن تملق لمن ، او شفقة عليهن
كما تعامل الجاهلات ، فان ذلك يكون في الحقيقة عين الاحتقار والهوان

ولذلك كان من الواجب على السيدات عندنا اذا اردن ان يرفعن منزلتهن
حقيقة ، ويحسبن من الاعضاء المهمة في الهيئة المدنية ، ان يجارين الغريات اولاً
في فضائلهن الذاتية التي هي سبب الرفعة والاحترام ، وان يجتهدن قبل كل شيء
في طلب العلم والانصباب على تحصيله ، ويكثرن من مطالعة الكتب العلمية
والأدبية والتاريخية وأشباهاها (غير الروايات التافهة والحكايات الغرامية) ، تغذية

لعقوبن وتوسيعاً لمعارفهن ، واللواتي تعلمن شيئاً في المدارس من اللغات ومبادئ العلوم ، ينبغي ان لا يكتفين به ويتوقفن عنده ، بل يجب ان يتخذنه واسطة لتكثير معارفهن وتنمية مداركهن ، ويجعلنه وسيلة لتحسين أخلاقهن وعاداتهن وسائر آدابهن ، مرآة تمثل لمن حقيقة التمدن الذي به يرتفع مقامهن ، اذ يعلمن ان التمدن لا يقوم بالزيم الخارجى ، ولا بالتكلم باللغات الافرنجية ، وان الكمال والتمدن معتبران مع التكلم باللسان العربى ، اكثر مما هما معتبران مع التكلم بغيره ، وان الشرف يقوم بمحافظه كل انسان على لغته . ولينظرن في ذلك الى الاجنبيات اللواتي يأتين بلادنا ، هل يغيرن شيئاً من عاداتهن ولغاتهم ، مع انهن نزيلات عندنا ، فقد كان الاولى ان يكن هنّ التابعات لنا ، لا بالعكس ، ولم يكن من البعيد ان يفعلن ذلك لو وجدنا نشرف لغتنا ، ونحافظ على ما عندنا ، ولكن كيف يتبعنا وهنّ يريننا تبعهن وتقلدهن في كل شي .

وعلى كل حال فان هذا راجع الى مقدار العلم وسعة الادراك لأن الأمر بجوهره ، لا بمثل هذه الأعراض الخارجية ، التي لا دخل لها في التمدن الصحيح ، ولا تغير من اعتبار الشخص الا بمقدار ما تدل عليه من منزلة عقله واعتباره لحقائق الأمور

قد يعتقد بعض الجهلاء ان تعليم المرأة وعفتها لا يجتمعان ، وقد قال الاقدمون في ذلك اقوالاً طويلة ، وحكايات غريبة ، ونوادير سخيفة ، استدلووا بها على نقصان عقل المرأة ، واستعدادها للغش والحيلة ، فلو تعلمت لم يزدها التعليم الا براعة في الاحتيال والخدعة

والحقيقة ان طهارة القلب من الغرائز والطباع ، فان كانت المرأة صالحة زادها العلم صلاحاً وتقوى ، وان كانت ميالة الى الشر ، لم يزدها العلم شراً ولكنه يصلحها ، لأن شر انواع التعليم لا يمكن أن يكون ضرراً

بكل وجوهه ، ولا يمكن أن يكون منشأً حقيقياً للضرر ، والمرأة المتعلمة
تخشي عواقب الامور ، أكثر مما تخشاهما الجاهلة ، فلا تقدم بسهولة على
ما يضر بحسن سمعتها ، بخلاف الجاهلة فان من اخلاقها الطيش والخفة .
فلو كانت الغاية تربية عقلا وانماء الملكات الفاضلة فيها ، لانمت قوة الحكم
على احساسها وارادتها وتصرفت في امورها على مقتضى الحكمة
وقواعد الادب

اما ما وصلنا اليه (نساؤنا) من حيث ازياهن وشكل ملابسهن
وزينتهن ، فانه يحتاج الى شرح طويل ، واسهاب كاف ، ولما كان
موضوع هذا الكتاب « الانسانية والتمدن » وله علاقة كبرى بالملابس
والازياء ، فلأجل استيفاء البحث في هذا الباب ، اقسم الموضوع ثلثة
اقسام ، هي : ملابس المصريين وزينتهن في العهد السابق ، وفي العهد
الحالي ، وفي المستقبل

الملابس عند قدماء المصريين^(١)

قد لا يمكن الاستدلال من الآثار الحالية عن مصدر الازياء التي كانت مستعملة
عند قدماء المصريين . ولكن قياساً على ان الزي الذي كان مستعملاً في عهد
سيزوستريس (رمسيس الثاني) كان مستعملاً ايضاً بعد ذلك التاريخ بألف سنة
يمكن القول بان تاريخ الازياء عند المصريين القدماء يرجع الى عهد بعيد جداً

(١) قد استعنت في جمع بعض حقائق هذا الموضوع (الملابس عند قدماء
المصريين) بكتاب « مجموعة الملابس » Collections des Costumes.

تري مثلاً بين النقوش العديدة رسماً للاعبة بالآت الطرب ، يرجع تاريخه الى ستة او سبعة عشر قرناً قبل الميلاد ، نرى فيه البزة واحدة كما في العصور التي اتت بعدها . فهناك ايضاً الشعر مجدول والمرأة متحلية بالاساور

كانت ملابس قدماء المصريين ، كمادة الامم الاخرى في عصورها الخالية ، تميز بين اعيان الشعب - فقد كان لباس الاعيان مثل الأتب يتشجون فوقه بعباءة . ولباسهم من افضل الاقمشة . واما نساؤهم فكان يلبسن ملابس طويلة الاذيال ويضعن على اكتافهن رداءً كبيراً وملايسهن مزركشة زركشة دقيقة حتى ان نساء الملوك كن يضعن الذهب على ثيابهن ويرسلنه بين ضفاتهن

وكان من عادة المصريين ان يرتدي الرجل ثوبين والمرأة ثوباً واحداً . وكانت ثيابهم تصنع غالباً من كتان نظيف او من القطن او التيل او الصوف . وقد وصفهم هيرودوت وصفاً دقيقاً فقال « وثيابهم من كتان يجعلون لها أهداباً حول الساق ويسمونها كلاسيرس (Clasisis) ويلتفون فوقها بحجة من الصوف يضاء » ولكهنه ، كما نعلم ، زي خاص اذ كانوا يلبسون جلود النمر وملابسهم واسعة . واما ملابس بنات وسيدات الملوك والامراء فقد كانت تزركش بالذهب ، كما قدمنا ، وكما يؤخذ من عبارة امسيس الملك عند ما ارسل ابنة ابرياس الى قبيز الملك مدعياً انها ابنته - فقال عنها هيرودوت « وكانت معتدلة القوام ، بديعة الجمال ، فألبسها امسيس ثوباً مذهباً »

اما طبقة العامة فكانت تلبس قيصاً قصيراً من الكتان شدت عراه بحزام فوق الارداف وله غالباً كان قصيران

وكان لون اللباس الشائع عند المصريين الابيض بانواعه من القبس الى اليقق ، ولكن النساء في بعض العصور القرية كن يستعملن ملابس ملونة او مخططة بالوان غالبها من اللون الابيض

اما التزين عند المصريين ومظهرهم الخارجي فقد كان بالغاً حد التائق والاعتناء . وكان فخرهم الاعظم الاعتناء بصحتهم وسلامة ابدانهم ومرونة اعضائهم ومظهرهم السليم ، وكانوا يخلقون رؤوسهم تلافياً لما تسببه حرارة الشمس المحرقة من الامراض . واما النساء فكنّ يتمشطن تمشطاً اعتيادياً ويلبسن منديلاً (Claft) مشدوداً شداً ضيقاً . وكلا النوعين كان يضع على الرأس قبعة (Bonnet) من قماش كثيف يغطي الرأس ولها رباط من الامام وتدلّ من الخلف على الكتفين . وكان بعض هذه القبعات يغطي الاذنين وبعضها يتركها مكشوفة . وهناك نوع آخر من القبعة الشائعة الاستعمال بسيط الصنع كثيف جداً وهو يشبه من الخلف ما تضعه نساء الاسبان . على ان بعض النساء المصريات كنّ يضعنها حسب شكل الرأس مشدودة عليه ونازلة على الجبين

ولم تقف زينتهن عند هذا الحد فقد وجدوا رسم امرأة لم تغطّ القبعة فيه الرأس بل وجد الجزء الخلفي مكشوفاً وموضوعاً عليه شعر مستعار وهو آخر ما وصل اليه التزين الحديث ، والبراهين عديدة على ان هذا الشعر كان مكملاً للزينة عند المصريات على العموم . كما ان عليه القوم من الرجال كانت تستعمله في الحفلات الرسمية وكانت عناية المصريات بشعرهن عظيمة ، وكنّ يجعلنه زينة جاهلن الطبيعي ، فيقسمنه جدائل عديدة صغيرة ، ويجمعنها في ضفائر اكبر حجماً ، ويصفقنها بعضها الى جانب بعض صفّاً منظماً . واما طبقة الفقراء فكانت تضفر شعرها بالصوف حرصاً عليه ، وضناً به من التلف ، إذ الشعر الغزير عندهن كان كنزاً غالياً ، وفخر المرأة بين آرابها

على ان هناك بعض الآثار تدل على ان المصريات كنّ في بعض الاحايين يقصصن الشعر ويتركنه مسدولاً على الكتفين

وكانت النساء تكتحل بالكحل الاسود والازرق مستعملات لذلك مروداً من الأبنوس أو العاج ويرسمن العين بشكل يظهرها واسعة نجلاء . ولا عجب

فإن أهل مصر منذ القدم قد اشتهروا ببريق عيونهم
وقد كانت العادة الشائعة عند المصريين على نوعيهم ان تترك الاذرع عارية
فيضعون فيها المحابس (وهي أشبه بالسوار) . ويترك الرجال ساقهم عارية أيضاً
فيظهرون منها عضلات مرنة تدل على شدة عنايتهم بصحتهم وعدم اهمالهم في
الرياضة ، ومن المصريين طبقة قد بلغت شأواً بعيداً في التأنق والهندام
وكانوا يتعلون الجلود أو الخوص أو البردى ولهم فيها أشكال مختلفة على انها
جميعها خفيفة الحمل وغالباً كانت تربط حول الساقين بسيور
وأما النساء فكانن يخرجن سافرات في جماعة من الجوارى والتخادعات يحملن
من ورائهن أهداب الثوب . وقد كان لهن نصيب وافر في كافة الأعمال . فقد
نبغت من بين المصريات الملكات ورئيسات الكهنة وزعيمات الآداب ، ورئيسات
الديوان وتعليمهن كان من أول الواجبات . . .

ملابس نساء العرب

ولا بد لي من ذكر بعض الشيء عن ملابس نساء العرب وزينتهن
في زمن الجاهلية وبعدها ، لعلاقة ذلك بنساء المصريين اللواتي قلدوهن
في ازيائهن وزينتهن ردهما كبيراً من الزمن ، ولم يزل اثر من آثارها
بافياً بينهن الى الآن

كانت نساء العرب في ذلك العهد ، او بعضهن يحتفلن بملابسهن
ولا يقتصرن على لبس القطن والصوف والوبر ، بل يتشجن احياناً
بالديباج والحريز حسب يسارهن — قال اليشكري

الكعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحريز

ومما يدل على انهن كنَّ يلبسن الثياب الموشاة بالذهب ، قول
سلمى بن ربيعة

والبيض يرفلن كالدمى في الریط والمذهب المصون
يعني بالبيض النساء ، يتبخترن في الریط ، وهي الملاءة الواسعة .
والمذهب المصون يراد به الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب
اما شكل لباسهن فكان ، قصاً متقاربة الكيفية في القصر
واللطافة وعدم الاكمام ، وفوقها الصدر والمجول والابت ، وفوقها جلباب
متسع ، وكان من عادة بعضهن اطالة الذبول وجرها بتجتراً وخيلاء ،
واشعار العرب طائفة بذكرها ، فلا حاجة الى النص عليها

واشد من اهتمامهن باللبس ، حرصهن على التحلي ، بلغ من شغفهن
به ، انهن لم يقتصرن على الحلية الواحدة في الموضع الخاص بها بل ربما
عدّنها في كل قسم منه ، كاليد مثلاً فانهن في ما عدا الخواتم في الاصابع
اتخذن فيها للمعصم سواراً ، وللساعد جبيرة ، وللمعصم دملجاً . وكالرجل ،
فقد ذكر الثعالي ، فضلاً عن إخلخال ، والخدمة لها الفتخ لاصابعها ،
وكذلك الاذن فقد جاء الشنف لما يُعلق في اعلاها والقرط لاسفلها
ويظهر ان السوار لم تكن تلبسه الا الحرائر من النساء دون الاماء
بدليل قول حاتم الطائي ، لما لطمته العنترية ، حين فصد لها البعير ، لو ذات
سوار لطمتني الخ

ومن لوازم التحلي ولواحقه عندهن ، التزين والتبرج في ما يتناوله
من التطيب والاختضاب والوشم وترجيل الشعر وترجيح الحواجب
والتكحل وما اشبه . واكثر ما كان الوشم في ظاهر الكف والمعصم ، يدل

على هذا قول زهير في معلقته

ودار لها بالرقتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم
أما الشعر فيستفاد من وصف امرئ القيس للفرع في معلقته
المشهورة انهن كنن إذا اردن ترجيله تفنن في ضفره وتهيئته وخالفن فيه
بين تشنية وارسال ، وهو قوله

غدائره مستشزرات الى العلى تضل العقاص في مثني ومرسل
ونظراً لما يترتب على الفرع الطويل من الحسن ، كنن إذا قصر
شعر احداهن تصله بغيره ليكون أتم لها ، وتسمي من كانت كذلك
بالواصلة

وكانت نساء العرب تحب الحواجب المزججة ، اي المدققة المطولة .
وأما صبغها ، المعروف بالخطوط ، فلم تكن تعرفه البدويات ، وإنما هو من
تبرج الحضريات ، كما قال ابو الطيب

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضع الكلام ولا صبغ الحواجب
ومما يتصل باللبس التقمع والتنقب ، وقد كان النقاب يستر الوجه
الى قصبة الانف ، او الى الحجر فقط ، بحيث كانت ترى منه العين .
ولعله لم يكن في بدء الأمر الأفضلة الفناع ، تردها المرأة على شفتها كما
كان يرد الرجل فضل عمامته على فمه بدليل اطلاق لفظ اللثام على كلا
الردين ، ثم ما لبث اللثام ان ارتفع الى ما فوق الفم ، فكان لفاماً ، ثم
انتهى الى الانف فغشيه او بعضه ، فكان نقاباً ، وهو البرقع او الوصوص
قال المثقب العبدي

ظهن بكلة وسدلن أخرى وثقبن الوصوص للعيون

ومن هذا الترتيب يستدل على ان النقاب كان في اول امره كاللثام للرجال ، ثم لما جعل الشعراء ينظمون الايات في كل حسناء ، تحرز منهم النساء بالنقاب سترًا لمحاسنهن ان يتذلفها الوصف ، فاصبح التنقب عادة - يشهد بذلك ما ذكر عن « المتجردة » امرأة النعمان ملك الحيرة ، حين سقط يوماً نصيفها ، اي خمارها ، فابصرها « النابغة » الشاعر ، فبادرت واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لامتلائها وغلظها ، فما لبث النابغة بعد هذه اللمحة اليسيرة ان نظم قصيدته الدالية وصف فيها « المتجردة » وصفًا نبه فيه على اكثر محاسنها ، حتى تجاوز الى رضاها - ولما انتهى الى امر سقوط نصيفها ، واستتارها بيدها قال

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
على ان التنقب لم يكن عامًا ، فان بعضهن كن لا ينتقبن من الرجل اذا كان غير شجاع ، تظاهراً بالاحتقار له ، ومثل ذلك كانت تفعل بعض النساء الحسان ، فكان في اكثر الاوقات يبرزن للناظرين سافرات عجباً يجالهن ان يستره قبح القناع . وقد عرف ذلك منهن ، حتى كانت المرأة اذا عرفت بالحرص على التنقب يحكم لاول وهلة بانها قبيحة المنظر ، ولاعتقد الناس انها انما تقنعت لتغر الناظر اليها وتوهمة جمالها ، ولذلك قيل في المثل ، « ترك القناع من ترك الخداع »
وقد قال عمر بن ابي ربيعة عن عادة النساء الحسان في ترك التقنع ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن ان تقنعا اي استخفها الحسن ان تستر وجهها بالقناع

ومهما كان السبب فان النساء لم يبرزن حاسرات الا وهن
حريصات على التعفف حرصهن عليه وهن منتقيات متقنعات ، كما قال
في مثلهن بعض واصفيهن

برزن عفافاً واحتجبن نسترأ وشيب بقول الحق منهن باطل
فدو الحلم مرتاب وذو الجهل طامع وهن عن الفحشاء جيد نواكل
كواس عوار صامت نواطق بعف الكلام باخلات بواذل

ومن هنا نعلم ان النساء لم يكن جميعاً يستترن بالنقاب استتاراً
لا يكشفن فيه عن وجوههن ، بل كان كثيرات منهن يبرزن للرجال ،
ولاسيما الفتيات ، يراهن الراغب في الزواج ، فيخطبهن عن معرفة
ورؤية ، لا عن شهادة ورواية ، وقد بقي بعض هذه العادة الى ما بعد
الاسلام ، فكان بعض النساء يبرزن للرجال يحدثهم ويحدثونهن ،
والبرهان على ذلك ، ما ذكر عن «سكينة» بنت الحسن ، وتسمى من كانت
كذلك برزة ، وبعضهن يجلسن لخطابهن ، كما صرح بذلك ابن عبد ربه
في العقد الفريد ، واورد حكايات آخر في مثل هذا المعنى ، بعضها اصرح
في الدلالة لا اذكرها لطولها فليطالعها من يشاء

ملابس المصريات في العهد الحالي

اما لبس المصريات في العهد الحالي « عهد المدنية والحضارة » فانه
يختلف كثيراً باختلاف نوع اللباسات ، فالفلاحات ، يلبسن ملابس
بسيطة للغاية ، تشابه في الغالب ملابس قدماء المصريات ، وليس لي

كلام على هذا النوع من الملابس ، والحضريات ، وهنّ سكان المدن ،
لهنّ ازياء متنوعة متشعبة جداً ، لا تعرف ان كانت أثراً للملابس قدماء
المصريات ، او نساء العرب قبل الجاهلية او بعدها ، او تقليداً للملابس
الافرنجيات او التركيات ، او خليطاً من هذا وذاك ، لانها بفضل الله
عليهنّ ، انواع كثيرة على حسب اختلاف اميالهنّ ومشاربهنّ . فبعضهنّ
يلبس جلباباً (جلاية) واسعاً يغطي الرقبة والعتق ويتصل بالقدم ، وله
الكمام طويلة الى المعصم ، وآزارهنّ قطعة واحدة يلتفنن بها فلا يظهر من
هيئتهنّ شيء ، ويتقنعن بنقاب سميك يستر الوجه الى قصبه الانف
ولا يرى من وجوههنّ غير العينين ، وأغلب هذه الفئة من السيدات
الكبيرات في السن ، او من ذوات الاحتشام والكمال وعددهنّ لسوء
الحظ قليل

اما السواد الأعظم من السيدات ، فانهنّ يلبسن جلباباً (فسطان)
ضيقةً ومحرقةً ، ذا فتحة مستديرة لا يغطي من الصدر غير نصفه او اكثر
من النصف قليلاً (Decolcté) وله الكمام قصيرة لا تستر من الذراعين
غير نصفيهما اي من الكتف الى الكوع فقط ، تاركة ما بعد الكوع
الى المعصم عارياً ، فرجةً للانظار لطفاً منهنّ وكرماً

اما آزارهنّ فانه قطعتان ، السفلى عبارة عن مرط (حيب)
(Gube) له من أعلاه حزام ضيق يُحبك ويزرر على الخصر ويستمر في
ضيقة حتى أسفله عند القدم ، ومنهنّ من يقلد بعض نساء الفرنجة
ويضعنّ وسادة تحت أثوابهنّ (يقولون انها ليست من مخترعات الزي
في اوروبا ، بل هي من معلومات نساء العرب في سالف الدهر وتسمى

عندهنّ بالعضامة والحشية والرفاعة) ، جاء في تفسيرها قول أرباب اللغة ، ان العضامة ثوب كالوسادة تعظم به المرأة عجيزتها ، فهي اذاً نفس ما نراه اليوم في زي المرأة المتمدنة اما النصف العلوي فانه قصير جداً ، يُربط طرفه الاعلى في شعر الرأس الى الوراء ، حتى تظهر منه الآذان ونصف الرأس او اكثره ، ويربط من أطرافه في الخصر ، ولا اكمام له ، حتى يظهر منه ما اختفى وما استتر من الساعدين

اما النقاب فانه رقيق جداً يظهر منه كل شيء ، وهو بيت القصيد ، فيظهنّ بهذا الزي اقرب الى العري والسفور من التستر والحجاب ، لأنه يظهر من جسمهنّ (عارياً) الوجه بأكمله والصدغان والآذان والرقبة وجزء من الصدر والساعدين من المعصم الى الكوع ، ويظهر منه (مغطى) التهدان والخصر والعجيزة

ان مثل هذا الزي ينطبق عليه السفور بمعنى الكلمة ، (ولو فتح الله عليّ بكلمة تدل على أكثر من السفور لقلتها) ولكنه بكل اسف سفور ممزوج بالخلاعة ، او بعبارة أصح سفور مخجل ومزج بالشرف وليس هذا السفور هو الذي يقصده ويشير اليه « قاسم امين » فانه رحمه الله تمنى لبنات ونساء قومه سفوراً وزياً محتشمين خاليين من التبرج والخلاعة ، بعيدين عن الفضيحة والعار

وعلى ذكر هذه الازياء الساحرة أذكر اني شاهدت مع صديق لي من كبراء المصريين أدباً وعلماً ومقاماً — من عهد قريب — في ترمواي خط الرمل سيدات مصريات لابسات مثل أترابهنّ (كمن وصفنا) غير ان احدهنّ تمتاز عن زميلاتهما اللواتي معها ، بخضاب يديها (مما لم أذكر عنه شيئاً) وبجوارهنّ في ذات العربة

سيدات افرنجيات بحوم فوق ملابسهن الجلال والوقار ، وبخيم على رؤوسهن الحشمة والكمال ، أجسامهن مسترة ووجوهن عليها غطاء من النسيج الرقيق (قواليت) (Voilette) وأيديهن مغطاة بالكفوف (الجويتيات) ولم يتحركن لليمين او للشمال ولا التفتن لمن بجوارهن ، بخلاف صاحباتنا ، فقد كن يتسامرن ويتحادثن بعضهن مع بعض ومع اولادهن تارة بصوت عال وأحياناً يهمن في الأذن سرّاً ، وكانت عيون الركاب شاخصة نحوهن دون غيرهن ، مع انهن كن أقل جمالاً بكثير من السيدات الأوروبية ، فقلت لصاحبي ، اي الزين تفضل ، فجاوبني بدون أدنى تردد ، الأوروبي ، وبالْحَقِيقَة اننا لم نر من تطلع لهن بغير نظرات جاءت عفواً من قبيل الاستطلاع او معرفة الشيء . نعم ان أغلب نساء الافرنج ، مهما كان حالهن في الباطن يحافظن على الظواهر ، وتراهن في الطريق سائرات مرتديات بجلايب الجلد والسكينة والوقار ، يعضن أبصارهن عن الرجال ، وان نظرن اليهن فمن طرف خفي ، أما نساؤنا ، فيغلب فيهن ان يكون باطنهن خيراً من ظاهرهن ، ولكنهن بكل اسف لا يميزن بين ملابس الحشمة والكمال ، وملابس الخلاعة والامتهان ، فلو بقين كما كن ، اي انهن يخرجن ملفوفات الجسم والرأس والوجه ولا يظهر منهن غير عيونهن لمان الأمر ، أما وقد خرجن عن حد المألوف واصبحت ملابسهن ضربة قاضية على الانسانية والفضيلة ، فان السكوت في مثل هذه الحالة يُعد خيانة لشرفنا وآدابنا ومبادئنا ، التي كان المثل يضرب بها بين الشعوب والأمم حتى الراقية منها

من يصدّق ان ملابس نساؤنا الظاهرة ، التي كانت موضوع اعتبار واحترام بين الشرقيين عامة ، والاوروبيين خاصة تصير قذى في عين العفة ، ودماً ينضح صديداً في قلب الفضيلة

من يصدّق ان بنات الهوى من الفرنجة يلبسن تقاب وملابس

نساءنا الحديثة ويجعلنها شبكة يتصيدن بواسطتها قلوب الشبان
من يصدق ان في كل بيت من بيوت التصوير الشمسي بدلة كاملة
من هذه الملابس يقدمونها لكل من أرادت التيه والدلال من نساء
الفرنجة ويصورونها بها

من يصدق انه يمثل هذه الملابس يكثر الفحش ويزيد الفجور

فاذا كنت يا صاح لا تصدق فاصغ لما أقصه عليك

حدثني صديق لي من الظرفاء ، كنت اشكو اليه من وقت الى
آخر حالتنا الاجتماعية عموماً ، وملابس السيدات خصوصاً

قال انه كل ما رأ في احد شوارع مصر الجديدة مع بعض اصدقائه فرأى
ثلاث سيدات لابسات ملابس مصرية من الزي الحديث ، اي ان سواعدهن
عارية ، وصدورهن مكشوفة (Decolté) وهن متبرعات ببراقع شفافة الخ ،
وسمعهن يتكلمن باللغة الايطالية ، فتعجب جداً ودخله الشك والريبة في أمرهن
واشدد به الميل لمعرفة حقيقة جنسهن ، فضرب صفحاً عن الكمال في تلك الساعة ،
وأسرع في مشيه حتى أدركهن ، ولما سألهن اذا كن مصريات ، جاوبته احداهن
بخشونة وأنفة (من قبيل سبك الأمور) وبكلام عربي مكسر « انت علوز ايه ؟؟
روح » . . . فتداركت الثانية الأمر ، وأصلحت ما أفسدته زميلتها . . . وقالت نحن
ترك . . . ماذا تريد ؟ ، وكان صاحبنا لحسن حظه وتوفيقه في مأموريته ، يعرف قليلاً
من التركية ، فجاوبها بها ، فاعتراها في الحال الخجل ، وقالت « أنت مصري . . .
ومين علمك اللسان التركي ؟ » ، وبالأجمال انكشف أمرهن ولم تنظر حيلهن
وخابت مساعين مع صاحبنا فقط . . . (لأجل عدم ظهور الحقيقة في امثال اولئك

النسوة ، يدعينَ انهنَّ تركيات ، لاعتقادهنَّ أن اللسان التركي اصبح مجهولاً في مصر ، ويساعدهنَّ على اتقان تقليد التركيات بياض لونهنَّ ورشاقتهنَّ ومعرقهنَّ بعض كلمات عربية يتكلمنَ بها كما تتكلم التركيات هذه اللغة تماماً)

ورأيت بنفسى سيدتين لابستين ملابس من هذا الزي القبيح (في نظر كل أبي النفس) تكران وتفران فوق ارض الزحلقة (الباتيناج) Patinage في وادي القمر (Luna Parc) وكنت وقتئذٍ مشتغلاً باخذ مذكرات عن احوالنا العمومية فاردت أن اكشف جلية أمرهما ، فقصدت عاملة الباب ، وهي اوروية الجنس ، ولما كنت اعرف بعض الشيء من احوال امثالها ، واعرف ايضاً انها لا تهتم باسئلتى ، خصوصاً وانها ، أي الاسئلة ، من رجل وبخصوص سيدات فعمدت الى طريقة لا تخلو من الحيلة ، بحكم الاضطرار

ذلك اني القيت قرشاً الى الارض ، ثم التقطته وقدمته اليها ، كأنه سقط منها ، فتشكرت كثيراً ، وبعد برهة عدت اليها وسألتها عن ضالتي التي انشدها ، فتبسمت ، وقالت ، فرنساويات . . . فارتاحت نفسي كثيراً لهذا الجواب ، وذممت الساعة التي عرفت فيها مصر هذه الازياء التي جعلت امثال هؤلاء النسوة الاجنبيات يفسدن سمعة نساؤنا وهنَّ بريئات

ومن الأسف ان كثيرين يعتقدون ان جميع المتبرجات والخالعات لبرقع الحياء في الخلوات والمتنزهات ، واللواتي يلعبنَ في ارض الزحلقة (الباتيناج) وغيرها من المصريات ، فهم يسلقونهنَّ بالسنة حداد ، كما ترى في المقالات التي كتبها في الصيف الماضي (شهر اغسطس

سنة ١٩١١) احد الفضلاء الفيورين على الآداب والفضيلة في جريدة المؤيد ، وكان حقه أن يكتب بهذا القلم المملوء حماسة وشهامة ضد هذا « الحجاب » الساحر الكاذب الخداع الفشاش ، وأن ينصح السيدات من اخواته وبنات جنسه أن يدسنه بارجلهن وأن يمزقن بأيديهن تلك الملابس والخبرة الخلية ، حتى لا تجسر احدى هؤلاء الاجنبيات أن تلبسها وتقلدهن بها

واذا سألت سائل ، كيف العمل الآن ، ان رجوع نساتنا الى ما كنَّ عليه من الخياء الحقيقي ، ولبس ملابس الحشمة والكمال محال ، خصوصاً وان السواد الاعظم منهنَّ يحترق الأزار (الخبرة) القديمة ويعدّها من متاع المتأخرين ومن ملابس العجائز والخاملات بين السيدات ، وان ترك الحال على ما هو الآن ، يمد جريمة لا تغفر في نظر الانسانية ، ولطنخة عار لا تمحى من جبين المدنية

فاميب هذا السائل :

خفف عنك يا صاح كل هذا العناء والارتباك ، لأن الأمر وان كان صعباً ومشكلاً في ظاهره ، فانه في الحقيقة سهل وبسيط جداً ، هو صعب ومشكل ، لأن التغيير والتبديل في العادات حتى البسيط منها يظهر للكثيرين منا ان دونه خرط القتاد ، ولو كانت العادات المطلوب تغييرها ماسةً بشرفنا ، خادشة لكرامتنا ، والمراد اقتباسها رافعة لرؤوسنا من حضيض الفضيحة والهوان الى أعلى درجات الكمال والاحتشام ، وبرهانهم على ذلك ، ان العادة متى رسخت وتأسست وبنى عليها الجهل سخائمته وترهاته ، لا يمكن تغييرها بسهولة وفي زمن قصير ،

خصوصاً اذا كانت الامة التي فشت فيها تلك العادة لا تتميز بين النافع والضار ، وكانت مجردة من العلم والمدنية الراقية . على ان برهانهم هذا معقول ومقبول في ظاهره فقط ، دون جوهره ، لأن الامة التي خرجت من قيود الحجاب الحقيقي ، وخلعت عنها لباس الحشمة والكمال ، ودخلت في حرية السفور التقليدي ، ولبست لباس الخلاعة والامتهان ، بدون أن يضلها مضلل او يطوح بها مطوح ، لا يصعب عليها أن تخرج ثانية من تحت نير هذا السفور الساحر الفتان ، الحاط بالمقام الى ساحة سفور كامل ذي وقار رافع بالمقام ، بدون أن يهديها هادٍ او يرشدها مرشد ، والجسارة التي جرأت نساءها (الامة) على اختراع هذا الزي الشنيع ، كافية لأن تجعلهنّ يبنذنه ويخترعن غيره احسن منه واكمل ، او ان يقلدن ازياء نساء الامم الراقية

ان الازياء بانواعها ، لا سلطان للاديان عليها ، ولا هي تابعة لدين من الاديان ، وكلها من مخترعات الانسان والأصح من مخترعات النساء . كان الحجاب شائعاً في أغلب بلاد اسيا واوروبا ، وامتكناً على الخصوص في اوروبا فلما ظهر العلم واضاء بنوره على تلك البلاد ، استنارت شعوبها وتهذبت ، وخص النساء جزء من ذلك ، فعرفن كيف يلبسن وكيف يتصرفن في انفسهنّ وازياتهنّ

قال المرحوم « قاسم بك امين »

« هل يظن المصريون ان رجال اوروبا مع انهم بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء ، واستخدامها على ما نشاهده

بأعيننا ، وان تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والمعالي ،
وتفضل الشرف على لذة الحياة ، هل تظنون ان تلك العقول والنفوس التي تعجب
بآثارها ، يمكن ان يغيب عنها معرفة الوسائل ، لصيانة المرأة وحفظ عقمتها ، هل
تظنون ان أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا خيراً فيه

« ان الحجاب الموجود عندنا ليس خاصاً بنا ، ولا المسلمين هم الذين استحدثوه
ولكنه عادة معروفة عند كل الأمم تقريباً ، ثم تلاشت طوعاً لمقتضيات الاجتماع
وجرياً على سنة التقدم والرقى »

وعندنا غير ما قاله هذا النابغة رحمه الله من الكلام الحلو العذب ،
أدلة وبراهين اخرى قاطعة ، على انه لا دخل للاديان في الازياء والملابس ،
او الحجاب والسفور ، وانها كلها من مخترعات البشر ، وان للعلوم والمعارف
والرقى والتقدم دخلاً فيها ، كما ان للجهل والغباوة ايضاً سلطاناً عليها ،
صرفت النظر عن ايرادها حجباً بالاختصار . واذا اعترضني معترض ، وقال
انه لديه ايضاً براهين ساطعة وأدلة قوية تثبت ان الحجاب والسفور
والازياء لها علاقة بالدين وانها ليست كلها من اختراعات البشر . أجبته
بانه لو فرضنا ان للدين علاقة بالحجاب والأزياء ، فعلى ابي مذهب او دين
اذن تمكنت السيدات المصريات من اختراع هذا « الزي الرشيق
الخفيف » الذي يراه كل انسان في شوارع العاصمة وبنادر القطر ؟
هل للدين تأثير عليه ، او هل للعلوم والمعارف والآداب الراقية (التي
اكتسبناها وتحصلنا عليها علاقة به حتى يقال ان نساء افريقيا
سبقن نساء اوروبا في ازياء الخلاعة والافتتان) او هل للغباوة والجهل
علاقة بأمره (الاختراع) ؟ ؟

لعمرى لا هذا ولا ذاك ، وانما هي نزغات للنساء - لا أثر للدين
او غيره فيها

واذا ادعى آخر ان الحجاب من آداب المرأة - اجبته بلسان
الكمال ، اي أدب في هذا السفور التقليدي المبتذل ؟ ان السفور
الحقيقي المحتشم ، خير منه للادب وأبقى ، واجيبه ايضاً بلسان شهيد
نحرب المرأة

« أما دعوى (الحجاب) ان ذلك من آداب المرأة ، فلا أخلها صحيحة لأنه
لا أصل يمكن أن ترجع اليه هذه الدعوى ، وأي علاقة بين الأدب وكشف الوجه
وستره وعلى أي قاعدة بني الفرق بين الرجل والمرأة ، أليس الأدب في الحقيقة
واحداً بالنسبة للرجال والنساء ، وموضوعه الأعمال والمقاصد لا الاشكال والملابس »

ومتى ثبت ان الازياء وضمنها الحجاب هي من اختراعات البشر ،
وان نساء الامم الراقية في المدينة والحضارة يلبسن ملابس كاملة خالية
من البهرجة وبالعكس ، ثم متى ثبت ايضاً ان الازياء هي كالاطعمة ،
تصنعها كل طائفة كما تشتهي وتريد بحسب ذوقها وخبرتها ومعرفتها ولا
دخل للاديان فيها . وبما انه ظاهر كالشمس في النهار ، ان أزياء سيداتنا
الحالية موجبة للاتقاد وخادشة للشرف والناموس ، وظاهر ايضاً ان
الزمن الذي يصلن فيه الى درجة من الرقي المدني والادبي تمكنهن من
وضع ازياء خاصة بهن وبموائدهن ومبادئهن بعيد جداً ، وبما انه
لا يمكن ترك الازياء الحالية في عالم الوجود حفظاً لحياتنا الادبية ، لذلك
كله يجب علينا ان نفكر بامعان وروية في ما يلزم عمله للوصول الى نتيجة

مرضية ، وان نختار أحسن الطرق التي تؤدي الى هذه النتيجة ، وأظن ان الطريقة الحسنة ، هي ان بنائنا اللواتي يتعلمن في المدارس ويلبسن الازياء الافرنجية في ذهابهن ومجيئهن يحافظن عليها ، ولا يخلعنها او يستبدلنها بعد اتمام دروسهن ، او عند انقطاعهن عن المدرسة ، كما يفعلن الآن ولا حرج او لوم عليهن في ذلك ، وقد شاهدت وشاهدت كل انسان أبي النفس نقي الضمير ، انها ملابس أهل الكمال ، تجلي فيها الادب بالمعنى الصحيح ، اكمامها طويلة الى المعصم ، والصدر والرقبة مغطاة وبقية اجزائها تدل على الاحتشام

أقول يجب ان يحافظن عليها لأنها في مجموع شكلها تتحد مع الاستقامة ، وترد في الغالب البصر عنهن خلافاً لتلك الملابس التي يدلونها بها ، فانها تزيد رغبة الناظر في الافتتان بهن وتتبع خطواتهن . . . (وقد سبق الكلام عن ذلك)

اما السيدات فان الاليق بهن ان يقلدن نساء الاستانة (التركيات) او نساء روسيا الشرقية في ملابسهن ، وقد أشارت حضرة السيدة الفاضلة الكاملة ملك هانم افندي ناصف (باحثة البادية) الى شيء من ذلك في خطبتها العام الماضي في نادي حزب الامة

فالت مفظرها الله :

« ما الغرض من الازار؟ الغرض منه ستر الجسم والملابس والزينة ، اجتناب الزينة التي نهى الله عنها ، فهل يتفق هذا المئزر الحالي وقد أصبح (فستاناً) يظهر النهدين وانحصر والاعجاز فضلاً عن ان بعض السيدات ابتدأن يلبسنه أزرق وبنياً وأحمر؟ ، الأولى ان لا نسميه مئزراً بل (فستاناً بطرطور) فإنه في الحقيقة

كذلك ، وعندى ان الخروج بدونه أدل على الحشمة ، لأنه على الأقل لا يستدعي النظر ، على ان مسألة الحجاب قد اختلف فيها الأئمة ، فاذا كان تقنن بعضنا هذا يراد به الاحتيال على الخروج بلا ازار . فليس عليهنَّ فيه من حرج اذا كشفنَّ وجوههنَّ بشرط ستر الشعر والجسم . وأرى ان أوفق لباس للخارج هو تغطية الرأس بخمار ، وسدل رداء اشبه (بالباطو) المسمى عند الفرنجة Cache Poussiere على الجسم الى الكعب ، ويكون طويل الكمين الى المعصمين . وهذا اللباس مستعمل في الاستانة في المنتزهات والخلوات الخ الخ »

نعم ان حضرة السيدة الادبية قالت هذا الكلام في أثناء مدافعتها عن الحجاب الحقيقي ، ولكنها عافاها الله متى علمت ان الرجوع اليه محال ، غيرت رأيها وجزمت في الحال بضرورة التغيير واستبدال هذا المئزر الخليع (الحالي) بالرداء (الباطو) الطويل المحتشم الذي أشارت اليه بدون امهال او انتظار ، واما الخوف الذي تشمر به من السفور بدون استعداد ، فانه يزول عندما يستر الصدر والعنق والساعدان ، وتحتفي تقاطيع الجسم

وعلى كل حال فانها أظهرت من الشجاعة ما يستحق الاعجاب ، ومن الارشاد والنصح ما يخلد لها الذكر الحسن ، خصوصاً وانها رفعت صوتها في وسط أمة ، كل أفكار نساؤها وعقولهنَّ متجهة للبهرجة والزينة ، وهي غيرة وشهامة منها تشكر عليهما ، ولا غرو فهي ابنة ذلك الرجل الفاضل حفني بك ناصف ، والشئ من معدنه لا يستغرب

انظر في الصمبية النابذة شكل ملابس نساء الاستانة التي يستعملنها

في الخلوات والمنتزهات

قلت ان الاليق بالسيدات (المصريات) ان يقلدن نساء الاستانة
(التركيات) او نساء روسيا الشرقية في ملابسهن . اما ملابس النساء
التركيات فانها تشبه التي اشارت اليها حضرة السيدة ملك هانم في
مجموع شكلها . واما ملابس نساء بلاد روسيا الشرقية ، التي نظرتها في
« فيشي » من اعمال فرنسا (ثلاث سيدات وازواجهن من اغنياء تلك
البلاد حضرن للمعالجة بمياه فيشي ونزلوا في « اللوكاندة » التي كنت
فيها) فهي على نوعين ، منها التي يلبسها كل يوم (اعتيادية) ، والتي
يلبسها في السهرات والتيارات وما اشبه (رسمية) ، فالاعتيادية هي عبارة
عن نوع من القبعة تعرف باسم پولو (Polo) على الرأس تغطي الشعر
وهي قصيرة من الامام وطويلة قليلاً من خلف ، ومرط (جونيلة)
(Jupe) متسعة من تحت ولها ثنيات (كسرات) بجهة القدم ، ورداء او
(حرملة) ذات اكمام طويلة الى المعصم تلتف حول الرقبة وتتدلى منها
الى الركبة ، وعليها افريز (كرينش) من ذات القماش يغطي الصدر
والكتفين عرضه نحو شبرين ، أعني على الظهر لحد نصفه وعلى الصدر
الى تحت التهدين ، فلا يظهر شيء من تقاطيع الصدر او الخصر ، وهذه
الملابس كلها لون واحد وفي جملتها القبعة (پولو) ، وقد كانت اثنتان من
السيدات المشار اليهن بملابس لونها رصاصي والثالثة بلون رمادي فاتح ،
(وكان الوقار يتجلى فوق رؤوسهن بأجلى وأحلى معانيه) اما لباسهن
الرسمي في السهرات ، فان رؤوسهن كانت مغطاة بنوع من الحرير الاسود
ذي الزغب مثل الفرو مرتفع قليلاً من جهة اليمين بشكل نصف مروحة ،
يحيط به من الأعلى شريط رفيع جداً من الذهب ، وكان رداؤهن

(فساتين) من الحرير البسيط المعروف عندنا بالاطلس لونها فضي ،
وفوقها اردية (بلطوات) سوداء من حرير ذي وبر كالنوع المعروف عندنا
بالفرو ، وهي تستر الجسم الى ما تحت الركبة ، وشكلها على الجملة يشبه
اردية (بلطوات) الرجال ، ما عدا الصدر فان لها ثنيتين عريضتين احدهما
على اليمين والثانية على اليسار ، وبدانها شريط رفيع من الذهب ، وهذه
الثنيات العريضة تحم على الصدر والرقبة عند اللزوم للوقاية من البرد
والظاهر ان هذا الزي شائع في تلك البلاد النائية ، لأنه عند ما
اشتد الحر ذات يوم في « قيشي » غيرت السيدات المذكورات ملابسهن
الجوخية بغيرها من قماش رفيع ، بذات الألوان والزي ، وكان شكلهن
موضوع اعجاب الذين في الفندق من حيث الكمال والوقار ، فتمنيت ان
الله يهدي سيدات قومي الى ملابس محتشمة كهذه يرجعن بها الابصار
عنهن في غدواتهن وروحاهن

ومن الغريب ان السيدات المصريات اللواتي يتوجهن الى اوروبا
للاستشفاء بياها المعدنية ، او للرياضة والفسحة يلبسن في تلك البلاد
ملابس افرنجية غاية في الحشمة والكمال ، أي انهن لا يقلدن الزي
الاوروبي الحديث المحزق (والمقمط) من تحت المعروف (بالأترافيه)
Entravé ولا زي السهرات الذي يقتضي كشف جزء من الصدر ، حتى
ان سيدة من فاضلات الالمانيات المشتغلات بالسياسة ، قالت لي ما
يجي ، « ان كثيرين ينتقدون سيداتكم لعدم لبسهن ملابس السهرات
بشكلها المعروف (Decolté) ولكني اهتكم على هذا الكمال ، لأن
المرأة اذا ارادت أن تكشف صدرها او جزءا منه ، فلتكشفه لزوجها

فقط وفي بيتها وليس للآخرين » وقد لذت هذه العبارة اللطيفة لي
وانشرح صدري عند سماعها ، ولا اعرف ما الذي تقوله هذه السيدة
الفاضلة ، او امثالها ، عند ما ترى زي نساتنا الحديث في شوارعنا
كلها (وليس في السهرات فقط) — انها ولا شك تعكس الآية الذهبية
التي فاهت بها وتأسف مما وصلن اليه

وغير هذين الزين المحتشمين الموافقين لحالة نساتنا فانه يوجد زي
آخر أشار اليه أحد الافاضل ، وهو ما ترتدي به الراهبات المسيحيات ،
نعم انه أقرب كثيراً الى الحشمة والكمال ، ولكنني أشك في ميل سيداتنا
اليه ، لانه يصور لمن الرهينة بخشوتها ويمثلها أمام نظرهن بشكلها
الجامد الرهيب . . .

وبالاجمال ، فان الازياء المحتشمة كثيرة ، وواجب الادب والكمال ،
بل واجب الانسانية والمدنية يلزمننا ان نختار منها ما يليق بكرامة نساتنا
وشرف عنصرهن ، وان تغلب بما فينا من شهامة ومضاء عزيمة على
ابطال الزي الحالي المفقوت واعدامه من الوجود حفظاً لحياتنا الادبية
بين الأمم

اما من جهة السفور بمعناه الحقيقي ، فانه لا عيب فيه وهو في نظر
العقلاء أفضل بكثير من هذا الحجاب المصري لان هذا يحث
على الفضيلة والادب ، وذلك يحض على الفتنة ويجر الناس الى الفساد
والوقوع في الخطيئة كما سبق الكلام — وكل من يقول بغير ذلك فانه
يخالف ضميره ، ان كان له ضمير حي يعصيه . يقول قائل ان من
مستلزمات السفور « الاختلاط » ، اي اختلاط النساء بالرجال في

المجتمعات وغيرها ، وانه لا يخفى ما في ذلك من الفساد والضرر على الآداب والاخلاق ، خصوصاً مع جهل أغلب نساينا وفساد تربية معظم رجالنا - وأنا أقول ان هذا اعتقاد سائد بيننا ولكنه ليس من دليل او برهان عليه ، لانه اذا جاز ان السفور يقتضى « الاختلاط » ، جاز ايضاً ان الحجاب المصري . . . الحالى يتطلبه ، فلا فرق بين الحالتين من حيث الاسفار ، اما من جهة الكمال ، فانه يوجد فروق كثيرة أهمها ان هذا يظهر الوجه بحالته الطبيعية ، وذلك يكشفه تماماً انما بلونين . . . بعضه باللون الطبيعي ، والبعض بلون الحرير الابيض الشفاف وعلى ذكر لون الحرير الابيض الشفاف ، أقص على حضرات القراء ما سمعته من أفواه الاجانب عنه

كنت عائداً من أوروبا في العام الماضي ، وكان معنا في باخرة البحر سيدات مصريات ، وكنّ جميعاً مسفرات ، وكان بعضهنّ بملابس افرنجية تامة الاتقان ، والبعض متشجاً برداء طويل (بالطو) وكان اكثر « الركاب » الذين لا يعرفونهنّ يظنون انهنّ اوروبيات ، وعندما دنت الباخرة من الشاطئ ، أسرعنّ وغيرنّ ملابسهنّ ولبسنّ المنزر ووضعنّ النقاب الرقيق المعروف ، ومع أنّ زيهنّ كان بالاجمال على جانب من الوقار والكمال ، فان الانظار حدقت بهنّ من كل جانب ، وقد سمعت بأذني احدهم يقول لرفيقه بالفرنسية ، « انهنّ دهنّ نصف وجوههنّ » ببودره بيضاء حريرية « اي ان الوجه جميعه ظاهر ، ولكن نصفه تغير لونه ، وقال آخر « انهنّ كنّ اكمل بلباسهنّ الأول »

فلا يشترط اذن ان يكون من لوازم السفور « الاختلاط » ، لانه لم يقم دليل على ذلك كما قدمت . مثال هذا ، ان اكثر نساء الاستانة

الراقبات يخرجنَ في الخلوات والمنتزهات سافرات الوجوه ، ومع ذلك لا تجد منهنَّ من تحضر احتفالاً او اجتماعاً عاماً يحضره الرجال ، وتجدهنَّ في المنتزهات في محال منفصلة تماماً عن محال الرجال ، ولا يشترط ايضاً ان يكون عدم موافقة « الاختلاط » بسبب جهل نساتنا او عدم تهذيب رجالنا ، بل ان « الاختلاط » في حد ذاته غير ممدوح ولا مشكور ، بصرف النظر عما اذا كان « المختلطون » متعلمين او غير متعلمين لانه على كل حال مجلبة للضرر الاخلاقي ، حتى ان بعض عقلاء الاجانب يمتقونه وينددون به ويذمونّه ، وقد أثبتت حوادث الطلاق في اوروبا ان اكثرها نتيجة « الاختلاط » الزائد عن الحد ، وأصبحت العائلات الاوروبية العريقة في الكمال تحقّر الاجتماعات العامة وتتقي شرها بقدر الامكان

وقصارى القول ان السفور المحتشم بدون « اختلاط » لا خوف ولا خطر منه على الاطلاق ، بل انه يمثل الصيانة والعفة بمعناهما الحقيقي ، والله الهادي الى سواء السبيل

الرجل في بيته

« واذنا تزوجنا لم نزد الاً ضغطاً ، فيقوى « الرجل » ويستبد ،
تكم حرية الزوجة الى درجة تمت نفسها وتمدها الاحساس والحياة ،
يتحكم فيها وفي صحتها وفي مالها وفي وقتها وفي حررتها وفي كل شي ،
ويأبى عليها أن تساله سؤالاً بسيطاً عن شغله بحجة انها لا تفهمه ، او
عن نفقاته معتذراً بأنه لا مدخل لها في شؤونه ، وهل يحتقر الرجل
المرأة اكثر من أن يجلس لطعامه وحده ولا يدعوها لمشاركته فيه ،
فاذا فرغ منه تأخذ لقمة من هنا واخرى من هناك كما يفعل الخدم ،
تظل واقفة واذا غاب ليلاً يتحتم عليها السهر الى أن يحضر ، ثم اذا مرضت
يأنف أن يناولها جرعة من الدواء ويستنكف من البقاء معها قليلاً فيترك
لها المنزل بما فيه ، وليس أصعب على المريض من أن يرى نفسه مهملًا
متروكاً »

« يظهر احتقار الرجل للمرأة جلياً في افعاله وتصرفاته ، اذا حزن
يوماً لا يكشفها بما يؤلمه ، واذا نوى الشروع في عمل يعدها غريبة عنه
فلا يخبرها ، يخرج من البيت ولا يعود اليه الاً لأمر ضروري فتوانسته
واسراره نهب للخلان ، اما زوجه فلا يعدها الاً طاهية او خادمة ، واضن
ان الرجل لولا بقية حياء فيه لما هوى منزله ، ولولا ان اكله في الفنادق
يكلفه كثيراً لما ذاق طعام بيته »

« ملك حفي ناصف »

نسأل « الرجل » المتزوج طبعاً ، عما قالت هذه السيرة الفاضلة
فيه ، هل هو مقبلي وهل الذي نسب اليه واقع منه

انه لا يجاوب !! ولا يريد أن يتكلم !! مالي اراه واجماً لا يبدي
حراكاً ؟؟ انه يستحي أن يعترف بذنبه !! لعله يتذكر او يفكر في
ماضيه !! انه يبحث في قاموس تربيته ومذكرات حياته ، ها قد اتاه
الفرج ، انه يتسم ، ولكنه يبكي !! اظنه يؤنب ضميره ويحاسب نفسه ،
ان غباوته تطبق على انفاسه ، لقد اضاع صوابه وفقد رشده ، وانقطعت
ضربات قلبه ، وخرَّ صريعاً الى الارض !!! فاقد الحياة !!! الى حيث
ألت غير مأسوف عليه

نعم غير مأسوف على مثل هذا « الرجل » الذي يعامل زوجته
بالقسوة والاستبداد والاحتقار والخسونة والمقت والاذلال

نعم غير مأسوف عليه لأنه لا يقدر قيمة الحياة السعيدة اللذيذة
قدرها ، ولا يحترم شريكته فيها التي تسعد بسعده وتشتق بشقائه

ان مثل هذا « الرجل » لا يصح أن يكون « انساناً » ولا ابانغ
اذا قلت ان تسميته بحيوان كبيرة عليه ، لأنه ادنى منه بافعاله وصفاته

ان الحيوان يشفق على أليفه ويقاسمها حظه وشقائه ، ويتودد بقلبه
اليها ولا يفارقها ويدراً عنها الاذى

ان الحيوان يحترم رفيقته ويحزن لمرضها ويضحى نفسه لاجلها

وهو لا يعقل ولا يميز ولا يحس ولا يشعر

ما هذه الحركة والضوضاء ؟ اصغِ ايها «التمدن» المحبوب، من هذا القادم ؟ ، ماذا أرى !! «الرجل» الذي ذهب الى حيث ... ، نعم هو ، وكيف بُعث حياً بعد ان سقط في حضيض العدم وهاوية الهوان لسوء فعالة وردائة سلوكه مع زوجته ؟؟

لعله اتّ ليدافع عن نفسه بثّرته وخداعه وحيله . اني لا اريد أن أراه او اصغي الى كلامه ، او اسمع صوته ، لأنه كان السبب في هجو وتقريع «الرجل» بقلم سيده فاضلة مشهود لها بالاخلاص والصرامة !بعده بعيداً عن الانسانية لتلا يدنس طهارتها بخسوته وغلظته

اطرده قسياً عن دائرة التمدن لتلا يعكر صفوه ويقوض نظامه باستبداده وخيلائه

احُ اسمه من الوجود ، لأن في وجود مثله عاراً على التمدن وقذى في عين الفضيلة وضربة قاضية على الهناء والسعادة

انه يطلب الحلم والرافة والانصاف قبل القضاء عليه ، ويلتمس سماع دفاعه امام « محكمة التمدن » ، حتى يكون الحكم عليه بعد الدفاع غير قابل للطعن ، ويتمثل فيه العدل باكمل معانيه

وبعد التروي وامعان النظر قر رأي «التمدن» ان يسمع دفاعه قبل محاكمته

التمرد - ألا تعلم يا هذا ان المرأة خلقت من ضلع « الرجل » ،
ومعنى ذلك انها من دمه ولحمه ، وانه يجب عليه أن يشفق عليها ويحبها
من قلبه ويحترمها ويعاملها كمنفسه في كل شيء

الرجل - اني لا اجعل ذلك ، ولكنها هي ايضا لا تشفق عليّ
ولا تحترمني حتى احبها واعاملها كمنفسي

التمرد - ان الاشفاق والاحترام يجب أن يتبادلا بين الزوجين
بمعناهما الحقيقي ، وان يبدأ بهما « الرجل » حتى يكسب قلب حليلته ،
فيجب عليك أن تجرب ذلك فترى ما تشتهي وتريد

التمرد - كيف انك تستبد وتتحكم بها وتكتم حريتها مع انها بشر
مثلك لها مالك وعليها ما عليك في هذا الوجود ، والفرق بينها وبينك ،
ان واجباتك تقضي عليك أن تسمى وتجد وتنفق على بيتك ، وواجباتها
أن تقوم بشؤون بيتها وتربي اولادها

الرجل - اني اذا تركتها يا مولاي بدون استبداد او تحكم ،
لا يمكنني أن امسك لجامها ، لأنها كالفرس الجموح كلما أرخيت لها العنان
زادت توحشا وجموحا ، واذا كنت لا اكنتم حريتها فلا اقدر أن اطمئن
على صيانتها وعمتها

التمرد - انك كثير الاوهام ايها الرجل ، لأن استبدادك بها
وتحكمك ينفرانها منك ويجعلان حياتك معها نكدًا وشقاء ، واما اذا
عاملتها باللطف والحسنى فانها تحترمك وتحبك من قلبها ، واذا اردت

نصحها او توجيه التفاتها الى أمر فانها تقبل نصيحتك ولا تهمل في شيء منها ، لأنها تعلم ان قلبك لا يحفظ لها إلا الود والاحترام ، اما كتم حريتها واعتقادك ان هذا يصون عرضها ويحملها على العفة ، فهذا خطأ فاضح لأن الضغط على الحرية لا يحرر المرأة ، بل يأتي احياناً بعكس المطلوب (وقد سبق الكلام عن ذلك في باب « المرأة »)

التمره - كيف تأتي عليها ان تسألك سؤالاً بسيطاً عن عملك او دخلك او نفقاتك ، وهي شريكتك في السراء والضراء يفرحها فرحك ويحزنها حزنك ويسعددها سعدك ويشقيها شقاؤك

الرجل - انها يا سيدي لا تفهم ما هي أشغالي ، وان أفهمتها بالاسم فلا تقدر ان تعرف مفرداتها او أهميتها لانها غير متعلمة ولا مثقفة ، اما تطلبها معرفة دخلي ونفقاتي ، فهذا أنكره عليها ، لأنني أخشى من اسرافها وتبذيرها اذا علمت بمقدار دخلي وثروتي

التمره - انك في خطأ مبين ، لان كثيراً من الامم المتعدنة تعلم نساءها العلوم المصرية عقيب الزواج حتى يروا فيهن كلما يشتهون ويحبون ، وقد دخلت بيوتاً كثيرة لي صلة بسكانها ، فوجدت بعض سيداتها يتعلمن اللغات على يد معلمات اجنبيات ، والبعض يتعلمن الضرب على البيانو اجابة لطلب أزواجهن ، حتى يصلن الى الدرجة السامية من التهذيب والرقي المصري ، فاذا كانت امرأتك جاهلة وغير متعلمة فما الذي يمنعك ان تهذبها وترقي أفكارها عوضاً عن اهمالها وتركها ، واذا كان هذا غير ميسور لك ولا يساعدك دخلك على احضار المعلمات

والمهذبات ، فاي مانع يمنعك من ان تعلمها بنفسك وتربي فيها الاخلاق
الكريمة وآداب المعاشرة والاقتصاد وكلما تشتهي ان تراه فيها ، فلا يمضي
زمن قليل حتى تحصد نتيجة تعبك وترى منها الشريك النافع والمعاشر
المحبوب الى ما شاء الله . اما اعتقادك انه بمجرد اطلاعيها على دخلك
وثروتك تسرف وتبذر ، فانه اعتقاد فاسد ، لان المعلوم والمعروف ان
النساء بطبيعتهن أحرص من الرجال وأميل الى التوفير منهم ، والذي
يعلم السيدة الاسراف ويعودها التبذير ، هو « الرجل » ، لانها عندما
تراه ينفق مالا طائلاً على ملابسه وماأكله ومشربه وملذاته وعرباته وخيله ،
ان كان له عربات او خيل ، فهي بحكم الطبيعة تتأثر من الوسط الذي
وجدته فيه وتتشبه به في الاسراف والتبذير ، ان لم يكن من قبيل الميل
والرغبة فمن قبيل التقليد ، اما اذا رأت « الرجل » فنوعاً في كل شيء ،
مقتصداً حكيماً لا ينفق الا النفقات الضرورية لمعيشته ، فانها لا تغير
شيئاً من عاداتها ولا تخرج عن حدها ، ولا ابالغ اذا قلت انها تظل في
مقدمة المقتصدين بحكم طبعها الى آخر ايام حياتها ، وان شك أحد في
هذه الحقيقة فعليه بالتجربة

التمره — كيف تأكل طعامك بمفردك ، وهي تأكل فضلاتك
وما تبقى منك ، مع انها زميلتك وقرينتك ، وكيف يكون مقامها واعتبارها
بين الخدم ، وكيف يمكنها ان تدير نظام بيتها بهمة ونشاط اذا لم يكن لها
احترام ولا اعتبار في نظرك ؟

الرجل — وما الفرق يا مولاي بين الرجل والمرأة اذا كانت مساوية

له في كل شيء حتى في الاكل والشرب ، ان آباءنا وأجدادنا عودونا ان
لا تجلس النساء مع الرجال على المائدة . . . وان يأكلن فضلات
أزواجهن فاذا كنت ترى يا مولاي في ذلك عاراً فاني اعدك
بالعدول عنه ان كان هذا يرضيك . (سيأتي الكلام عن ذلك في باب
آداب المائدة)

التمره — كيف تسهر خارج منزلك في القهاوي والمنتديات
ومحلات ال . . . وتترك أولادك وزوجتك كاليتامى في البيت يخيم عليهم
العبوس والكآبة وتغشاهم الوحشة والوحدة ، وربما كانوا أحق وأولى
بغرش واحد مما تنفقه على لذاتك الوهمية ، فضلاً عن الزام زوجك بالسهر
الى ان تعود !!!

الرجل — لست أنا بالشخص الوحيد الذي يسهر فان كثيرين
مثلي على هذا المنوال ، وربما كنت أقل منهم تطرفاً في هذا المضمار ،
وكما قصدت ان أعتكف في بيتي يأتيني « فلان » و « فلان » يخرجاني
ويؤثران على فكري ، فالنزم ان أطيعهما وأعود الى ما كنت فيه رغماً
عني وضد رغبتى وارادتي

التمره — لله في خلقه شؤون ، كيف تطاوع هوى نفسك وحض
واغراء اخوانك وخالانك على المفاسد والشرور ، انك لجبان وعديم
الشجاعة والشهامة ، من ذا الذي يمكنه ان يؤثر عليك او يغريك اذا
كنت ذا ارادة قوية وعزم ثابت ، ان الاخلاق الفاسدة الرديئة هي التي

تخضع لسلطان المنكرات والملاذ الوهمية بسهولة ، اما الاخلاق القويمة
الحسنة فانها تقف كالأسد الكاسر في وجهها ولا تجعل لها سبيلاً اليها ،
فلو كانت أخلاقك حسنة وحميدة لمنعتك ولا شك من الاقتراب الى
هذه النار التي تأكل أصحابها وهم لا يشعرون

ان كنت تعتقد انك تلتذ بشرب الخمر في وسط اخوانك وخلانك
في القهاوي والحانات ، او ان صدرك ينشرح بكلمات المزاح والنكات
الباردة التي تسمعها منهم ، فهذا خطأ عظيم ، فان الخمر الذي تشربه
مهما كان لذيذاً في فمك فانه يكون مرأً وعلقماً بل سماً زعافاً في
احشائك بعد حين ، لأن القلب يتحرك اكثر من عادته ويضعف ،
والمعدة تتهب ، والامعاء تحترق ، ونظرك يقل ، ووجهك يذبل ، ويديك
ترتعش ، وجسمك يضمحل ، وبالاجمال فانك تنتحر على مهل من غير
أن تشعر وتصبح اسيراً للأمراض القتالة ، ولا يفيدك لذة ساعة او
ساعات . اما انشراح صدرك من المزاح والنكات ، فانه لا يذكر بالنسبة
للانشراح الطبيعي الذي يدب في كل جسمك عندما ترى اولادك
الصغار يهشون ويلعبون حولك وتسمع كلماتهم العذبة اللذيذة التي تخرج
من فمهم الصغير اللطيف ، وترى امامك زوجك الطاهرة النقية بوجهها
الطلق ومحيها البشوش ، وثغرها الباسم فهي وان كان كلامها معك خالياً
من الفصاحة والطلاقة ، ولكنه بالحقيقة أفضل بكثير من كلام اصحابك
وخلانك المدهون بالنفاق والرياء والخداع والغاية

وان كنت ترى الوحشة والكآبة في بيتك ، فانك أنت محدثها
وموجدتها بغياك منه وابتعادك عنه كل ليلة ، اما اذا لازمته واعتكفت

فيه ، فان الوحشة والكآبة يتبدلان في الحال بالسرور والانس والانشراح
النمره — وكيف لا تبطل الضحك ولا تفارقك البشاشة وأنت
بين خلانك وصحبك ، ولكنك عندما تدخل بيتك يتبدل حالك ويعبس
وجهك ويقطب جبينك ، كأنك انتقلت من فرح الى حزن او من خبر
سار الى مصيبة

الرجل — ان هذا العبوس الذي تقول عنه يا مولاي ظاهري
فقط ، وفي الغالب أتصنعه حتى تعتبرني زوجتي وتهانني وتخشى بأسني ،
لاني اذا ضحكت أمامها وأظهرت لها البشاشة والانشراح لم تكترث بي
ولم تهتم بأمرني وقد تعتبرني كسقط المتاع

النمره — أمرك غريب ايها « الرجل » انك تدعي ان زوجتك
جاهلة والحال انك على جانب عظيم من الجهل والغباوة ، كيف تعتقد
ان تظاهرك بالغضب وابرز أنيابك وتقطيب حاجبيك تجعلك مهاباً
ومحترماً الا صوب انك لا تفهم معنى الاحترام والمهابة ولا مصدرهما
ولا كيف يكونان او يتكونان ، وأراك تضع ناموساً وسنة لساوكتك
لا يقرها العقل ولا يميزهما الفكر السليم . ان الاحترام والمهابة بمعناها
الحقيقي لا يأتیان الا من طريق المحبة والاخلاص ، ومتى كانت المحبة
والاخلاص غير حاصلين فلا مهابة ولا احترام ، اما ما تراه من زوجك ،
فانه عبارة عن خوف تتظاهر به أمامك ، ولكنها في باطنها تسخر منك
وتهزأ بك ، فاذا صحوت من غفلتك وتأملت قليلاً ، وجدت انها هي ايضاً
تقابلك بالعبوس والانتقاص ، فيتخيل لك انها تحترمك وتهابك ، والحال

انها تضحك منك ، وبمجرد ما تحول نظرك عنها ، قد يتم فيك المثل
العامي ، « تشيلك بالكبة وتحطك بالطاعون » . . . لانها تكرهك من
قلبها بسبب سوء معاملتك لها ، وتكره ان ترى وجهك العبوس الكئيب
وشكلك الوحشي الفظيع الشنيع ، وتمنى دائماً ان تكون بعيداً عنها ولو
كان في ذلك حرمانها من أهم لوازم الحياة

اما اذا قابلتها بالبشاشة والانشراح فانها تقابلك باحسن منهما ،
فتبادلان عبارات التحية والسلام والاحترام ، وتحدثان حديث العائلة
اللذيذ ، وما أذنه وأحلاه على سمع « رجل البيت » (بمعنى الكلمة) اذ
يحل الهناء وتجلي السعادة بأحلى وأجلى مظاهرها ، ويبدو الاحترام
القلبي وترفل المهابة الحقيقية في حلة من الوقار يحيط بها الحب الحقيقي
مع الاخلاص من كل جانب

وبعد انتهاء المحادثة ركب « الرجل » امام عرش « التمدن » طالباً
العفو والسماح والغفران ، وشاركته المرأة في طلبه بكلامها العذب اللطيف
الصادر من قلبها الطيب ، وكان منظرهما مؤثراً جداً ، فلم يسع « قاضي
التمدن العادل » امام هذا الاستعطاف والاستغفار الا ان يرأف به ويعفو
عنه ، ناصحاً له باحترام « المرأة » والاشفاق عليها وتأدية الواجب لها من
الوجوه الادبية والمادية حتى تكون حياته معها مقرونة بالهناء والسعادة

نظام وترتيب البيوت

عندنا بفضل الله وكرمه لطف وظرف في السلام والتحيات ،
ورقة وطلاقة في الحديث والمسامرات ، ووجاهة وبشاشة في الزيارات
والمقابلات ، وسخاء وكرم في المآكل والمشروبات ، ورغبة في اقتناء
الملابس والمفروشات ، فلا ينقصنا إلا النظام والترتيب - النظام والترتيب ،
كلمتان صغيرتان - صغيرتان جداً ، ولكنهما بيت القصيد ، والسلم
الوحيد الذي تتوصل به الشعوب الى المدنية الراقية - النظام والترتيب ،
هما اللذان أثرا التأثير الحسن في ترقية وتمدين اوروبا باسرها حتى جعلت
ترفع رأسها وتديه عجباً ونفراً علينا نحن الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً
النظام والترتيب ، هما اساس الهناء وركنه الكبير ، ودعامة لذة
الحياة وأس الاقتصاد والتدبير

نعم نعم ، بالنظام والتدبير يصعد الانسان عالم الكماليات ، وهناك
يجلس الى بساط الرفاهية الحقيقية ويمثل امام عينه عظمة الحياة
الهنيئة وقيمتها

ادخل معي يا صاح بيتاً من بيوت الاوروبيين ، حيث ترى النظام
ضارباً اطنا به وباسطاً اجنحته فوق ربوعه ، وفي كل محل فيه - ماذا
تجد ؟ ، تجد كل شيء موضوعاً في محله ، ومرتباً ترتيباً جميلاً تميل اليه
النفس ، وترتاح الى نظره العين ، تجد البهو (الصالة) المعد لاستقبال
الضيوف ، فيه المقاعد والكراسي والمرايات وآنية الزهر وبعضاً من انواع

الزخارف والزينة ، ومع كون الموجود من هذه الاشياء قليل جداً بالنسبة الى اتساع المحل ولكنه موزع في اركانها وجوانبها ووسطها وجدرانها بشكل جميل يدل على الذوق السليم ودقة النظر — محلات النوم بها الأسرة واقفة كالعروس ساعة زفافها وعليها (فوق الفراش) غطاء من القماش الأبيض او ذات الألوان المشغول ، او الحرير المطرز بالرسوم الجميلة (كل على قدر مقدرته) وتجد فيها خزانة الملابس « دولاب » و (لثمانو) لغسيل الوجه والزينة ، ولا تجد شيئاً مطلقاً تحت الأسرة يعيق مرور الهواء او يمنع تجفيف الفراش من اسفله ، ومحل الاكل وبه كل شيء مرتب جداً ونظيف للغاية يسر نفس الداخل فيه

أما المطبخ وهو الكل في الكل ، فانهم يهتمون جداً بحفظه نظيفاً ومرتباً ، فتجد به الرفوف وعليها علب الملح والفلفل والبهارات والسكر والبن وما أشبهه مغطاة وقد كتب على كل منها اسم الصنف الذي بداخلها وأدوات المطبخ بعضها معلق على لوح مكسو بقماش أبيض ، وبعضها موضوع على الرفوف ومرصوف بشكل لطيف جداً — أما ارض المطبخ فانها لا تقل في النظافة عن بقية محال البيت ، وبالأجمال فانك ترى المطبخ وما بداخله أشبه بمحل (اجزخانة) من حيث الترتيب والاعتناء والنظافة ومن نوادر المطابخ ، ان صح ان يكون لها نوادر ، ان أحد أصدقائي (هو وزوجته من الطبقة الراقية) أخبرني ان صديقاً له من أغنياء الاقاليم زاره في منزله ، وعند مروره على باب المطبخ ، وكان مرتباً ونظيفاً ، سأله هل عندك صيدلية (اجزخانة) في بيتك . . . فافتكر صديقي انه يبائع في

وصف ترتيب ونظام المطبخ ، ولكن الرجل في الحقيقة كان معتقداً انه
صيدلية (اجزخانة) ودهش جداً عندما علم انه مطبخ . . .

ومن نوادره أيضاً ، اني طلبت من سيدة (أخذت عنوانها من
احد أصدقائي) في جهة « البوربول » من أعمال فرنسا استئجار منزل لها
وعينت لها عدد الأسرة التي تلزم فيه ، فردت عليّ بأن عدد الأسرة
المطلوبة تزيد عن غرف المنزل ، ولكنني اذا قبلت الأجرة التي حددتها
فانها تعدّ سريرين في محل المطبخ لأنه متسع جداً ، فشكرتها ولم أقبل
اقتراحها لأن ذكر المطبخ والنوم فيه كان ثقيلاً جداً على نفسي واستأجرت
منزلاً آخر . ولما كنت مولعاً بالاطلاع على نظام وترتيب بيوت العائلات
الأوروبية ، انتهزت فرصة وجودي في « البوربول » وقصدت ان أرى
بعيني محل المطبخ الذي اقترحت السيدة ان تضع الأسرة فيه ، فأتخذت
نية التشكر لها سبيلاً للزيارة ، وتدرجت معها في الحديث الى رغبتني في
رؤية محل المطبخ ، فاذا رأيت ؟ رأيت محلاً فسيحاً وفي ركن منه قاعدة
من البناء مكسوة بالبلاط الأبيض المصقول ، المعروف بالفيشاني وعليها
اربعة من المواقد التي توقد بخار الغاز ، وفي زاوية اخرى خزانة من
السلك (الجوانب والوجهان ملوحة بالسلك) وبها جملة من الرفوف والعيون
لحفظ وصيانة المأكولات بأنواعها حتى لا يحط عليها الذباب وما أشبه ،
وفي جزء من الحائط بجوار الخزانة ثلاثة رفوف احدها فوق الآخر وعليها
من العلب وأدوات المطبخ شي ، كثير كلها مرتبة بشكل يسر الخاطر
ويبهج الناظر . فتحسرت وتأسفت جداً ، وحسدت القوم على حياتهم

الهيئة السعيدة ، حياة الترتيب والتوفير والنظام (ولو ان الحسد مذموم ومكروه على كل حال) وتمنيت ان انمض عيني ثم أفتحها فأرى شعبي على هذه العظمة والمجد والتمدن في كل شيء حتى في المطبخ ، ولكن التمني ويا للأسف من طبيعة الانسان التي ملئت بالآمال (وما كل ما يتمنى المرء يدركه) وأما اذا كان الأمل مقروناً بالجد والعمل فإنه يتحقق بأذن الله

اما ترتيب بيوتنا ونظامها فإنه بالاجمال لا يسر خاطر ، ولا يدل على الذوق السليم في شيء ، لأننا نجد بعضها ملآن بالاثاث الفاخر والرياش الثمين ولكن اشياءه غير مرتبة ولا موضوعة في محالها المناسبة لها ، فضلاً عن عدم الاعتناء بحفظها وصيانتها . نجد في البهو (الصالون) عدداً كبيراً من المقاعد والكراسي والدواوين مصففة على دائرة المكان صفافاً محكماً متلاصقاً كالبنيان . . . وعداداً ليس بقليل من الصور والآيات القرآنية او الانجيلية معلقاً على دائرة الحيطان بعضها مرتفع والبعض منخفض بدون نظام ولا هندام ، والأدهى ان أغلب الصور قبيح جداً لا يدل على شيء من الادب والكمال فان بعضها يمثل رقاصة او غادة حسناء عارية الصدر والساعدين ، ويجانبها الآيات الدينية السامية اما محال النوم فإنها ملآنة بالأسرة والخزانات والمقاعد المستطيلة (الكنايهات) بحيث لا تجد فيها محلاً او منفذاً يمكن وضع شيء فيه ، اما تحت الأسرة فإنه « المخزن الرسمي » لحفظ كل ما يلزم حفظه من الاشياء التي لا طلب لها

ومعظم بيوت الاغنياء ومتوسطي الحال خالٍ من غرفة خصوصية
للأكل ومناولة الطعام ، فالبعض يستعمل مدخل البيت (الفسحة) ،
والبعض يأكل في غرفة مكتبه ، والبعض في البهو (الصالون) مما يدل
فعلاً على الفوضى وقلة النظام ، وقد شاهدت في منزل لأحد اصدقائي
الاغنياء (ارجوه أن لا يؤخذني لأن خدمة امي اضطرتني الى ذلك)
ثلاثة محال كبيرة مفروشة بانخر الرياش من المصنوعات الشرقية والاوروية
الجميلة وكلها ذات قيمة عظيمة جداً ، (ولكنها بكل اسف موضوعة
بدون ترتيب) ولما حان موعد الغداء أحضر لنا الخدم صينية كبيرة
ووضعوها فوق مائدة في احدى المحال الثلاثة المشار اليها ، مع انه
في استطاعة هذا الوجيه الغني أن يخصص أحد هذه المحال للمائدة
ويضع فيه ادواتها كاملة

اما المطبخ ، فاني لا أقدر ان أصف شكله ، لا من حيث عدم
الترتيب والنظام ، ولا من حيث رائحته ومنظره واتساخه ، ولا تظن اني
أصف مطبخاً من مطابخ الفقراء او متوسطي الحال ، بل أصف لك
واحداً من الذي يطبخ فيه بعض الاغنياء والطبقة الراقية فينا ، ولا تظن
ايضاً ان الفقر هو علة الوسخ ومنشأه وموجده كما يعتقد كثير من
الناس ، بل الوسخ هو الداء الملازم لنا المحبوب عندنا ، تجده في أغلب
دور الاغنياء وقصورهم وفي منازل المتوسطي الحال وفي اكواخ الفقراء ،
وربما كان في بعض بيوت الطبقة الوسطى أقل منه في دور وقصور
بعض الاغنياء . والمصيبة الكبرى انه يزيد ويكثر (الوسخ) في محال

الطبخ عموماً والتي تحت سلطان الخدم وتصرفهم خصوصاً ، وحتى تصدق
ما أقوله عنها ولا ترتاب فيه وتؤكد صحته . آتيك بالبرهان من شاهد
عيان — أحضر لنا « مخدّم » طباًحاً يده شهادات كثيرة تدل على خبرته
ومهارته ونظافته وبينها شهادة من بيت غني كبير وبعد ان صنع
طعام الغداء ، دخلت سيدة المنزل لتنظر بنفسها حالة مطبخها ، فاذا به
بركة من الاوحال والاقذار والادوات والاوعية مبعثرة ومنتشرة هنا وهناك
فها لها الأمر ولم يسعها الا طرده في الحال ، وعافت أنفسنا اكل الطعام
الذي صنعه هذا الماهر النظيف

وحدثني صديق لي انه شرب مرة قهوة عند أحد معارفه ، فوجد
صرصاراً في فنجان القهوة وسبب هذا ترك علبة « البن » بدون غطاء
وأظن انك مللت أو لا يروق لذوقك ذكر الطبخ والمطبخ عندنا
وما فيها من الفضائح والمخازي وتود ان أنتقل الى موضوع آخر ، ولكنك
اذا علمت عافاك الله ان الصحة والحياة مرتبطان بالطبخ والمطبخ استراح
فكرك وطولت بالك وسمحت لي باستمرار الشرح والاسهاب في هذا
الموضوع المهم

اسمع ان كثيراً من السيدات يستنكفن دخول المطبخ وينفرن
من رؤية اللحم وهو يقطع وينظف او الخضروهي تقشر ويتركن كل شيء
للطباخين والطباخات تعاضماً منهن واحتقاراً لهذا الشيء الذي يعددنه في
نظرهن حقيراً جداً وغير مهم ، ويوجهن اهتمامهن لغسيل جسمهن
وزينة وجوههن وهندام زينهن ، او يصرفن الاوقات بالضرب على

البيانو او الزهرة والرياضة وما شابه ذلك ، حتى تحسن صحتهم وتقوى
بنيتهم ، ولكنهن لو تأملن جيداً لعلمن ان سلامة الحياة هي في هذا
المطبخ وبين أوانيهِ وصحونه وأوعيته ، وان الزينة الحقيقية هي الصحة التي
تزين بها معدتهن وامعاؤهن ، وفضلن ان لا يفارقن مطابخهن
واعتنين بشؤونها

أنا لا أقصد ان السيدة الغنية تترك زينتها ورياضتها وفسحتها
وزيارة صاحباتها وتباشر الطبخ بنفسها ولا تفارق مطبخها ، كلا ، بل الذي
أقصد من قولي ان « لا تفارقه » هو المعنى المجازي فقط ، اي ان تباشر
بنفسها من وقت الى آخر نظافته وكيفية صنع الاطعمة ونظافة الاوعية
التي تصنع فيها ، وترتيب الرفوف والخزانات وصيانة علبه وأدواته من
التراب والوسخ وبالأجمال ان تراقب كل ما فيه صغيراً او كبيراً

أما من جهة ترتيب الأثاث في البيت ووضع كل شيء في المحل
المناسب له ، فاني لا أقدر ان اصف او ارشد بما يلزم وضعه هنا او هنا ،
لأن الترتيب يكون بحسب الاذواق طبعاً ، والاذواق تختلف ، فالذي
يروق لنظري ربما لا تستحسنه وبالعكس ، انما هذا لا يمنع اني أنصح
اخواني واخواتي ان يتشبهوا بالأجانب في داخلتهم وترتيب منازلهم ،
وأحسن ترتيب او نظام هو ما كان بسيطاً جداً ونظيفاً للغاية فلا نفرح
بكثرة الأثاث والفرش والنحاس والصناديق والخزائن وما أشبه بل يجب
ان لا نقنتي منها الا الضروري ، وان لا نرجم الغرف بها حتى يتخللها
الهواء خصوصاً محال النوم فانه يجب ان لا يكون فيها غير الأسرة

وخزانة واحدة ، وأن لا نضع تحت الأسرة شيئاً صغيراً ولا كبيراً حتى يدخلها الهواء ويجفف أسفل الفراش ، حسب شروط الصحة ، وأن نخصص محلاً للأكل فلا نأكل في غيره وآخر للاشغال (مكتب) ومثله للاستقبال والنوم وهكذا في الباقي ، ولا يكفي الترتيب والنظام فقط بل النظافة ، النظافة ، النظافة ، انها لازمة قبل كل شيء .

وبما انه ليس عندنا مدارس (كالتى رأيتها في فرنسا) يتعلم فيها البنات كيفية ترتيب وتنظيم البيوت وما يلزم لكل محل من الاثاث وأين يجب وضعه ، وبالأخص المطبخ الذي يدرسون عنه فصولاً طويلة تريد في الشرح والبيان عن باقى ما يخص محال البيت الأخرى ، فالواجب علينا ان نبحث عن أقرب وأسهل الطرق التى توصلنا بقدر الامكان الى ترتيب ونظافة بيوتنا ، وعلى حسب اعتقادي ان الطريقة المثلى هي ان تشبه بيوت المتمدين بيننا ، اجانب كانوا او وطنيين ، ولا عيب في ذلك لأن التشبه بالكرام فلاح

تزور السيدة مثلاً احدى قريباتها او صديقاتها المتمدات وتطلب منها ان تطلعها على كيفية ترتيب منزلها وتنقل منه كلما تراه حسناً ومنظماً وهكذا يتسلسل التشبه من بيت الى آخر ، حتى نتوصل شيئاً فشيئاً الى بيت المدنية الصحيحة ، وفي نظري ان الوقت الذي يجب فيه ان نهتم بأنفسنا وبداخليتنا قد حان وانه لا يجوز ان نهتم فقط بترتيب ونظافة محل الاستقبال كما يفعل البعض منا او أغلبنا وترك باقى محال المنزل مضطربة (مكركة) وفي اتساح لا مزيد عليه .

واني واثق جداً انه لو انتشر مبدأ التقليد بين العائلات لأتى بفائدة

عظيمة جداً ، لأن مدارس الاوربيين التي يدرّسون فيها علم ترتيب
البيوت ونظامها لم تفتح الا من عهد قريب ، ومن المؤكد انها لم تنشأ
الا للكماليات كما لا يخفى ، اي ان بيوتهم كانت قبلها على جانب ليس
بقليل من الترتيب والنظافة ، ومن البديهي ان العائلات النظيفة المرتبة
بحكم التمدن ، هي التي تبث روح الترتيب والنظافة في غيرها ، وهي التي
استمرّ الترقى بينها كلها شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى درجة الكمال التي
لا مزيد عليها بما تبثه مدارسها من هذا الفن

واني اؤيد بالبرهان ما اعتقد في نجاح خطة التقليد فأقول اني
شاهدت بيوتاً كثيرة لبعض أقاربي قلدت غيرها من ذوات الترتيب
والنظام الحسن ، وأغلبها نجح والحمد لله

ولست أقصد بالتقليد ان يكلف الانسان نفسه فوق طاقته ويقتني
الاثاث الفاخر كما يفعل فلان باشا او فلان بك من الاغنياء ، بل أقصد
التقليد في النظافة والترتيب والنظام فقط ، اما التوسع في اقتناء الاشياء
الثمينة وتحميل أنفسنا ما لا تطيقه فهذا خارج عن موضوعنا بالكلية

آداب المائدة

آداب المائدة ، هي ترتيب كل ما يتعلق بالمائدة ، ومناولة الطعام والشراب ، ومواعيد الأكل ونظامه ، والحديث والمسامرة اثناء الطعام الخ ذكرت في باب « ترتيب البيوت » ونظامها انه يجب الاعتناء التام بنظافة المطابخ وأدوات الطبخ ، لأن في نظافتها والاهتمام بأمرها صحة للحياة ، والآت أقول في هذا الباب انه يجب الاعتناء جيداً بترتيب ونظام ونظافة المائدة ، لأنها لذة الحياة ، نعم أقول انها لذة حياة الغني والفقير على السواء ، وحتى تعرف يا صاح كيف انها لذة حياة الفقير ، الذي يعيش دائماً في الشقاء ، أقص عليك ما رأيته بعيني لتصدق ان الفقراء المتمدين يتلذذون فعلاً بحياتهم مثل الاغنياء

اتهمزت فرصة وجودي في « شاتل جيون » من أعمال فرنسا (من بلاد المياه المعدنية النافعة لعلاج الامساك) وقصدت ان أطلع على حياة ومعيشة الطبقة الفقيرة عند القوم ، فرجوت أحد أصدقائي من رجال سكة الحديد هناك ، ان يساعدي على الوصول الى غرضي ، فأجاب طلبي (وكلهم رجال ادب ورقة) وأمر باحضار حمال من الذين يشتغلون بالبضائع ، وأطلعه بكل لطف على غرضي ، بعد ان قدمه لي باسمه دون وظيفته ، محافظة على احساساته ، وقدمني له باسمي ووظيفتي ، فأخني رأسه وقال ، بكل ممنونية تفضل ، فتوجهت معه الى منزله وكان قريباً من المحطة ، وكنا وقتئذ قرب الظهر ، فقدمني لزوجته ، قائلاً هذا سائح

وصديق لرئيسي يريد ان يطلع على معيشتنا الداخلية ، هل عندك مانع ،
فاحمرّ وجهها خجلاً وقالت بكل ممنونية ، وكانت علامات الدهش
ظاهرة عليها

دخلت المنزل واذا به مؤلف من غرفتين غير المطبخ ، في احدهما
سريران من الحديد وعليهما فرش من القش فوقه الملائات البيضاء ، وخزانة
ومائدة (طرايزه) وثلاثة كراسي كلها من الخشب البسيط ، عرفني الحمال
انه صنعها بيده ، وفي المحل الثاني ، دكة عريضة ومستطيلة من الخشب في
احدى زواياه وعليها فرش مثل السابق وصفه لنوم اولاده الثلاث ، وفي
وسط المحل مائدة مربعة من الخشب الأبيض وعليها غطاء من القماش
المدهون ، المعروف بالجمع ، ومن حولها خمسة كراسي خشبية من ذوات
الظهر ، وفوق المائدة عدة من الصحون (من عادة العائلات الفقيرة عند
القوم ان سيدة المنزل ، ويدعوها سيدة بالمعنى الكامل - فقيرة كانت
او غنية - Madame) بعد ان تصنع الطعام ، تجلس في منتصف
المائدة وتضع أمامها أناء الطعام وجملة من الصحون ، ثم تعرف الطعام
بنفسها وتقدمه الى زوجها وأولادها كلاً في صحنه (وجملة من الكؤوس
والشوك منتشرة على دائر المائدة ، ورغيف مميك من الخبز وزجاجة من
الحمر (بيد) ، فسألته عن طعامه ، وهل يأكل غداه في البيت قال ، أما
الطعام فانه نوع من الكرنب والبصل ، وأما السؤال الثاني فانه جاوبني
عليه مستغرباً ، طبعاً في البيت ، وحتى لا أثقل عليهما تشكرت وخرجت
وفي اثناء عودتي الى الفندق الذي كنت نازلاً فيه جعلت أتأمل كيفية
حياة هؤلاء القوم ، حتى ان الفقراء منهم لهم نظام وترتيب ، لهم أدوات

مائدة كاملة ، نظيفة ومرتبة وعليها كل معاني الحياة السعيدة ، لهم مقاعد
(كراسي) يجلسون اليها ، وأواعي يتمتعون بالأكل منها كلاً على حدته ،
لهم اسرة ينامون عليها ، انهم بالحقيقة سعداء ، وسعداء جداً

اما فقراؤنا الذين من درجة هذا الجمال فلا اقدر أن اصف لك
حالة معيشتهم لأن في وصفها ضربة على قلبي ومرارة على نفسي ، واما حالة
فقرائنا الذين هم أرقى من طبقة الجمالين ، مثل التجارين والسباكين
والجزارين وصغار التجار واصحاب الدكاكين ، فان معيشتهم الداخلية ايضاً
قدرة جداً وغير مرتبة بالكيفية ، لا مائدة لهم حتى اصفها لك ، والذين هم
ارقي من هذه الطبقة مثل الكتبة الأصغر ومستخدمي التجار وامثالهم
فانهم لا يعرفون المائدة ونظامها وحديثها ، ومواعيد الاكل ، وكيفية
جلوس العائلة حول المائدة ، إلا بالاسم فقط . وبالاجمال فاني اوجه كلامي
الى طبقتي المتوسطي الحال والاغنياء الذين اذا انتشر التمدين بينهم يتطرق
ويتدرج ويصل بطبيعة الحال منهم الى من هم دونهم

ادخل معي يا صاحب منزلاً من منازل كثيرين من الاغنياء او معظم
الطبقة الوسطى يبتنا ، واجعل دخولك ساعة الغداء ، حتى ترى بعينيك
كيف يأكلون ويشربون في بيوتهم

ان اول شيء يقع عليه نظرك ، منظر تقشعر منه الابدان ، بل تنفر
منه الانسانية ، وما هو - رجل غليظ الافكار ، مقطب الوجه ، جالس
الى ديوان (كنبه) ومتربع ، وامامه مائدة عليها صينية ، وعلى الصينية
بعض الوان من الطعام ، يأكل منها ياصابعه الخمس وبعد ان اخذ

كفايته ، او زيادة عن كفايته أحضرت له الخادمة الطشت والأبريق ففسل يديه ثم رقد على الديوان . اما الصينية بما عليها فبقد رفعتها الخادمة ووضعتها على « طبلية » وقعد على الارض حولها امه واخته وزوجه واكلن ما فضل عنه ، واكل معهن الخادمة والدادة والمرضعة تواضعاً منهن

انه لرجل جاهل ، وجاهل جداً ، لأنه يحرم نفسه من لذة الحياة الحقيقية ، ولا يجلس على صدر مائدة نظيفة مرتبة الى يمينه والداد وتليهما شقيقته ، وعلى يساره زوجته ويوليها اولاده الكبار ، ان كان له اولاد كبار ، وهو يضي مدة الطعام بحديث شهى لذيد خال من الهموم والاكدار ، ويدور عليهم الخدم باصناف الطعام يأخذون منه كفايتهم كلاً في وعائه (صحنه) الذي امامه وكلما انتهى نوع يبدلون الأوعية (الصحون) بغيرها نظيفة ، والشوك والملاعق والسكاكين باخرى ، وهكذا حتى تمتلئ بطونهم طعاماً لذيداً ، ونفوسهم انشراحاً فضلاً عن تمتع هؤلاء النسوة بحقوقهن وارتفاع رؤوسهن امام الخدم وغير الخدم

اما ترتيب المائدة ونظامها ، وهي التي يسمونها بأداب المائدة فاني اوردها هنا بقدر الامكان

ان كل شخص يأكل في وعاء (صحن) ويشرب في كوبه خاصة به ، وان لا يأخذ من الطعام عند دوره الا ما يقدر ان يأكله ، حتى لا يترك منه شيئاً

ان يأكل بشوكة وسكين حتى لا تتسخ أصابعه الثلاث او الاربع

فضلاً عن احتمال وجود ميكروبات بين أظافره

ان يمسك السكين بيده اليمنى والشوكة باليسرى ، وألا يخبط بهما
في الصحن او يسمع صوتهما عند تقطيع الطعام وتناوله

ان لا يرفع الصحن من فوق المائدة بيده ويناوله للخادم ، بل ان
الخادم هو الذي يرفعه ويضع صحناً نظيفاً محله

ان وضع طرف السكين والشوكة على الصحن ، والطرف الآخر على
المائدة علامة على عدم الاذن للخادم برفع الصحن ، ووضعهما داخل
الصحن ، علامة على الاذن برفعه

ان لا يأخذ الطعام بواسطة السكين الى فمه ، بل ان السكين للتقطيع
والشوكة للاكل

ان لا يأخذ ملحاً او فلفلأ باصابعه ، بل بملقعة صغيرة معدة لذلك
وان كانت غير موجودة فبطرف سكين نظيف

ان لا يضع كوعه او كوعيه على المائدة وان يجلس منتصباً

ان لا يضع الفوطة على رقبته (كما يفعل البعض) بل على صدره
من أسفل

ان لا يستعمل الخببط على الصحن عند النداء على الخادم

ان لا يتفل البزر او النقي من فيه الى الصحن ، بل في الملقعة او في
يده ومنها الى الصحن

ان لا يسقط منه شيء على غطاء المائدة ، لأن اكبر العيوب على
المائدة اتساخ الجزء الذي يأكل المرء عليه

ان لا يحرق بالآخرين او يتألمهم عند تقطيع الاكل او ازدراده

ان لا يبرح محله من المائدة الا بعد انتهاء الطعام والفاكهة

ان يطوي فوطته بعد الانتهاء من الاكل ويضعها على المائدة

ان يحني رأسه (ان كان ضيفاً) عند القيام لسيدة وسيد المنزل

ان لا يدخن على المائدة بل في المحل المعد للتدخين ، والتدخين
بوجود السيدات غير جائز ، والبعض يستأذنين في ذلك ، ولكنه على
اي حال ليس من الذوق في شيء

ان يتشكر للخدم عند كل خدمة ، بلفظة متشكر

صدر المائدة في وسطها من جهة اليمين وليس في رأسها

ومن أهم آداب المائدة المحافظة على مواعيد الغداء والعشاء ، فالغداء
في الساعة الواحدة والعشاء في الثامنة

ومنها ان يكون الحديث والمسامرة في اثناء الطعام خالياً من الانباء
المكدره او المزعجة ، ولا يستحسن الحديث ان كان من قبيل الاخبار
التجارية او الاعمال الحسائية ، بل الاوفق ان يكون شذرات متقطعة ،
ليس حكايات مطولة او عتاب او ملام حتى لا يعطل الاكل على السامعين ،
ولا بأس من ايراد ملح مستظرفة تليق بالمقام

ومما يفيد في آداب المائدة ويزيد لذتها ان توضع عليها قائمة باسماء ألوان الطعام متى كان عندك ضيوف حتى يعرف الضيف منها ما يريد وينتقي حسب ذوقه . والافق ألا يكتر الالحاح على الضيف ولا يكره على الاكل زيادة عما يختار لنفسه بل تترك له الحرية يأكل ما يشاء . وتزيد بهجة المائدة كثيراً بوضع الازهار عليها او في جوانب الغرفة من حولها كما يفعل المتمدنون . وعلى الجملة فان النظافة واعطاء الحرية التامة للآكلين والمدعوين وتزيين المكان بما في الامكان ومراعاة شروط الذوق على وجه الجملة هي أهم آداب المائدة وألزمها

ومن محاسن الطعام عدم التأنق والاكثار من ألوانه على المائدة فانها تغري المرء على كثرة الاكل ، فيأكل أكثر مما يستطيع هضمه ، فلاقتصار على لون واحد او لونين خير للمرء وأبقى واذا شك أحد في هذه الحقيقة فعليه بالتجربة

ومن المفيد ايضاً عدم شرب الخمر بين الطعام والطعام ولا قبله ولا بعده لأنه لا فائدة منه ، واذا شك أحد في هذه الحقيقة فعليه ان يأكل مدة اسبوع بدون ان يشرب خمرأ ، ويأكل مثل هذه المدة ويشربه وينظر في اي الاسبوعين كان هضمه منتظماً ومعدته مستريحة وافكاره مطمئنة وأخلاقه هادئة ، وبمدها يختار ما يحلو له

وموضوع شرب الخمر مهم جداً يحتاج الى بحث طويل لا يسعه هذا المقام ، ولكنني اذكر عنه قصة صغيرة سمعتها من احد الطرفاء الذين لا يميلون الى شرب الخمر ، وهي :

ألقى واعظ موعظة نهى فيها عن شرب الخمر ، فأراد احد السامعين
امتحان هذا الواعظ ، فأرسل اليه زجاجة من الخمر العتيق على سبيل
الهدية ، اما الواعظ فصب شيئاً من الخمر في اناء وقدمه الى حصان ،
ففر منه ، ثم قدمه الى ثور فابى أن يشربه ، فأعاد الزجاجة الى صاحبها
وكتب له يقول « وصلتني هديتك وهي سائل لا اعرفه ، فوضعت منه
للحصان ففر منه ، ثم قدمته للثور فابى أن يشربه ، فهديتك عائدة اليك
لأنني لا اريد أن اشرب ما أبت الحيوانات أن تشربه ... »

آداب الزيارة

الزيارة في حد ذاتها آداب تتبادل بين الزائرين والمزورين ، لحفظ العلاقات الودية واستمرارها . وقد كانت هذه الآداب متبعة عندنا من نحو ثلاثين سنة باحسن حالاتها ومعانيها ، فما كان الاسبوع يمضي على الاهل والاقارب والاصدقاء ، الا وقد زار بعضهم بعضاً مرة على الاقل ، وجددوا اشواقهم بحديث عذب لطيف ، منبث من قلوب طاهرة وسريرة تقية وخال من ألفاظ النفاق والتلميق المتبادلة الآن ، وكان الكبير يزور الصغير ، والكبيرة تزور الصغيرة ، بدون التفات الى تفاوت الدرجات كما تقضي آداب الانسانية

اما في الزمن الحاضر ، عصر التمدن والحضارة ، فان الزيارة انقطعت بين الاصدقاء والمحيين ، وكادت تنقطع ايضاً بين الاهل والاقارب وقد حل الابتعاد والجفاء ، محل الألفة والصفاء ، بدون سبب ولا داع ، والمعذر الذي ينتحلونه عند ما يتقابلون بالصدفة ، هو المشاغل ، واذا دار العتاب وحمي وطيسه ، فالخبير منهم بطرق التخلص واساليب الرياء ، هو الذي يفوز على خصمه ، واما النتيجة التي تحصل بعد هذا العتاب الطويل ، فهي لا شيء ، لان الابتعاد والجفاء يبقيان كما كانا وهذا كما لا يخفى يؤثر تأثيراً عظيماً على الرابطة العمومية ، التي تتكون اولاً من الافراد ثم العائلات ، لانه اذا لم تتحد الافراد ، وترتبط العائلات ، لم يقدح اتحاد عام ، وكانت النتيجة ، تنازلاً وجفاءً وشقاقاً الى ما شاء الله — فتبادل

الزيارة اذن هو اساس الارتباط ، وعليه تشيد المحبة صرحاً عظيماً من الاتحاد العام ، اذ تصفو القلوب وتنجلي الصدور ، وتخف الوشايات وينقطع الاغتياب

فيجب علينا اذا ان نعود الى ما كنا عليه ونعيد الى القلوب حياتها ونجدد عادة الزيارة الجميلة ، وكل منا يتمهد أمام ضميره الحي وانسانيته الطاهرة ، ان يمد يده ، قائلاً بأعلى صوته ، وباخلاص حقيقي ، هذه يدي في يد من أضعها ، فتقع الأيدي بعضها على بعض ، وتدور المصافحة على القلوب ، ويد الله مع الجماعة

ربما عاب علي البعض ، اني تكلمت عن فوائد الزيارة ، مع ان الموضوع هو آداب الزيارة ، فأرد على المعارضين ، انه اذا كانت الزيارة غير حاصله ولا متبعة ، فكيف أتكلم عن آدابها ؟ أما وقد تعاهدنا الآن على تجديدها ، فما أنا أتكلم عن آدابها

تقسم آداب الزيارة ثلاثة أقسام — هي الترتيب والنظام — الحديث والمسامرة — بطاقة الزيارة

الترتيب والنظام يدخلان في كل شيء ، فكيف لا يدخلان في آداب الزيارة ، وهي أحق بهما من غيرها

تبادل الزيارة العائلية يجب ان يكون قاصراً على الأهل والاقارب والأصدقاء الأخصاء ، وكل زيارة يجب ان ترد بنظيرها . ويجب تعيين يوم معين في كل اسبوع للاستقبال ، نهراً للسيدات وليلاً للرجال ، اذا كانت العائلات متبعة للعوائد الشرقية ، وأما التي تتبع العوائد الأوروبية

فانها تخصص اليوم كله للسيدات والرجال معاً ، لأن ربات البيوت يقابلن الرجال والسيدات ، ويجوز أيضاً تخصيص يوم الاستقبال في كل خمسة عشر يوماً ، أو في كل شهر كما يفعل بعض الأجانب ، أي يوم الاثنين الأول والثالث من كل شهر ، هذا اذا كان يوم الاستقبال كل خمسة عشر يوماً ، ويوم الاثنين الأول من كل شهر ، اذا كان شهرياً . وهناك ترتيب آخر تتبعه كثير من العائلات الراقية ، هو تحديد يوم الاستقبال بالتاريخ - مثال ذلك الرابع والرابع عشر والرابع والعشرون من كل شهر ، عوضاً عن يوم الثلاثاء أو الأربعاء مثلاً ، ولهم في ذلك فكرة لا تخلو من الصواب ، هي ان تحديد يوم من أيام الاسبوع ، كالثلاثاء مثلاً ، ربما كان هو بذاته يوم الاستقبال عند احدى العائلات من الاقارب أو الاصدقاء ، لا بد ان يحرم العائلتين معاً من الزيارة ، لأن كلا منهما لا تقدر ان تترك بيتها في هذا اليوم ، وفي رأيي ان تحديد اليوم لازم على كل حال ، حتى يتسنى لكل سيد أو سيدة ان يخرج او تخرج للنزهة والرياضة ، أو تأدية واجب الزيارة في اي وقت شاء و شاءت في كل أيام الاسبوع أو الشهر ما عدا يوم الاستقبال ، أما تحديده اسبوعياً ، أو كل خمسة عشر يوماً ، أو شهرياً ، أو بحسب طريقة التواريخ فهذا يُترك لرأي كل عائلة ، وبحسب الأحوال المحيطة بها

لا يجوز لأي صديق مهما كانت صداقته ان يزور عائلة (من التي تتبع العادة الأوروبية في آداب الزيارة) نهائياً الا اذا كان صديقه صاحب المنزل فيه ، أو ان يكون سبق وقدمه لزوجته ، وفي الحالة الاخيرة يُشترط في هذا الصديق (الزائر) ان تكون صداقته عظيمة الى حد انها

أصبحت بمثابة القرابة

الأوقات المناسبة للزيارة (ومنها مدة الضيافة) هي ما بين الساعة الرابعة والثامنة بعد الظهر ، ومن العاشرة الى نصف الليل ، ولا يجب ان تتعدى هذه الأوقات في أغلب الأحوال حتى لا يؤثر التأخير على مواعيد العشاء والنوم ، ويستثنى من ذلك السهرات الرسمية

يجب على المزورين أن يستقبلا ويودعا الضيوف من باب السلم الأعلى ، وألطف كلمات الاستقبال ، اهلاً وسهلاً ومرحباً ، والوداع ، الى اللقاء ومع السلامة

عند الدخول في البهو (الصالون) يجب ان سيدة المنزل هي التي تتقدم الضيوف وتعين لهم المكان لاختد راحتهم ، اما صاحب البيت فانه يكون آخر من يدخل

يجب على الضيوف (الزائرين) أن لا يدخلوا الصالون وعليهم « بلطوات » او حرامل ، او بأيديهم عصي او مظلات (شماسي) بل يتركونها في العالقة (Porte Manteau) الموضوعه في الردهة (الفسحة) الخارجية ، وعند انقضاء الزيارة يجب على اصحاب المنزل أن يناولوها للضيوف ويساعدوهم في لبسها ، ولا يجوز للزائرين أن يدخلوا بيوت المزورين وفي يدهم سيجارة او شيء من انواع الفواكه الناشفة مثل البندق او الفستق او اللب وما اشبه

تقضي عادات الاوروبيين بان لا تقدم لفائف التبغ (سجائر) للضيوف ولا قهوة الا بطلب منهم او بعد موافقتهم ، ورأيهم في ذلك ان

كل شخص يحب التبغ الذي اعتاد أن يدخن منه ، وان كثيرين من الناس لا يشربون القهوة ، ولكني أفضل عادتنا المتبعة ، وهي تقديم السجاير والقهوة بدون استئذان ، فان رفض الضيوف قبولها فهم وشأنهم ، لأن عدم صراحتنا واستحيائنا ربما يحولان دون القبول فيما لو صار الاستئذان اولاً

يجب على الزائرين أن لا يشربوا الشراب او الماء او القهوة (بالشفط) او القرعة ، وان لا يتكرعوا او (يتبوعوا) بعد شربها

الحديث والمسامرة — ليس المقصد أن احدد المواضيع ، او أن اين ما يجب أن يقال في اثناء الزيارة ، بل أن ادون بعض ما يجب أن يستعمل او يقال من الحديث والمسامرة في اثناء الزيارة ، مع خواطر تنطبق على ذوقنا ومشربنا

للحديث ثلاثة شروط — هي الفراسة ، والذاكرة ، والتهذيب ، ولما كان كل انسان يميل طبعاً الى الحديث في شؤونه الخصوصية ، فالأولى بك أن تحدث الوالدة مثلاً عن اولادها ، والتاجر عن تجارته ، والمؤلف عن مؤلفاته ، فتكون بذلك محبباً الى سامعيك

متى شرع احدكم في الحديث فاصغر اليه تمام الاصغاء احذر من أن تفتح احد الحاضرين بامور خاصة به وليس من شأنك أن تتعرض لها

واذا تكلمت فليكن صوتك خاشعاً ، لأن الصوت العالي دليل على قلة مراعاة الآداب

لا يحسن اطالة مدة المناظرة بين شخصين في اجتماع حافل مهما لَدَّ
لها موضوعها ، لأن ذلك يضطرّ الباقيين الى السكوت ، وربما أدى بهم
الى الملل والضجر

اجتهد في تنويع أبواب الحديث وعدم حصر الكلام في موضوع
واحد مدة طويلة

لا يصح البحث او الخوض في المسائل الدينية في المجتمعات بل يجب
تجنبها تماماً

احذر ان تقطع الكلام على احد

اعلم ان الاصغاء للمتكلم واجب ولا يكفي ان تكون مصغياً بل
يجب ان تبدي علامات القبول والاستحسان وامارات الموافقة والانشراح
عند الاصغاء ، وانظر دائماً الى من تحدّثه ولكن لا تحدق به

لا تتكلم بلغة غير اللغة التي يعرفها الحاضرون ولا تخلط لغتك بلغة
اجنبية ، واذا اتفق وجود اجنبي في حفلة لا يحسن فهم اللغة التي تتكلمون
بها فالأدب يقضي أن تتحدّثوا بلغته

اذا قدم زائر وأنت تقص على الحضور قصة ما ، وجب عليك ان
تعيد له ما سبق منها قبل قدومه بوجه الايجاز

لا يليق استعمال الألفاظ القبيحة لأن هذا ذنب لا يغفر في الهيئات
الحافلة ، وقد أوصت العرب بقولهم - « اياك وقبيح الكلام ، فانه ينفر
عنك الكرام ، ويفري عليك اللئام ، واحذر من سقطات الألفاظ فانها

تظهر من عيوبك ما بطن وتحرك من عدوك ما سكن ، ولا تقولنّ ما
يوافق هواك ويفضّب أخاك ، واعلم ان من يفرط في الكلام زلّ ومن
يستخف بالرجال ذلّ »

إذا حدثت انساناً من ذوي الرتب والمقامات فلا تكرر القابه على
سمعه كثيراً

كف عن ذم من لو كان حاضراً لبالفت في مدحه ، وعن مدح
من لو كان غائباً لبادرت الى ذمه

لا تجزم بأمرٍ ظهر لك أو تأكدت صحته ، فانه لا يروق لأحد أن
يراك مستبدأً برأيك مصراً عليه

احذر أن تمس عواطف أحد الحاضرين بذكر عاهة أو عيب في
خلقه ، فانك إذا فعلت ذلك نفرت السامعين ، وتعدّر عليك أن تقنع
ذلك الشخص بالتسليم بما فيه من العيوب ولو كنت مصيباً

ثم ان بعض الناس يميلون طبعاً الى افراغ جعبة افكارهم امام
الحاضرين فيسردون كل ما حوته اذهانهم ، سواء وافق المقام أو لم يوافق
وهم يزعمون انهم اذا اكثروا من الاخبار ارضوا السامعين ولو بما لا يعنيههم
سماعه

لا تقل كل ما تفكر . ولكن افكر بكل ما تقول

اياك والكذب في محادثتك ، فانه شعار الخيانة ، والتزم الصدق
فانه حلية النطق

اعلم ان المزاح الكثير يذهب المهابة ويورث الضغينة ، والله در
من قال

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب مزحاً تضاف به الى سوء الأدب
لا تغضب احداً اذا مازحته ان المزاح على مقدمه الغضب
ويقال الافراط في المزاح مجون ، والاقتصار فيه ظرف ، وانه في
الكلام كالملح في الطعام

لا تسرع في الكلام لئلا يفوت الحاضرين سماعه ، ولا تتباطأ فيه
او يصيبهم الملل والضجر

اذا وجدت بين القوم من هم اكبر منك مقاماً ، فاطهر انك
اقل منهم شأنًا بادب ووقار ، واذا دُعيت الى الحديث معهم ، فلا تطب
في تنازلكم الى محادثتك ، وحالما تشعر بعدول احدكم عنك فامتنع عن
محدثه ومتى شعرت باغضاء الجميع عنك فودّعهم وارحل

لا تجعل نفسك بين قوم بمنزلة المنتقد ، واذا اردت النصيح فليكن
بلطف « لأن من يعطي نصيحة لا يمكنه أن يعطي العقل اللازم لقبولها »
وقد اوصت العرب بقولهم — « لا تنصح لمن لا يشق بك ولا تشر
على من لا يقبل منك »

لا تتباه كثيراً باعمال اكسبتك شهرة ، فتجلب على نفسك
الاحتقار

لا تحتقر حديث رجل لسذاجته ، اذ لا يخلو من فائدة تجهلها اذا
قدّرت قيمته وتأملت معناه

لا تتفاخر امام اقرانك بانك صديق حميم لا كابر القوم واعيانهم فان
ذلك يدل على الغباوة ، وكذلك لا تتباه بمرکزك ، ولا بثروتك فان ذلك
مذموم محقر

لا تفتخر بحسبك ونسبك امام الاصدقاء ، ولا تكثر الاستفهام
ولا تطل البحث عن اصلهم وفرعهم

هائية - هذه الشذرات المختصرة هي كقاعدة اساسية يبني عليها
الحديث والمسامرة ، وتخص السيدات اكثر من الرجال ، خصوصاً اللواتي
اعتدن أن يمضين اوقات الزيارة بحديث كله خرافات وخزعبلات ، او
عن المصوغات والملابس والازياء ، او اظهار مساوىء ازواجهن بحالة
خالية من الأدب ، تنفر منها الانسانية ، او شرح مخازي ومعايب
جيرانهن واصدقائهن ، وبالاجمال ، ان لهن شوارد شتى قد عدت عن
ذكرها ، جباً بالاختصار واكتفاء بتوجيه التفاتهن لترك هذه النقائص
المزرية بالشرف والمقام

بطاقة الزيارة - نشأ استعمال بطاقات الزيارة في بلاد الصين .
وهذه الورقة الصغيرة التي تقوم مقام صاحبها في كثير من الواجبات
والرسوم عند اصدقائه ، قد اصبحت من ضروريات التمدن وانتشرت
انتشاراً سريعاً بين الافرنج رجالاً ونساءً ، واقتبسها اهل بلادنا عنهم ،
واستعملوها في الأعياد والتعارف والزيارات وغيرها ، ولكن البعض
يستعملها على غير نظامها المعروف في كثير من الاحيان ، ولذا فاني اشرح
كيفية استعمال البطاقات بوجه عام

إذا قصدت زيارة صديق من أصدقائك ولم يسمح لك الوقت بالاقامة عنده ، فمرّ على منزله وارك له بطاقة الزيارة بعد ما تطوي طرفها الأعلى من جهة اليسار ، وافعل ذلك أيضاً إذا كان في نيتك زيارته ولم تجده في بيته - أما في زيارة التعزية ، فيجب طي الطرف الأيمن من الورقة وبالاجمال فأداب الزيارة تقضي بأن كل زيارة او دعوة يجب ان ترد لأصحابها ، ان لم يكن شخصياً فبطاقة الزيارة يحملها صاحبها بنفسه الى منازل الاصدقاء ، واذا زارك زائر وأردت مقاطعته فرد له زيارته ببطاقة الزيارة مع خادمك او أحد معارفك من غير ان تأخذها له بنفسك وبدون ان تطوي طرفها

يجوز ارسال بطاقة الزيارة مع الخادم الى الاصدقاء في الاحوال الآتية : - للقيام بالشكر لهم على ترددكم للسؤال عنك (ويكتب على البطاقة للشكر) ، او الاستفهام عن صحة مريض عند أحدكم ، (ويكتب عليها كذلك) وفي هاتين الحالتين لا يسوغ ارسال البطاقة بطريق البريد

يجوز ارسال بطاقة الزيارة مع الخادم او مع البريد الى الاصدقاء في الاحوال الآتية : - الاعلان بالانتقال من منزل الى غيره (يجب كتابة اسم الشارع ونمرة المنزل الجديد على ذات البطاقة) او تغيير يوم الاستقبال يوم آخر (واليوم يكتب أيضاً على البطاقة) ، او الاعلان بالسفر (ويكتب عليها الى اللقاء) ، وعند العودة يجب الاعلان أيضاً

أما « البطاقات » التي تبعث للاصدقاء في الاعياد ورأس السنة فانها ترسل مع البريد ، ويكتب عليها للمعايدة

وفي اي حال من الاحوال التي أوضحتها يجب على المرء ان يحمل بطاقة الزيارة بنفسه الى منزل من هو أعلى منه رتبة ومقاماً ولا يرسلها مع الخادم او البريد

ويجوز ارسال بطاقة واحدة الى جميع افراد العائلة الواحدة مع طيها في وسطها دلالة على انها تشمل العائلة كلها

ولا يجوز للمرأة ان ترسل بطاقتها الى الرجال ، بل الى النساء صديقاتها . ولا بد ان يطبعن لأنفسهن بطاقات خاصة بهن ، عدا البطاقات التي عليها اسم الرجل وزوجته معاً ، ويصح ان تكتب السيدات اسماء بناتهن معهن في بطاقة الزيارة لاستعمالها متى رافقها في الزيارات

يجب على السيدات أن يرسلن البطاقة مع الخادم او الخادمة الى الوالدين من اصدقائهن بعد الولادة ، مرة كل يومين او ثلاثة لمدة اسبوعين ، مع الاستفهام عن صحة المولود ووالدته في كل دفعة

ولا يكتب الرجل على بطاقته الا اسمه ولقبه ووظيفته من غير أن يشفعها بالقاب التفضيم ، اما النساء فيذكرن دائماً كلمة (مدام) ازاء اسمائهن التي هي القاب ازواجهن اذا كن متزوجات ، او كلمة (دموازل) ازاء القاب آبائهن اذا كن غير متزوجات ، او كلمة (ارملة) ازاء القاب ازواجهن المتوفين

واني آسف اشد الأسف لأنني اكتب بقلمتي كلمتي « مدام » و « دموازل » الفرنستين ووجه التفات السيدات بل احضهن على

استعمالها على بطاقات الزيارة ، مع عشقي للغة العربية وتنزلي بجمالها
ورقة معانيها ، ولكن ما باليد حيلة ، فانه ليس في لغتنا ما يقوم مقام
هاتين الكلمتين من حيث تأدية المعنى الحقيقي بالتمام ، نعم انهم عربوها
بكلمتي « سيدة » و « آنسة » ولكنهما بكل اسف خاليتان من الطلاوة
الكائنة في « مدام » و « ديموازل » ، خصوصاً وانه لا يليق أن نكتب
« سيدة يوسف » او « زوجة يوسف » او « حرم يوسف » مثلاً ، ومثل
هذا يمكن أن يقال في كلمة « آنسة » ، وحيث ان كلمتي « مدام »
و « ديموازل » متداولتان الآن بين كثير من العائلات فلا حرج اذن
في استعمالها خصوصاً واننا نستعمل ألفاظاً كثيرة فرنسية مثل « صالون »
او صاله و « لثمانو » و « بوريه » وغيرها ، من الكلمات التي ليس في
لغتنا ما يؤدي معناها الحقيقي

واني أتتهز هذه الفرصة (ولو انه خارج عن الموضوع) وانتقد
حضرات السيدات المصريات اللواتي يحتقرن أسماء الازواج والوالدين
ويدعو بعضهن البعض بأسماء « أم فهمي » و « أم حبيبه » و « الحاجة »
و « أم الغالي » (أم الغالي هي التي كان لها ولد وحيد ومات) ويدعون
رجالهن « أبو يوسف » وأبو فرج وهلم جراً ، عوضاً عن « مدام فلان »
(اسم زوجها) او سيدتي فلانة باسمها هي ، او سيدي ، لزوجها ، او
باسمه ، اذا كانت الكلفة ممنوعة بينهما ، لأن أسماء أم فلان والحاجة وما
اشبه خالية من اللياقة والاكرام والالطف كما لا يخفى على أصحاب الذوق
السليم

اطالة الحياة والتمدن

ربما يتوهم القارئ الكريم من هذا العنوان انه ظهر اكتشاف او اختراع حديث لاطالة الحياة ، وقد لا يدري أية علاقة للتمدن باطالة الحياة ، ولكنه متى علم حفظه الله انه ليس في الأمر اختراع ولا اكتشاف وان اطالة حياة الانسان في يده وطوع ارادته زالت او هامه ، ومتى علم ايضاً ان بعض مقومات التمدن بمعناه الحقيقي تنفق كثيراً مع شروط اطالة الحياة زال منه الدهش والاستغراب

بحث بعض المتمدنين المتقدمين في العلم والحضارة عن ذرائع تطويل الحياة ، وآخر اجتماع عقده بعض فحول الاطباء برئاسة الدكتور « جيمس سوير » كان في برمنغام من مدن انجلترا ، وبعد البحث والدرس والتفكير قرّر رأي الجميع على اعلان الوصايا الآتية بصفة قاعدة ينبغي التزامها لمن أحب ان يعيش طويلاً ، وفي مذهبي ان هذه الوصايا اذا لم تؤدّ الى الغاية المطلوبة حتماً فلا ريب انها من أنفع الوصايا الصحية التي تقم بمراعاتها سلامة الجسم ويمكن البعد بواسطتها عن التعرض للعلل ، وبالتالي فلا شك انها تفيد فعلاً في اطالة مدة الحياة — وهي هذه :

- (١) ان تكون مدة النوم ليلاً ثمان ساعات على الأقل
- (٢) ان يكون الاضطجاع على الجانب الايمن
- (٣) ان لا يفسل الجسم بالماء البارد في الصباح ، ولكن يتخذ حمام بدرجة حرارة الجسم

- (٤) تقليل مقدار اللحم في الطعام ، مع تحري النضج التام
- (٥) اجتناب شرب اللبن (فيما فوق سن الرضاع)
- (٦) المواظبة على الرياضة كل يوم في الهواء الطلق
- (٧) ان لا يوضع في غرف السكن شيء من الحيوانات
- (٨) السكن ان امكن في اخلاء
- (٩) الاقتصار على شرب الماء
- (١٠) اجتناب الرطوبة بقدر الامكان
- (١١) الراحة القصيرة مدة بعد مدة
- (١٢) وضع حدٍ لمطامع النفس وشهواتها

الموسيقى والتمدن

الموسيقى لغة تفاهم بها النفوس ، الفاظها الأنغام وجلها الالخان ،
واذا كانت الملامح البدنية لغة العواطف القلبية والانفعالات النفسانية ،
فالالخان اشعار تلك اللغة تتناشدها هذه العواطف والانفعالات
ولما كانت الموسيقى من كماليات الانسان لا ضرورياته ، فقد كان
اتقانها تابعاً لارتقائه في سلم المدنية والحضارة وكلما كانت الامة موسرة
ومتمدنة عكفت على هذا الفن لأنه من جملة احوال النعمة والترف والتمدن
اما تاريخها فلم يعلم منه متى اصبحت الموسيقى فناً قائماً بنفسه ، وانما
الذي يعلم من اول عهد التاريخ انها كانت فناً مضبوطاً عند اكثر
الشعوب القديمة المعروفة ، والمرجح ان قدماء المصريين هم الذين وضعوا

اساس هذا الفن ، وكان كهنتهم يميلون اليه جداً حتى عدوا الغناء من جملة طقوسهم الدينية في الحفلات المختلفة كالأفراح والمآتم ، وقد اتقنوه حتى بلغ عندهم منزلة رفيعة ، واخترعوا له عدة آلات موسيقية

اخذ اليونان هذا الفن عن المصريين ، ثم نقله العرب عن اليونان ، ثم اتصل من العرب بالفربيين ، وكانت الالحان قديماً تحفظ بالسماع ولم يكن لها ضابط ، فلما اشتغل بها الاوروبيون وضعوا لها علامات يستطيع كل من ينظر اليها أن يفهمها او يعزف بواسطتها بدون ان يسمع اللحن اما تأثير الموسيقى في الحواس الباطنة فشديد ، قد لا يفوقه الا تأثير البشارة بالسعادة الفجائية ، ولا شيء يجتذب الانتباه عادة مثل سماع الالحان مهما كان الانسان منهمكاً في غيرها من الأمور

اما تأثير الموسيقى في الأخلاق والمادات فأمر لا ريب فيه ، وقد روي عن فلاسفة اليونان ان البلاد التي انتشرت فيها الموسيقى ، كانت طباع اهلها أرق وألطف من غيرها واقل فظائع

اما الفرق بين الموسيقى العربية والافرنجية وأيهما ألد وأفضل فما يصعب الحكم فيه ، اذ لا يخفى ان كل امة تلتذ بما عندها وتؤثره على سواه ، وما دام الاستحسان راجعاً الى ذوق المستحسن ، والناس مختلفون في الاذواق ، فلا افضلية لواحدة على الاخرى . على انه وان لم تكن هناك افضلية باعتبار الاذواق ، فلكل موسيقى ما يمتاز به ، وللموسيقى العربية مزيتان ، لعلهما تجعلانها احسن وقماً وأشد تأثيراً من غيرها — الأولى ان الالحان الافرنجية موقعة كلها على الدرجات الاصلية في السلم الموسيقي ، ويندر أن يعدل في لحن منها ، والفرص من ذلك أن

ينطبق اللحن على درجة صوت الانسان الطبيعي من حيث العلو
والارتفاع فيتغننا براحة

اما الالحان العربية فيكثر فيها ابدال الدرجات الاصلية بالفرعية ولا
يخفى ما في ذلك من المجال الفسيح للتفنن في الانغام ، بحيث تؤلف الالحان
مطابقة لحالات الانسان المختلفة

ثانياً ان الموسيقيين الشرقيين واخص منهم المصريين لا يقيدون
انفسهم بايقاع محدود لا يتعدونه بل هم يطلقون الحرية لتطريههم فيغنون
ما شاءوا ، وفي اثناء الغناء والعزف تراهم يدمجوا في اللحن الذي يغنونه
جملاً مطربة شجية يتكرونها في الحال حسبما يرشدهم وجدانهم وتأثرهم
من الاحوال المحيطة بهم ، ومن معنى الأغنية التي يتغنونها

ولا يخفى انه لو تقيدت الالحان العربية بايقاعات مخصوصة مضبوطة
وربطت بعلامات كالالحان الافرنجية ، لضعف تأثيرها وخفت لذتها
بتقيد حرية المغني او العازف بتلك الضوابط التي لا تفسح له في التفنن
مجالاً كما يريد

ويستدل من ذلك ان الموسيقيين المصريين شديدي الذكاء في الايقاع ،
لأنهم يعزفون على الآلات ولا دليل لهم الا الذوق العقلي فقط ولذلك
ترى العازف منهم على عوده او قاتونه مثلاً يوافق المغني في غنائه مهما
تفنن وابتكر ولا يشرده عنه الا في ما ندر

هذا ما بدا لي في هذا الشأن وقد اضطرني الى الخوض فيه امران ،
الاول اعتقاد كثيرين من المصريين المتفرنجهين ان الموسيقى العربية غير
مقيدة بايقاعات مخصوصة ومضبوطة وان هذا عيب فيها ، وهذا الاعتقاد

خطأ ، لأنها لو تقيدت كما قلنا لضعف تأثيرها وزالت منها لذتها ، وان
التفنن في العزف والايقاع والغناء من مميزاتنا على الموسيقى الافرنجية ،
والأمر الثاني ، هو ما في الفاظ الأغاني العربية من القبائح الخادشة
لناموس الانسانية والتمدن ، ولا ادري لمن اوجه كلامي بشأنها ، ألمغنين
والمغنيات ، واغلبهم اميون واميات ، لا يفهمون الأدب من الجرب ، او
للسامعين واغلبهم سكارى بملذاتهم البهيمية ، اذا سمعوا غناء خالياً من
هذه المخزيات غضبوا على المغني ، ولم تهدأ نورتهم وهيجانهم الا اذا غنى لهم
ادوار الغرام والوصال والعشق والهيام ، أم للأدباء والكتّاب
وكلهم آسف مثلي ، وقد كتبوا كثيراً في هذا الموضوع ، وانتقدوا هذه
القبائح مرّ الانتقاد ، فذهبت كتاباتهم ونصائحهم ادراج الرياح

اني لا ارى من اوجه اليه كلامي غير الجمعيات الأدبية الراقية المنتشرة
بيننا في طول البلاد وعرضها ، فهي احق باصلاح الأخلاق ، ولا يتعذر
عليها انشاء ادوار الأغاني الحماسية والادبية التي تؤثر في الأخلاق
والآداب التأثير الحسن وتعلمها لبعض الشباب والشابات الذين يميلون
الى احتراف هذا الفن الجميل ، وتوقعها ايضاً على « البيانو » وتطبعها وتوزعها
على العائلات التي تشوق لرؤية مثل هذه الادوار الادبية حتى تعلمها
لبنائها بدلاً من القبائح التي يحمر من ذكرها وجه الانسانية خجلاً ،
فكيف بمن كانت قلوبهن تقية لم يدخلها شيء من مخازي السفهاء . ومع
مضي الزمن تتلاشى الأدوار القبيحة شيئاً فشيئاً وتخلص منها على اهون
سبيل

فهرست

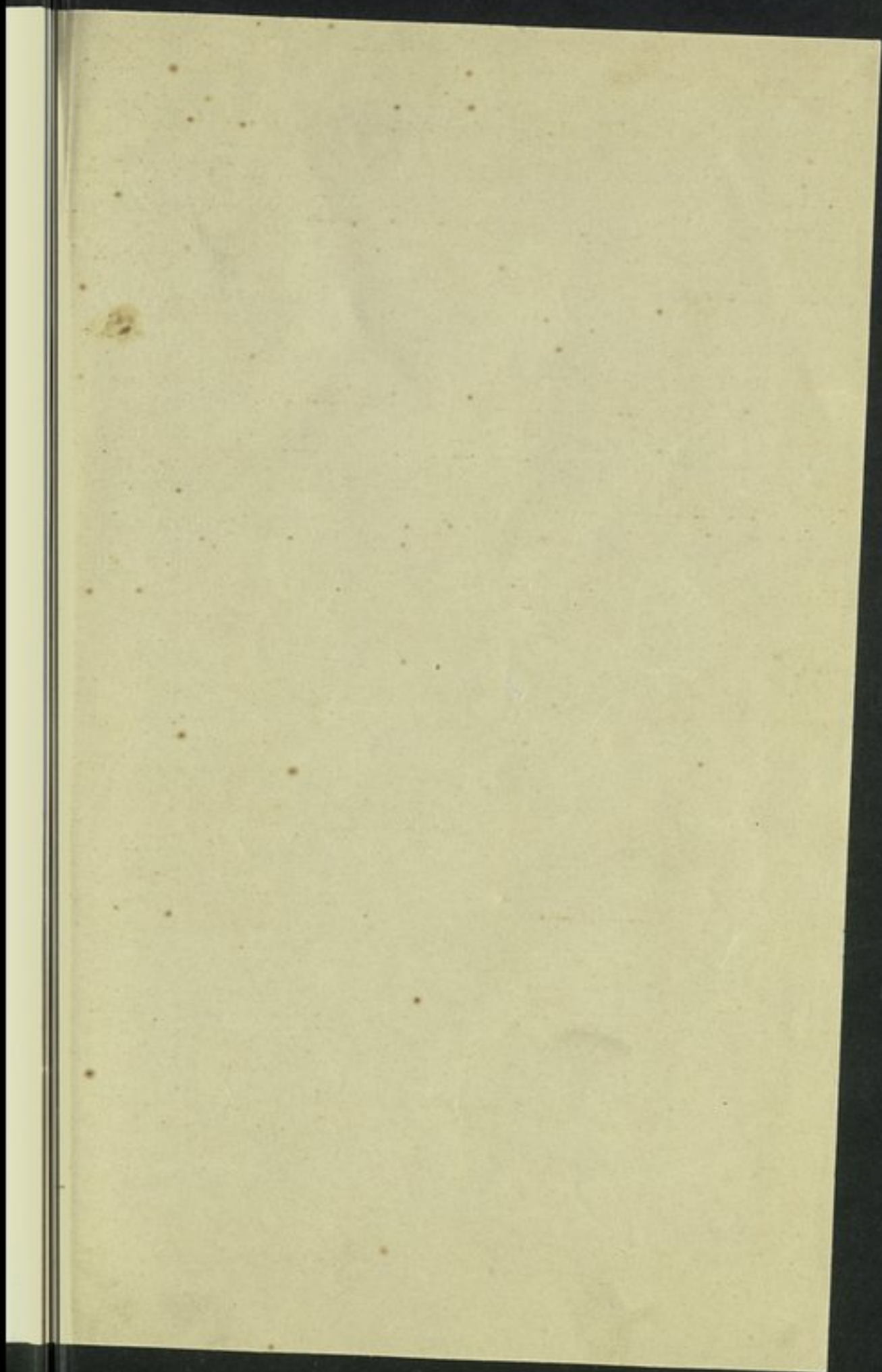
صفحة	
٣	اهداء الكتاب
٤	« النطق الكريم »
٥	المقدمة
٧	الانسانية والمحبة شقيقتنا التمدن والارتقاء
١١	الانسان
١٢	الانسان ايضاً
١٥	حياة الانسان والانسانية
١٨	حرية الانسان ولذة الحياة
٢٢	الاحسان
٣٣	الجمعيات
٣٥	عظماؤنا الانسانية
٣٧	ولي النعم والاحسان مولانا « العباس » خديوي مصر
٣٨	صاحبة الكمال « أم المحسنين » دولتو امينه هانم افندي والدة الجناب العالي الخديوي سنا ربه كالتصايم فقط
٤٠	صاحبة السمو « صديقة الانسانية » دولتو اقبال هانم افندي سنا اول تصايم فقط
٤١	صاحب الدولة والفضامة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي
٤٢	« أبو الفلاح » الامير الجليل حسين باشا كامل عم الجناب العالي الخديوي

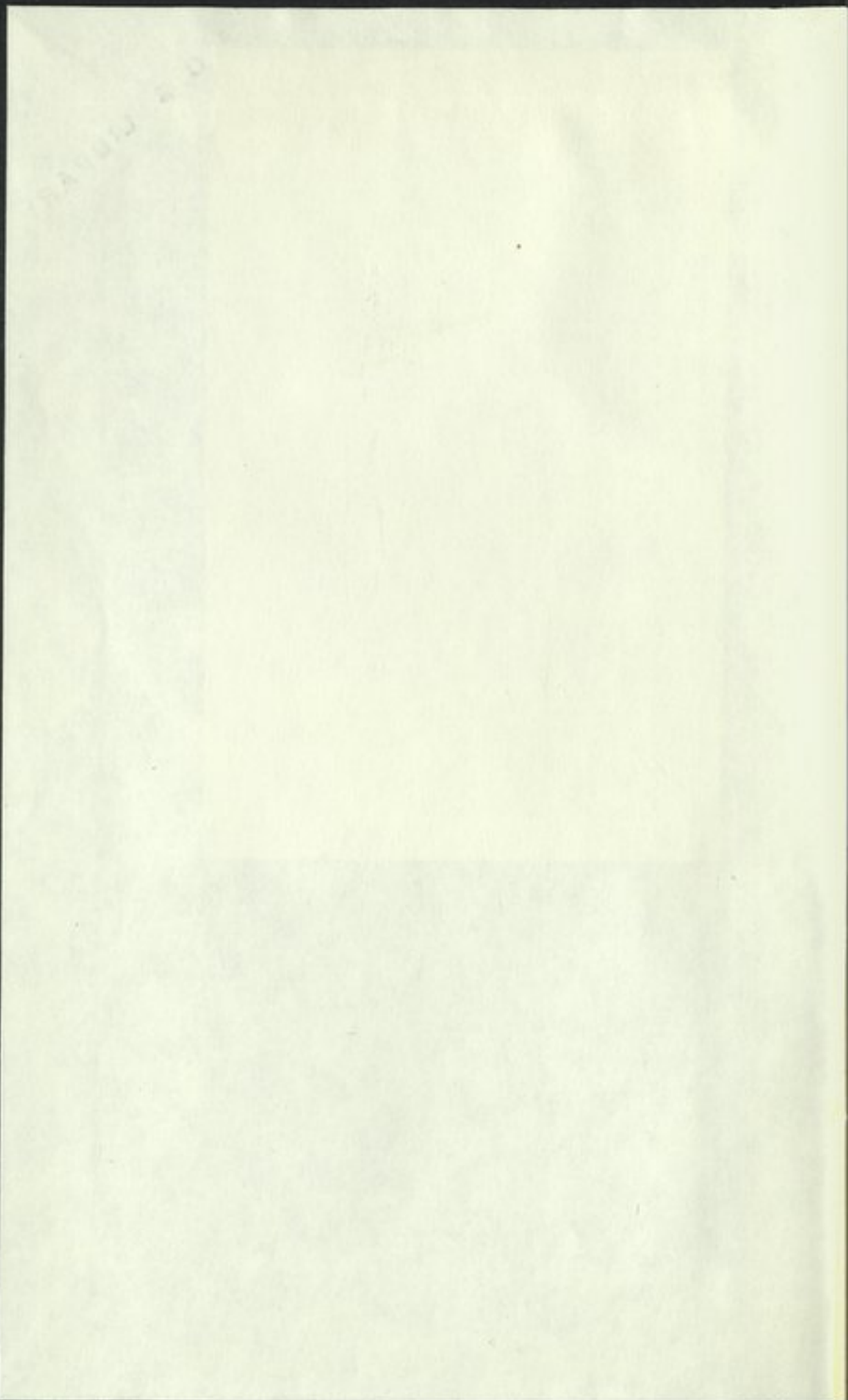
صفحة

٤٤	« صديق العلم » الامير الجليل يوسف باشا كمال ابن عم الجناب العالي الخديوي
٤٦	« صديق الفقراء » المرحوم « بطرس باشا غالي »
٥٦	« رجل الانسانية » عطوفة محمد باشا سعيد
٥٨	عظماء الانسانية واصدقاؤها
٦٦	اصدقاء الفقراء
٦٧	التمدن
٧٠	العادات والاخلاق والتمدن
٧٤	العادات الرديئة
٨٦	انحرافات
٨٧	الكبرياء
٩٠	العظمة والفخر
٩٤	الكذب والتناق
٩٦	النميمة والاعتياب
١٠٠	التربية
١٠١	التربية الجسدية
١٠٢	التربية العقلية
١٠٥	التربية الادبية
١١٨	الهمة والاعتماد على النفس
١٢١	ملكة الاعتناء
١٢٤	احترام النفس
١٢٦	الزواج والتمدن
١٣٨	المرأة

صفحة	
١٤٥	الملابس عند قدماء المصريين
١٤٨	ملابس نساء العرب
١٥٢	ملابس المصريات في العهد الحالي
١٦٩	الرجل في بيته
١٧٩	نظام وترتيب البيوت
١٨٨	آداب المائدة
١٩٦	آداب الزيارة
٢٠٨	اطالة الحياة والتمدن
٢١٠	الموسيقى والتمدن







A. U. B. LIBRARIES

170:A6351A:e.1

انطون جرجس
الاسانبة والتمدن

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001910

170
A6351A



المكتبة - فيها جميع الكتب العلمية والمدرسية
والتواريخ وغيرها بجميع اللغات وادوات الكتابة
على اختلاف انواعها وهي مستعدة ايضاً لتقديم كل
ما يطلب منها من الكتب والادوات المدرسية الى
اساتذة المدارس بأسعار خصوصية

المطبعة - تطبع كل ما يطلب منها طبعه بجميع
اللغات بأسعار متهاودة وبغاية الاتقان والسرعة .
صاحب مكتبة المعارف ومطبعها

نجيب مرقى